

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القِيَادَةُ الْمَسْؤُلَةُ عِنْدَ الْأَعْلَى عَلَيْهِ

دَرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ
فِي أَخْلَاقِيَّاتِ الْقِيَادَةِ الْعُلُوِّيَّةِ



ISBN 978-9922-8677-1-7



9 789922 867717

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ١٥٨٩ لسنة ٢٠٢٤

BP193.1 .M84 2023

محمد، عبد الأمير ضاحي - مؤلف.

القيادة المسؤولة عند الإمام علي عليه السلام : دراسة تحليلية في أخلاقيات القيادة
العلوية / تأليف عبد الأمير ضاحي محمد. - الطبعة الأولى. - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية
المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠٢٣ / ١٤٤٤ للهجرة.

٣١٢ صفحة؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٢٧٣)، (مؤسسة علوم نهج
البلاغة؛ ٢٢٨)، (سلسلة الدراسات والبحوث العلمية، وحدة الدراسات الإدارية؛ ٢٠).
يتضمن هامش، لائحة المصادر (الصفحات ٢٨١-٢٩٣). - يتضمن ملحق (٢٩٥-٣٠).

١. علي بن أبي طالب (عليه السلام) الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة- ٤ للهجرة ٢. علي
بن أبي طالب (عليه السلام) الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة- ٤ للهجرة - ٣. القيادة
(اسلام). أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). مؤسسة علوم نهج البلاغة - جمهة
مصدرة. ب. العنوان.

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة.

القِيَادَةُ الْمُسْؤُولَةُ عِنْدَ الْأَمْرِ عَلَيْهِ

دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ
في أَخْلَاقِيَّاتِ الْقِيَادَةِ الْعُلُوَيَّةِ

تألِيفُ

د. عَبْدِ الْأَمِيرِ ضَاحِيْ مُحَمَّد

إِصْدَار

مُؤْسَسَةُ عِلْمِ الْمُرْكَبَةِ

الْعَتَبةُ الْحُسَينِيَّةُ الْمَقَدَّسَةُ

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

م ٢٠٢٤ هـ / ١٤٤٥



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

مؤسسة علوم نهج البلاغة

www.inahj.org

Email: inahj.org@gmail.com

موبايل: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

تنويه:

إن الأفكار والأراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا
تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

تخلي العتبة الحسينية المقدسة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

الإهداء

إلى صوت العدالة الإنسانية والضمير العالمي الذي ضم
في جنباته آلام البشرية ومتاعبها ..

إلى ذلك الفارس في كل ميادين الحياة ومعلم الناس
كيف يحيون ويموتون بأقواله وسيرته وجهاده المستمر
من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض ورفع الظلم
عن الإنسان ..

إليك سيدتي هذه البضاعة المزجاة التي هي بالفعل لا تقي
بقدر كرامةك، راجياً منك القبول، وأن أكون من
تشملني شفاعتهم يوم لا ينفع فيه مال ولا بnon.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾

سورة المائدة: ٥٥

مقدمة المؤسسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَهْمَمَ، وَالثَّنَاءُ بِمَا قَدَّمَ، مِنْ عُمُومٍ
نَعَمٍ ابْتَدَأَهَا، وَسُبُّوْغٌ آلاَءٌ أَسْدَاهَا، وَتَمَامٌ مِنْ إِنَّ الَّهَا، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
خَيْرِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ مُحَمَّدٌ وَآلُهُ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلاً للعلوم من حيث التأسيس والتبيين ولم يقتصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية فحسب، بل شمل غيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات الفكرية، إلا أن التأصيل مثلاً يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه من شيء كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، كذا نجد يجري مجرراً في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَا فِي إِمامٍ مُّبِينٍ﴾، غاية ما في الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضراً وشاهدوا فيهما، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية (عليهم السلام) في سارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلائل في القرآن الكريم والعترة النبوية.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم هرج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات العلمية المختصة بعلوم هرج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي

طالب (عليه السلام) وفكرة ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ(سلسلة الدراسات والبحوث) التي يتم عبرها طباعة هذه الكتب وإصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجها بغية إيصال هذه العلوم إلى الباحثين والدارسين وإعانتهم على تبيان هذا العطاء الفكري والانتهال من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقولها المتعددة.

وما هذه الدراسة التي بين أيدينا إلا واحدة من الدراسات التي وفق صاحبها للغوص في بحر علم أمير المؤمنين عليه السلام ودراسة القيادة في فكره وأدوات العمل القيادي الذي سنه القرآن والنبي صلى الله عليه وآله فكان صورة حية لما أراده الإسلام في القائد والقيادة.

ولم يغفل الباحث عن الدراسات المعاصرة التي تناولت القيادة وسمات القائد ومكوناته محاولاً إجراء موالفة بين النصوص التاريخية والعلمية وتقديم نتائج معرفية جديدة في موضوع البحث.

فجزى الله الباحث على ما قدم من جهد خير الجزاء ونفعه به يوم حشره ﴿يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]

السيد نبيل الحسني
رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

المقدمة:

برزت شخصية الإمام علي (عليه السلام) على مسرح الأحداث في التاريخ الإسلامي كظاهرة إنسانية فريدة في خصوصياتها العلمية والأخلاقية والإنسانية، وكان لها الأثر البارز في معارك العقيدة والتوحيد؛ إذ احتزنت مسيرة التاريخ الإسلامي ملاحم بطولية في الجهاد والتضحية والإشارة عن أدوار علي (عليه السلام) في معارك بدر وأحد وحنين وخبيث والخندق وإحاطتها بالتعظيم والإجلال عند كل قوم وملة، وكان الإمام (عليه السلام) في كل هذه المحطات الجهادية عنواناً بارزاً لعنفوان الشجاعة والإقدام التي عبر عنها في قوله: «ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله)، إني لم أرد على الله، ولا على رسوله، ساعة قط، ولقد واسيته بنفسه في المواطن التي تنكس فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام، نجدة أكرمني الله بها»^(١).

ولقد سبقني الكثيرون من الكتاب والأدباء المتميزين ممّن تناولوا شخصية الإمام بالدراسة والتحليل وأجادوا في تقديم تلك الصورة المشرقة عن الإمام وحياته وعظمة إنجازاته، كجورج جرداق، وعباس العقاد، وعبد الرحمن الشرقاوي، ونصرى سلحب؛ وكان التحدي أمامي كيف لي أن أتناول موضوعاً فيه نوع من إشارة الأفكار والتساؤلات الجديدة حول مكمن العظمة في هذه الشخصية، ولكن ما أن هداني المولى سبحانه في دراسة الشخصية القيادية للإمام حتى انفتحت لي آفاق معرفية جديدة استطعت عن طريقها بجهدي المتواضع أن أبرز شخصية الإمام القيادية والرسالية والتي نمت وتطورت

(١) عبد، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٢٤

مع مرور الزمن على يد رسول الله كما أشار الإمام إلى ذلك في قوله: «وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلي الله عليه وآلـه) بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيبة، وضمني في حجره، وأنا ولد يضمني إلى صدره، ويكتنفي إلى فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء فيلقمـنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل»^(١)، وكما أوضح في بيانه الخطابي عمق هذه العلاقة وأثرها منه: «ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علمـا، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد في الإسلام غير رسول الله، (صلي الله عليه وآلـه)، وخديجـة، وأنا ثالثـهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة»^(٢).

وفي الجانب الآخر، دفعـني هذا الاهتمام البحث بصورة أعمق في طبيعة القيادة عند الإمام علي (عليه السلام) والإسهامات التي قدمـها في مجال النظرية والتطبيق للقيادة، فاستطعت أن أستخلص مجموعة من المبادئ الأخلاقية التي كانت من مركـزات سلوكـه القيادي وهو يدير الدولة الإسلامية في خلافـه وهو يقاتل فيه على التأوـيل كما قاتـل رسول الله (صلي الله عليه وآلـه) على التنـزيل.

ولقد وجدـت عن طريق البحث والاستطلاع بأن أقوـال علي (عليه السلام) وأحادـيثه وسيرـته المباركة تشكل مصدرـاً غنيـاً ومحـالـاً رحـباً لاكتـشاف

(١) عـبدـهـ، نـهجـ الـبلاغـةـ، جـ٢ـ، صـ٤١١ـ

(٢) عـبدـهـ، نـهجـ الـبلاغـةـ، جـ٢ـ، صـ٤١١ـ

تطبيقات القيادة، وتفتح آفاقاً جديدة لإجراء المزيد من الدراسات حول تطبيقات نظرية إدارة الأزمات، وفن التعامل مع الآخرين، وإدارة الصراعات، والجودة في الإدارة وغيرها من المسائل التي تنال اهتمام الناس في يومنا هذا.

وقد قمت بهذه الدراسة للكشف عن الجوانب القيادية لشخصية الإمام علي على النحو الآتي:

* التعرف على خصوصيات القيادة عند الإمام علي (عليه السلام) مقارنة بما تطرحه النظريات الوضعية من مواصفات للقيادة النموذجية في عصرنا الحاضر.

* الكشف عن نظرية الإمام علي في القيادة المسؤولة عن طريق تحديد المعلم الأساسية للقيادة العلوية وفلسفتها في الحكم والإدارة.

* بيان الجانب التطبيقي للنظرية العلوية في القيادة المسؤولة عن طريق التحليل والاستقراء لنماذج مختلفة من أقوال الإمام ووصايته وتوجيهاته الشريفة، وما حفلت به سيرته من أحداث تاريخية ومواقف اجتماعية والتي كان الإمام علي (عليه السلام) طرفاً مباشراً فيها وهو يقوم بدوره القيادي المتميز.

- الفصل الأول -

النشأة والتَّكوين القيادي

للإمام (عليه السلام)

نشأ الإمام علي (عليه السلام) في بيئة أعدها الله خاصة لاستقباله من حيث الأبعاد التكوينية والروحية والأخلاقية، فقد جاء من سلالة طاهرة تتدلى إلى أبي الأنبياء خليل الله إبراهيم (عليه السلام)، وانحدر من أنجب العائلات العربية، فجاء متكاملاً خلقاً وخلقها بحسب المقاييس الطبيعية في الوراثة. ووصف الرواية كيفية ولادة إمام المتقين، فقالوا: إن والدته السيدة الزكية فاطمة لما أحست بالطلق نهضت وهي مبهورة الأنفاس، فاتجهت صوب الكعبة المقدسة، وهي على يقين لا يخامرها الشك أن حملها شأنًا كبيراً عند الله تعالى، ولما مثلت أمام الكعبة اتجهت بعواطفها نحو الله وأخذت تناجيه وتدعوه أن ييسر لها ولادته^(١).

وجاء في بحار الأنوار عن يزيد بن قنب أنه قال: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام؛ إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين (عليه السلام) وكانت حاملة به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق، فقالت: رب إني مؤمنة بك ولما جاء من عندك من رسول وكتب، وإنني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل... وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت علي ولادي. قال يزيد: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا والتتصق الحائط فرمنا أن يفتح لنا قفل البيت فلم ينفتح، فعلمنا أن ذلك أمر الله عز وجل، ثم خرجت بعد الرابع وبiederها أمير المؤمنين، ثم قالت: إني فضلت على من تقدمني من النساء؛ لأن آسيا بنت

(١) القرشي، موسوعة أمير المؤمنين، ج ١، ص ٤٢

مزاحم عبد الله عز وجل سرّاً في موضع لا يحب أن يُعبد فيه إلّا اضطراراً، وأنّ مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة حتى أكلت منها رطباً جنّياً وإنّي دخلت بيته الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأوراقها، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف يا فاطمة سميّة عليّاً، فهو على والله العلي الأعلى يقول: إنّي اشتقت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، ووقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي ويقدسني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وويل لمن أبغضه وعصاه^(١).

وشاء الله أن يكون حياة عليٌّ وموته وحده انسجام وترابط، فاستقبلته الحياة ولیداً في كعبة الله المعظمة، وودعته الدنيا شهيداً في محراب العبادة، فكانت حياته كلها لله ولرسوله، والعمل على رفع راية الحق وإقامة العدل والدفاع عن المحرومين؛ وفي تلك الليلة الموعودة مضى الإمام إلى بيته تعالى فجعل يوقظ الناس على عادته للصلوة، واجتاز على القوم وقبض على كريمه، وقال: ظنت فيكم أشقاها الذي يخصب هذه من هذه وأواماً إلى لحيته، ثم شرع الإمام في صلاته، وبينما كان متوجهاً بقلبه وعواطفه ينادي ربه ولسانه مشغول بذكره إذ هوى عليه بسيفه شقيق عاشر ناقة صالح عبد الرحمن بن ملجم، ومعه شبيب بن بحيرة الأشعري، وهو يهتف بشعار الخوارج: الحكم لله لا لك، وعلا هذا الآثم الرأس الشريف الذي طالما تعفر في سجوده لله، وانتهت الضربة إلى دماغه فلما أحس الإمام بلدغ السيف انفرجت شفتاه عن ابتسامة الرضا والتسليم لأمر الله، وانطلق صوته يدوّي

في رحاب المسجد: فزت ورب الكعبة^(١).

وكانت المسافة الزمنية الممتدة بين قدومه إلى هذه الدنيا ورحيله عنها حافلة بالعطاء والتضحيات والإنجازات، والدفاع عن حقوق الإنسان، ومحاربة الطغيان والفساد، والشهر على راحة المحرومين، والتفرغ للعبادة ونشر المعارف الدينية بين عامة الناس وخواصه، والسعى لقيادة الإنسان إلى حيث تكون نجاته وسمو نفسه وكماله في المعرفة والأخلاق والسلوك.

أولاً. النشأة الأسرية

إن دراسة حياة عظماء القادة في التاريخ تكشف لنا أن هناك مجموعة من العوامل والأسباب تؤدي دوراً رئيساً في تشكيل شخصياتهم؛ وفي هذه العوامل يظهر دور الأسرة، والبيئة الاجتماعية، والخصائص الأخلاقية والروحية للقائد نفسه والتي تسهم جمعاً مع مرور الوقت في نمو القابلities والملكات القيادية وتعزز بالمارسة والتشجيع من قبل المرشدين التربويين لهذا القائد الجديد. وإذا قرأتنا حياة الإمام علي (عليه السلام) فإننا نرى دور هذه العناصر الثلاثة في تكوين شخصيته القيادية، فقد ولد في بيئة أسرية قد استودع الله فيها كل المكرمات من الشرف والأخلاق والمجد والجود والشجاعة، فهو هاشمي ولد من أبوين هاشميين وقد ورث من أبيه كل مكرمات سيد قريش وزعيمها بدون منازع، وورث من أمّه حبّ الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والإيمان والبذل والطهارة، فنشأ فتىً متميزاً بين أقرانه ببنابته وشجاعته مقداماً منذ صغره.

(١) القرشي، موسوعة أمير المؤمنين، ج ١١، ص ٢٤٧ - ٢٤٨

١- في كنف أبوين عظيمين

تلقي عليٌّ في بيته كل ما يحتاجه الطفل من حنان ورعاية، وتهذيب للنفس وإعداد لتحمل المسؤولية، فكان أبوه سيد قريش وزعيمها وحكيمها، وكانت تلجاً إليه فيما تختلف عليه من أمور، وكان محل تقديرهم واحترامهم. وأبصر علي (عليه السلام) النور وهو يرى والده يحتضن محمدًا ويدافع عنه ويبيأ له كل أسباب الراحة، بل يقدمه على جميع أبنائه ويدفع عنه شر قريش وجبارتها. وما زال علي يحفظ في ذاكرته ذلك الموقف الشامخ لأبيه حين انتبهت قريش إلى أن النبي ما زال يمتد تأثيره، ويكثر أنصاره، فجاؤوا إلى أبي طالب مرة ثانية بصوت غاضب قائلين:

«إنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وعيوب آهتنا، حتى تکفه عنا أو ننزاله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين، فسكن غضبهم وأطفأ ثائرتهم وهذا خواطرهم^(١)، ليتم معالجة هذه المشكلة بطريقة أفضل. وأتى النبي وأخبره بأمرهم، فرد عليه النبي (صلى الله عليه وآله) بذلك الجواب التاريخي الذي ما زال يتردد صداه في الدنيا قائلاً: «ياعم، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته»، وبعد أن تأثر من قول ابن أخيه خاطب أبو طالب النبي قائلاً: «ذهب يا ابن أخي فقل ما أحبت، فو الله لا أسلمك لشيء أبداً»^(٢).

وفي حصار الشعب الذي استمر ستين أو ثلاث على قول المؤرخين، بُرِزَ

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٣١

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٣٢

الفصل الأول: الشأة والنكوب القيادي للإمام (عليه السلام)

دور أبيه في حماية الرسول والوقوف معه حتى النهاية، فقد حصن أبو طالب الشعب وتولى حراسته في الليل والنهار هو والحمزة وغيرهما من بنى هاشم خافةً أن يتسلل أحد من سفهاء مكة إلى محمد ويغتاله على حين غفلة من قومه^(١).

ولقد رأى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عمه في أحرج الظروف التي مرت عليه يفديه بأولاده، فـيأمرهم أن يناموا على فراشه ويأخذ بيده إلى فراشهم خوفاً من أن يغتاله أحد، وإذا حاول أحد من المشركين أن يقوم بعمل من هذا النوع، فنفسه طيبة بأن يكون أعز أولاده عليه فداء لابن أخيه^(٢).

وظل محمد وهو صغير في أحضان عمه وزوجته فاطمة بنت أسد لا يشعر بالغربة بين أولادهم ولا يحس بمرارة اليتم والفقير، ووجد منها الحرص والرعاية فوق ما يتصوره إنسان مع وحيد عزيز عليهما، وبلغ من حرص فاطمة عليه أنها كانت في سنين الجدب والقحط التي مات فيها الناس جوعاً وعطشاً تحرم أولادها من القوت الضروري وتطعمه إياها، واستمرت تعامله بهذه المعاملة إلى أن شب وترعرع، وأسرعت إلى تصديقه والإيمان برسالته والإخلاص لها في السر والعلنية هي وزوجها وأولادها^(٣).

ولم يكن محمد بن عبد الله وهو الوفي الكريم الذي علّم الناس الوفاء والإحسان، لينسى لها مواقفها التي أنسنته فقد أبيه وأمه وجده، فلما ماتت

(١) الحسنی، سیرة المصطفی، ص ١٨٥

(٢) الحسنی، سیرة المصطفی، ص ٢٠٢-٢٠١

(٣) الحسنی، سیرة المصطفی، ص ٤٩

بكاهما وقال والدموع تنهمر من عينيه:اليوم ماتت أمي وكفنهما بقميصه ونزل في قبرها واضطجع فيه، وصنع ما لم يصنعه مع مسلم قبلها^(١). وفي هذه الأجواء الإيمانية والرسالية نشأ علي (عليه السلام) وانشد قلبه للنبي (صلى الله عليه وآلـه)، وتعلم من أبيه من هو محمد، وما هي مكانته، وما يجب عليه من دور في اتباعه والاقتداء بأخلاقه، وبذل كل غالٍ ورخيصٍ في سبيل المحافظة عليه وعلى رسالته التي أشرقت على العالم بنور الإسلام وتعاليمه السامية.

٢- الرعاية النبوية الخاصة

تلقى الرسول (صلى الله عليه وآلـه) علياً في صغره، فكان المربى الخاص له، فاكتسب منه كل الكمالات الأخلاقية والروحية والإنسانية، وقد تحدث الإمام علي (عليه السلام) عن هذه التربية الخاصة فقال: «وقد علمت موضعـي من رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضمنـي في حجرـه، وأنا ولد يضمـنـي إلى صدرـه، ويكتـفـني إلى فراشه، ويـمـسـنـي جـسـده، ويـشـمـنـي عـرـفـه، وـكـانـ يـمضـغـ الشـيـءـ فـيـلـقـمـنـيـهـ، وـمـاـ وـجـدـ لـيـ كـذـبـةـ فـيـ قـوـلـهـ، وـلـخـطـلـةـ فـيـ فعلـهـ»^(٢).

ولم يعرف التاريخ عن علاقة متميزة بين المربى وتلميذه كما جاء في سيرة الرسول (صلى الله عليه وآلـه) وتعاملـهـ الخـاصـ معـ عليـ (عليـهـ السلامـ)، يقول الإمام عن ذلك الانشـادـ بينـهـماـ: «وـلـقـدـ كـنـتـ أـتـبعـهـ اـتـبـاعـ الفـصـيـلـ إـثـرـ أـمـهـ،

(١) الحسني، سيرة المصطفى، ص ٥٠

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤١١

يرفع لي في كل يوم من أخلاقه على، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراً فرأه لا يراه غيري، ولم يجمع بيته واحد في الإسلام غير رسول الله، صلى الله عليه وآله، وخدیجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة»^(١).

وقد اجتمعت في الإمام علي (عليه السلام) صفات وسمات الإمامة والقيادة منذ بداية تفتح قواه الذهنية والجسدية، وجاء في سيرته ما يكشف لنا المسار الرباني في الإعداد الخاص لهذه الشخصية العظيمة. فقد جاء في سيرته أن أمّه فاطمة بنت أسد جاءت إلى أبي طالب تبشره بمولد النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال لها أصبري سبتاً أبشرك بمثله إلّا النبوة، وأضاف إلى ذلك أن السبّت ثلاثون سنة، وكان بين مولد النبي وبين مولد علي ثلاثون سنة، وقيل خمس وعشرون^(٢). وذكر الرواة عن أمّه فاطمة بنت أسد أنها لما وضعته امتنع عن ثديها ثلاثة أيام، وكان محمد بن عبد الله يغذيه فيها من ريقه يلقمه لسانه، فلا يزال يمتص منه وهو في فمه حتى يرتوى ويُشبع^(٣).

وقد احتضن النبي (صلى الله عليه وآله) الإمام علي في صغره حين ألم بعمه ضائقه مالية شديدة، وقد قال (صلى الله عليه وآله) في ذلك لأعمامه العباس وحمزة: «اخترت من اختاره الله عليكما» يعني بذلك علياً، فكان الإمام في حجر رسول الله وفي ذري عطفه وموته^(٤).

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤١١

(٢) الحسني، سيرة الأئمة الإثنى عشر، ج ١، ص ١٥٣

(٣) الحسني، سيرة الأئمة الإثنى عشر، ج ١، ص ١٥٤

(٤) القرشي، موسوعة أمير المؤمنين، ج ١، ص ٧١

وقد تعهد الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كَمَا هُوَ ثَابِتٌ فِي التَّارِيخ بِتَرْبِيَتِهِ وَإِعْدَادِهِ بَعْدَ أَنْ اخْتَارَهُ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِ^(١)، وَقَدْ قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ فِي ذِيلِ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدَّثَ﴾، ذَكَرَ حَدِيثًا قَالَ فِيهِ: فَقَالُوا لَهُ -يَعْنِي لَعْلَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)- فَحَدَّثَنَا عَنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ: «مَهْلاً قَدْ نَهَى اللَّهُ عَنِ التَّزْكِيَّةِ»، فَقَيْلَ لَهُ أَلِيَّسَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدَّثَ﴾؟ فَقَالَ: «إِنِّي أَحَدُهُ، كُنْتُ إِذَا سُئِلْتُ أُعْطِيَتْ، وَإِذَا سُكِّتْ أُبَدِّيَتْ، وَبَيْنَ الْجَوَانِحِ عِلْمٌ جَمٌ فَاسْأَلُونِي»^(٢).

وَذَكَرَ فِي كَنْزِ الْعَمَالِ عَنْ عَلَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّهُ قَالَ: «عَلِمْنِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أَلْفَ بَابٍ مِنْ كُلِّ بَابٍ يُفْتَحُ لَهُ أَلْفُ بَابٍ»^(٣). وَرُوِيَ فِي الْاسْتِيعَابِ لَابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ بِسَنْدِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: وَاللَّهُ لَقَدْ أَعْطَى عَلَيْهِ بْنَ أَبِي طَالِبٍ تِسْعَةً أَعْشَارَ الْعِلْمِ، وَأَيْمَ اللَّهُ لَقَدْ شَارَكُوكُمْ فِي الْعَشْرِ الْعَاشِرِ^(٤).

وَمِنْ صُورِ الْإِهْتِمَامِ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بِالْإِمَامِ عَلَى الْعُنَيْدِيِّ الَّتِي أَوْلَاهَا لَهُ وَهُوَ يَقْدِمُ فِي سَنَةٍ، فَكَانَ الْمَعْلُومُ وَالْمَرْبُى الْخَاصُّ الَّذِي يَفْرَدُ لَهُ أَوْقَاتًا خَاصَّةً لِيَخْلُوْ بِهِ وَيُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ كُلِّ عِلْمٍ، وَقَدْ بَيَّنَ الْإِمَامُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:

«وَلَقَدْ كُنْتُ أَنَا أَدْخُلُ كُلَّ يَوْمٍ دَخْلَةً فِي خَلِينِي مَعَهُ أَدْوَرٌ فِيهَا مَعَهُ حِيشَانِ دَارٍ، عَلِمْ ذَلِكَ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ لَمْ يَصْنَعْ ذَلِكَ بِأَحَدٍ غَيْرِيِّ، وَلَرَبِّمَا أَتَانِي فِي بَيْتِي وَإِذَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ مَنَازِلَهُ أَخْلَانِي وَأَقَامَ نِسَاءُهُ، فَلَا يَقْنِي أَحَدٌ عِنْهُ غَيْرِيِّ، كُنْتُ

(١) الحسنی، سیرة الأئمۃ الإثنتی عشر، ج ١، ١٥٥

(٢) الفیروزآبادی، فضائل الخمسة، ج ٢، ص ٢٣٣

(٣) الفیروزآبادی، فضائل الخمسة، ج ٢، ص ٢٣٢

(٤) الفیروزآبادی، فضائل الخمسة، ج ٢، ص ٢٣١

إذا سألت أجابني، وإذا سكت وفنيت مسائلٍ ابتدأني، وما نزلت عليه آية في ليل ولا نهار ولا سماء ولا أرض ولا دنيا ولا آخرة، ولا جنة ولا نار ولا سهل ولا جبل ولا ضياء ولا ظلمة إلّا أقرأتها وأملأها علي فكتبتها بيدي، وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشبهها وخاصتها وعامتها وأين نزلت وفيم نزلت إلى يوم القيمة»^(١).

وأما عن دور الإمام في مناصرة رسول الله ودعوته، فقد كان الإمام علي (عليه السلام) مرافقاً ومسانداً للرسول ومدافعاً عنه منذ صغره. فحين كان صغاراً أولاد قريش يرمونه بالحجارة، ويقذفون عليه التراب، ويصيحون وراءه ساحر ومجنون، كان الإمام يوقع بهم الضرب واللطم، فينهزمون إلى أماهاتهم وأباهم، وكان ذلك أول جهاد له في سبيل الإسلام^(٢).

ولقد شب الإمام (عليه السلام) موحداً الله سبحانه وسبحانه ومنكراً كل أحوال الجاهلية وسيئاتها من عبادة للأصنام، وارتكاب للفواحش، وانتهاك للحرمات بعد أن امتنجت فيه روح الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فأدرك حقائق الكون ونوميس بقائه وأصبح مثلاً أعلى في صفاته ومواهبه، وهو القائل: «لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة بسبعين سنين»^(٣). فلذلك لم يجد الإمام آية صعوبة في الإيمان بدعوة ابن عمّه والوقوف معه مدافعاً ومؤازراً له في جميع مراحل دعوته، وقد قال (عليه السلام) عن هذا الأمر: «ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أني لم

(١) الحراني، تحف العقول، ص ١٣٦-١٣٧

(٢) القرشي، موسوعة أمير المؤمنين، ج ١، ص ٧٢

(٣) الحسني، سيرة الأئمة الإثنى عشر، ج ١، ص ١٥٥

أرد على الله، ولا على رسوله، ساعة قط، ولقد واسيته بمنفي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام، نجدة أكرم مني الله بها»^(١).

وحينما صدح الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بالدعوة إلى الأقربين كما أمره الله تعالى: «وَأَنذِرْ عَشِيقَكَ الْأَقْرَبِينَ»، كلف الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الإمام علي أن يصنع طعاماً ويجمع أقرباءه ليكلمهم بما أمره الله، فصنع علي لهم الطعام، فلما أكلوا وشربوا قال لهم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بمثل ما جئتم به، لقد جئتم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربِّي أن أدعوكم إليه، فأياكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيٍّ وخليفتكم فيكم من بعدي»، فأحجم القوم غير علي (عليه السلام)، فقام وهو أحد them سنا وأرمضهم عيناً وأحمشهم ساقاً، وقال: «أنا يا نبي الله» فأمره النبي بالجلوس وكرر عليهم مقالته، فلم يستجب له أحد غير علي أيضاً. فلما رأى النبي إحجامهم وإصرار علي (عليه السلام) أخذ برقبته وقال: «إن هذا أخي ووصيٍّ وخليفتكم فيكم فاسمعوا له وأطاعوا»، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك محمد أن تسمع لابنك وتطيع»^(٢).

ونستطيع القول، إن هذه المدة التي قضاها الإمام علي (عليه السلام) في كنف الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في طفولته وشبابه المبكر والرعاية الخاصة التي أولاها له، وما تلقاه من توجيهات وإرشادات ووصايا تربوية خاصة

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٢٤

(٢) الحسنی، سيرة المصطفى، ص ١٢٩ - ١٣٠

من الرسول الأكرم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في بداية الدعوة الإسلامية قد ساهمت بصورة مباشرة في تكوين شخصيته القيادية والرسالية، وأعدته لما خططت له السماء من مهام وأدوار في نصرة الإسلام والمسلمين، بل أعدته للدور التاريخي الكبير الذي قام به بعد استلامه الخلافة في عام ٣٥ هـ.

٣- علي والقرآن

٢٧

لقد كان للقرآن أثره العظيم في تكامل شخصية الإمام، فقد كان يسمعه من رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ويتلقّفه بأذن واعية، وقلب طاهر، ونفس زاكية لم يخالطها الشك طرفة عين أن الحق ما أتى به ابن عمّه الرسول الكريم. وقد بلغ الإمام علي المنزلة المتقدمة بين الصحابة في فهم القرآن وتفسيره، وجاء في كتاب حلية الأولياء ما يشير إلى ذلك في حديث لرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)؛ إذ قال لعلي (عليه السلام): «يا علي إن الله أمرني أن أدنيك وأعلمك لتعي، وأنزلت هذه الآية: ﴿وَتَعِيهَا أُذْنٌ وَاعِيَةٌ﴾، فأنت إذن واعية لعلمي»^(١). وجاء في الكتاب نفسه عن علي (عليه السلام) قوله: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت، إن ربي وهب لي قلبا عقولا، ولسانا سؤولا»^(٢)، وروى أبو نعيم بسنده عن ابن مسعود قوله: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا له ظهر وبطن، وإن علي بن أبي طالب (عليه السلام) عنده علم الظاهر والباطن^(٣).

(١) الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ١، ص ٦٧

(٢) الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ١، ص ٦٥

(٣) الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ١، ص ٦٥

وقد بلغ الإمام علي (عليه السلام) المرتبة المتقدمة على غيره من الصحابة في إحاطته بالقرآن علىًّا وتفسيراً، فجعل يخاطب الناس بقوله: «والله إني أعلم بالقرآن وتأويله من كل مدع علمه، ولو لا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيمة» - ثم قال -: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو سألتمني عن آية آية، لأخبرتكم بوقت نزولها وفي من نزلت، وأبياتكم بناسخها من منسوخها، وخاصتها من عامها، ومحكمها من متشابهها، ومكيها من مدنيها، والله ما فئة (تضل أو تهدى) إلّا وأنا أعرف قائدتها وسائقها وناعقها إلى يوم القيمة»^(١).

وقد اقتربت حياة الإمام علي (عليه السلام) بالقرآن منذ تلقيه على يد رسول الله، فكان خير متعلم وقارئ له، ومسجد لمضامينه وأهدافه في عقيدته وسلوكه وجهاده، وقد انعكس هذا الإيمان في أقواله وخطبه حيث امتنع روحه القرآنية بقريحته فأصبحت صدى للقرآن في حديثه وكلامه، وقد قال ابن الجوزي عن ذلك: كان علي (عليه السلام) ينطق بكلام قد حف بالعصمة، ويتكلّم بميزان الحكمة، كلام ألقى الله عليه المهابة، فكل من طرق سمعه راعه فهابه، وقد جمع الله له الحلاوة والملاحة والطلاوة والفصاحة لم يسقط منه كلمة ولا بارت له حجة، أعجز الناطقين، وحاز قصب السبق في السابقين، ألفاظ يشرق عليها نور النبوة ويخير الأفهام والألباب^(٢).

(١) المفيض، الإرشاد، ج ١، ص ٣٥

(٢) ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ج ١، ص ٤٨٥

وكانَت العلاقة بين الإمام علي (عليه السلام) والقرآن ممتدة عبر المراحل المختلفة للدعوة الإسلامية، فقد ارتبط الإمام منذ بدايتها بالقرآن حين نزل الوحي على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْتَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١)، وبعد الهجرة المباركة كان علي (عليه السلام) مخصوصاً بخلوات مع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لا يطالع أحد من الناس على ما يدور بينهما، وكان (عليه السلام) كثيراً ما يسأل النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عن معاني القرآن ومعانٍ كلامه، وإذا لم يسأل ابتدأه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بالتعليم والتثقيف، وروي أنه قال: «كنت إذا سألت رسول الله أعطاني، وإذا سكت ابتدأني»^(٢).

وكان الإمام علي (عليه السلام) المنظور إليه في علوم القرآن، إذ اتفق الجميع على حفظه للقرآن على عهد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وعندما رحل الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) تشاغل بجمع القرآن، وهذا يدل على أنه أول من جمعه، وإذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراءة كلهم يرجعون إليه، كأبي عمرو بن العلاء، وعاصم بن أبي النجود وغيرهما، لأنهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمي القارئ، وأبو عبد الرحمن كان تلميذه، وعنده أخذ القرآن، فقد صار هذا الفن من الفنون التي تنتهي إليه أيضاً^(٣).

وفي رواية أن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال في مرض موته: «أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً، فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القول

(١) سورة العلق، الآية ١

(٢) الحراني، تحف العقول، ص ١٣٦

(٣) ابن أبي الحيد، شرح النهج، ج ١، ص ١٨

معذرة إليكم: ألا إني مخلف فيكم كتاب ربى عز وجل، وعترقي أهل بيتي، ثم أخذ بيده علي (عليه السلام) فرفعها فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا على الحوض فاسألوهما ما خلفت فيهما^(١). وهذه الرواية تؤكد ليس فقط أن الإمام على علم بالقرآن وتفسيره بل إنه توجد وحدة معنوية بينهما، فالقرآن هو الكتاب الصامت، وعلى هو القرآن الناطق كما ورد عنه (عليه السلام)، فمن أراد علم القرآن ومعرفته فعليه أن يرجع إلى الإمام.

ثانياً. البيئة السياسية والاجتماعية

شكلت البيئة السياسية والاجتماعية التي عاش فيها الإمام (عليه السلام) مسرحاً لأحداث ومواقف متنوعة زاخرة بالبطولات والإنجازات في تاريخ الإسلام وامتد أثرها حتى يومنا هذا، وحيث إننا لا يمكن أن نرى وجوداً للإسلام دون تضحيات وجهاد عليٌّ في بدر، وأحد، وحنين وبباقي معارك الإسلام الفاصلة؛ وإننا كذلك لا يمكننا أن نعرف في هذه الدنيا بعد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) شخصية جسدت الفضائل الخلقية كلها، والكلالات الإنسانية، والعقل الحكيم، والبلاغة والفصاحة اللغوية غير الإمام علي (عليه صلوات الله وسلامه) وهذا ما أكدته الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في العديد من المناسبات، ومن ذلك قوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «علي باب علمي، ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي، حبه إيمان، وبغضه نفاق، والنظر إليه

(١) الفيروز آبادي، فضائل الخمسة، ج ٢، ص ١١٣

وعن ابن عباس أن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال: «عَلَيْ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَعْلَمُ أُمَّتِي، وَأَقْضَاهُمْ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ بَعْدِي»^(٢). وجاء في مخاطبة الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لابنته فاطمة (عليه السلام) قوله لها: «أَمَا تَرْضَيْنِي أُنْي زَوْجَتَكَ أَوْلَى الْمُسْلِمِينَ إِسْلَامًا، وَأَعْلَمُهُمْ عِلْمًا، فَإِنَّكَ سَيْدَةُ نِسَاءِ أُمَّتِي كَمَا سَادَتْ مَرِيمَ قَوْمَهَا، أَمَا تَرْضَيْنِي يَا فاطِمَةً إِنَّ اللَّهَ اطْلَعَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَاخْتَارَ مِنْهُمَا رَجُلَيْنِ، فَجَعَلَ أَحَدَهُمَا أَبَاكَ، وَالْآخَرَ بَعْلَكَ»^(٣).

وجاء في حديث لرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لفاطمة (عليه السلام) عن تفرد وتميز الإمام في مناقبه، فقال: «يَا فاطِمَةً، إِنَّ لِعِلْيِ ثَمَانِيَةِ أَصْرَافٍ قَوَاطِعَ لَمْ تَجِعَ لِأَحَدٍ مِّنَ الْأُولَائِنِ وَالآخِرِينَ: هُوَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَيْسَ لِذَلِكَ لِغَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ، وَأَنْتَ - يَا فاطِمَةً - سَيْدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ زَوْجَتِهِ، وَسَبِطُ الرَّحْمَةِ سَبِطَاهُ وَلَدُهُ، وَأَخْوَهُ الْمَزِينُ بِالْجَنَاحَيْنِ فِي الْجَنَّةِ يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ حَيْثُ يَشَاءُ، وَعِنْدَهُ عِلْمُ الْأُولَائِنِ وَالآخِرِينَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِي وَآخِرُ النَّاسِ عَهْدَابِي، وَهُوَ وَصِيُّ وَوَرَاثَ الْأَوْصِيَاءِ»^(٤).

وإذا نظرنا إلى سيرة علي (عليه السلام) فإنه يمكننا القول: إن شخصية الإمام علي الرسالية والقيادية قد تشكلت عبر الزمن في مراحل عمرية مختلفة، وكانت المرحلة الأولى هي بداية البعثة النبوية والدعوة للإسلام في

(١) القرشي، موسوعة أمير المؤمنين، ج ١، ص ١٧٢

(٢) المفید، الإرشاد، ج ١، ص ٣٣

(٣) الفیروزآبادی، فضائل الحمسة، ج ٢، ص ٢٤٣

(٤) المفید، الإرشاد، ج ١، ص ٣٧

مكة وما رافقها من مصاعب ومحن اجتماعية ودينية، وجاءت المرحلة التالية لها حين هاجر رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى المدينة وتم تأسيس المجتمع الإسلامي، وأما المرحلة الثالثة فقد جاءت بعد رحيل رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وما أعقبها من خلاف على الحكم والسلطة، وقد عاصر الإمام في هذه الفترة الخلفاء الثلاثة، وكانت المرحلة الرابعة قد بدأت مع مبايعته للخلافة بصورة جماهيرية واسعة في عام ٣٥ هـ وما رافقها من أحداث جسام، وظهور لرایات الضلال والفتن والأهواء. وأما المرحلة الأخيرة فقد حانت حين ودع الإمام الحياة شهيداً في محراب العبادة، وما تلى من ذلك من تحولات في ميزان القوة لصالح معسكر الضلال الذي يقوده معاوية وأصحابه من الشام.

١- المرحلة المكية (بداية الطريق)

لقد ولد الإمام علي في حضن الإسلام والإيمان وترعرع فيه، وكان هو وابن عمّه وزوجته خديجة أول الناس إسلاماً، كما يقول الإمام (عليه السلام) في خطابه: **ولم يجمع بيت واحد في الإسلام غير رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**، وخديجة، وأنا ثالثهما. وجاء في رواية المجلسي تأكيد لما قاله الإمام، فقد قال الراوي: إن أبا طالب دخل البيت الذي فيه رسول الله وكان معه ولده جعفر، فوجد النبي يصلي، وعلى خديجة يصليان خلفه، فقال لولده جعفر: تقدم وصل جناح ابن عمك فانضم إليها جعفر ووقف يصلي معهما إلى الجانب الآخر^(١).

(١) الحسنی، سیرة الأئمة الإثنى عشر، ج ١، ص ١٦٥

وفي هذه المرحلة اندمجت جميع قوى الإمام علي (عليه السلام) ومكوناته الروحية، والعقلية، والوجدانية في الدفاع عن النبي ونصرة الدين الذي أتى لدعوة الناس ليخرجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، وكانت على (عليه السلام) مواقفه البطولية في مواجهة ابن عمه ومشاركته في هموم الرسالة ومتاعبها وألامها، فكان نصيره في شعب أبي طالب لثلاث سنوات، وكان المرافق له في جولاته وهو يطوف بالناس لدعوتهم للدين الجديد، وأصبح الجندي المحامي والمدافع عن رسول الله في كل زمان ومكان يوجد فيه بصدق وإخلاص. وعندما ضاق صدر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما تراكمت عليه من أحداث واشتدت قريش في تحديه وإيذائه بعد وفاة عمه أبي طالب، ولم يعد في من تهابه قريش وترعى له حرمة، ولم يجد من القبائل التي عرض عليها دعوته تجوباً وإقبالاً، ففي الطائف رفضت ثقيف أن تسمع له أو تقبل منه شيئاً، وأغرت به الصبيان والخدم والعيid فرشقوه بالحجارة حتى أصيب في أكثر من موضع في جسده الشريف، كما أصيب علي وزيد حيث كان يرافقانه في هذه الرحلة^(١)، وكان لعلي نصيبه من الجراحات والأذى كما كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وهذه كانت البداية فقط، فالمستقبل يحمل الكثير لابن أبي طالب فيما سيتحمله من جراحات وألام في المعارك التي سيخوضها مع الرسول وبعد رحيله.

ولم يكتف الإمام علي (عليه السلام) بتلك المهمة فقط ليظهر حبه وإخلاصه للرسول ورسالته، بل ذهب بعيداً في إثارة وتضحياته، فكان جوابه لرسول

الله حينما أمره بالمبيت في فراشه: أو تسلم يا رسول الله إن فديتك بنفسك، قال له النبي (صلى الله عليه وآله) نعم بذلك وعدني ربى بعد أن أخبره عن عزم قريش باغتياله في فراشه وخطته لخروجه من مكة، وتقدم الإمام علي (عليه السلام) إلى الفراش -بعد أن اطمأنَّ على سلامة الرسول- بنفس واثقة ورباطة جأش، واتسح ببردة الحضرمي التي اعتاد أن يتسلح بها^(١).

وعلق الأستاذ جورج جرداق على هذه الحادثة، فقال: لقد كان علي بمعاشرته هذه يمثل استمرا را المحمد، وكانت تصحيحته من روح المقاومة التي عرف بها ابن عميه العظيم، وكان مبيته في فراش النبي تزكية للدعوة وحافظا على الجهد الطويل، ثم إن في هذه المعاشرة ما يوجز الحقيقة عن الإمام وطبعاه ومزاجه، فإذا هي صادرة عنه كما تصدر الأشياء عن معادنها دون تكلف ودون إجهاد، وفيها نموذج الذهني المبكر الذي جعله يدرك حقيقة الدعوة التي يدق فهمها فيها صحيحاً على من كان في مثل سنها. وفيها زهرة بالحياة إذ لم تكن عمر المكارم الأخلاق، وفيها صدقه المر وخلاصه العجيب، وفيها عدله بين نفسه وبين سواه من أهل الجهد وما يتواهه من نصرة المظلومين والمستضعفين إذا قتل هو ونجحت الرسالة على يدي صاحب الهجرة، وفيها مواجهة الأمور بسماحة وبساطة لا يعرف معها إلى الكلفة سبيلاً، وفيها المرونة والوفاء والطيبة والشجاعة وسائر صفات الفروسية التي يمثالها على بن أبي طالب، بل هي شيء من استشهاده الم قبل!^(٢)

(١) الحسني، سيرة الأئمة الإثنى عشر، ج ١، ص ١٧٩-١٧٨

(٢) جرداق، علي صوت العدالة الإنسانية، ج ١، ص ٥٧-٥٨

٢- المرحلة المدنية (المجتمع الجديد)

وصل الإمام علي إلى المدينة برفقة الفواطم بعدما أرجع الأمانات إلى أهلها، حيث مكث الرسول أيامًا في منطقة «قبا» في انتظار أخيه الإمام علي (عليه السلام)، وقد عدل الرسول (صلى الله عليه وآلـه) تأخره عن دخول يشرب بقوله: «لست أريم حتى يقدم ابن عمـي وأخي في الله - عز وجل - وأحب أهل بيتي إلى، فقد وقـاني بنفسـه من المـشـركـين»^(١)، وكانت أولى إنجازات النبي (صلى الله عليه وآلـه) في قـبا هو بنـاء المسـجد الأول في الإسلام، كما جاءـ في رواية الكلينـي، وروـي عن عـلي بن الحـسين (عليـه السـلام) أنه قال: قـدم عـليـه السـلام) والنـبيـ (صـلى اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ) في بـيتـ بـنـيـ عـمـروـ بـنـ عـوفـ فـنزـلـ مـعـهـ ثـمـ تـحـولـ إـلـىـ سـالـمـ بـنـ عـوفـ وـعـلـيـ مـعـهـ، فـخـطـ (صـلى اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ) مـسـجـداـ، وـنـصـبـ لـهـمـ قـبـلـتـهـ إـلـىـ بـيـتـ الـمـقـدـسـ وـصـلـىـ بـهـمـ فـيـهـ الـجـمـعـةـ رـكـعـتـينـ وـخـطـبـ خـطـبـتـيـنـ^(٢).

وعندما وصل يشرب ساهم الرسول (صـلى اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ) ومن معـهـ من المؤمنـينـ في بنـاءـ أولـ مـسـجـدـ مـرـكـزـيـ قـبـلـ أنـ يـبـنـيـ لـنـفـسـهـ بـيـتاـ أوـ مـسـكـنـاـ، وـاتـخـذـهـ مـرـكـزاـ لـلـصـلـاـةـ، وـرـمـزاـ لـلـوـحـدـةـ، وـمـقـرـاـ لـلـحـكـمـ وـالـقـضـاءـ، وـمـدـرـسـةـ لـلـتـرـيـةـ وـالـعـلـيـمـ وـمـحـلـاـ لـلـتـعـبـيـةـ الـعـسـكـرـيـةـ فـيـماـ بـعـدـ^(٣). وـبـعـدـ أـنـ يـبـنـيـ الـمـسـجـدـ شـرـعـ الرـسـولـ (صـلى اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ) في بنـاءـ دـارـ لـهـ بـجـانـبـ الـمـسـجـدـ وـانتـقـلـ إـلـيـهاـ منـ دـارـ أـبـيـ أـيـوبـ الـأـنـصـارـيـ، وـذـلـكـ بـعـدـ سـبـعـةـ أـشـهـرـ مـنـ الـهـجـرـةـ النـبـوـيـةـ الـمـبـارـكـةـ.

(١) لـجـنةـ التـارـيخـ، تـارـيخـ الإـسـلامـ، جـ ١ـ، صـ ١٥٩ـ

(٢) لـجـنةـ التـارـيخـ، تـارـيخـ الإـسـلامـ، جـ ١ـ، صـ ١٦٠ـ - ١٦١ـ

(٣) لـجـنةـ التـارـيخـ، تـارـيخـ الإـسـلامـ، جـ ١ـ، صـ ١٦١ـ - ١٦٢ـ

ومن الخطوات الأولى للرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في تأسيس هذا المجتمع في المدينة هي البدء بتشريع صلاة الجنائز، وتشريع الأذان، وتلي ذلك المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين، وتحديد معالم السياسة الداخلية والخارجية للدولة الجديدة.^(١)

وفي المدينة بدأت الملامح الجديدة للمجتمع الفتى الذي ينشأ ويتطور بقيادة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وبات رسول الله وصحابته الكرام يستعدون لمرحلة جديدة من الجهاد؛ إذ تطورت الأحداث بصورة تؤكد وقوع المواجهة مع قريش بعدما أوغلت قريش في التضييق على المسلمين في المدينة وعلى من تبقى منهم في مكة، وكان عليًّا هو فارس هذه المعارك وبطلاها الذي لا يضارع، وكان لسيفه وشجاعته الخاصة القول الفصل في تحريك تاريخ الإنسانية نحو عهد جديد، تكون فيه الغلبة لقوى الإيمان والخير والسلام على قوى الشر والظلم والعدوان القابعة هناك في مكة.

وقد توالت معارك المسلمين ضد المنافقين والشركين في المدينة وما حولها لتشييد أركان الدولة الإسلامية والتي سميت بالغزوات والسرایا والتي بلغ عددها تسعاً في العام الثاني للهجرة، كما جاء في كتاب تأريخ الإسلام^(٢). وقد شارك الإمام علي في جميع حروب النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) باستثناء معركة تبوك، التي استخلفه في حينها واليها على المدينة؛ لحفظ الجبهة الداخلية وحمايتها من المنافقين، وقد قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لعلي

(١) لجنة التاريخ، تأريخ الإسلام، ج ١، ص ١٦٣-١٦٥

(٢) لجنة التاريخ، تأريخ الإسلام، ج ١، ص ١٧٦-١٧٧

بخصوص هذا الأمر: «يا علي إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك». وحين أشاع المنافقون حول بقاء علي في المدينة استقال الرسول له أسرع الإمام علي (عليه السلام) فلحق بالرسول على مقربة من المدينة، وقال له: «يا نبی الله زعم المنافقون أنك خلقتني أنك استقلتني وتخففت مني». فقال صلی الله عليه وآلہ: «كذبوا ولكنني خلقت لما تركت ورائي، فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلاترضي يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبی بعدي»^(١).

ولم يقتصر تميز علي (عليه السلام) في المجال العسكري فحسب، بل كانت له هناك مواقف وأحداث كشفت عن مواهبه المتعددة في القضاء، والحكم والسياسة، والعلم والمعرفة، وكان له السبق في كل الم Yadīn، وكان الرسول (صلی الله عليه وآلہ) يتحدث دائمًا عن فضائله ومناقبه في كل مناسبة. وهذه طائفة من أقواله (صلی الله عليه وآلہ): قال رسول الله (صلی الله عليه وآلہ): «من كنت مولاه فهذا مولاه، ومن كنت ولية، فهذا ولية اللهم وال من ولاه، وعاد من عاده»^(٢)، وقال (صلی الله عليه وآلہ): «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبی بعدي»^(٣)، وقال رسول الله (صلی الله عليه وآلہ): «أنت أخي في الدنيا والآخرة»^(٤)، وقال رسول الله (صلی الله عليه وآلہ): «لولاك ما عُرف المؤمنون بعدي»^(٥). وعن جابر بن عبد الله أن النبي (صلی الله عليه

(١) لجنة التاريخ، تاريخ الإسلام، ج ١، ص ٢٣١-٢٣٢

(٢) ابن المغازى، مناقب علي بن أبي طالب، ص ١٨

(٣) ابن المغازى، مناقب علي بن أبي طالب، ص ٢٨

(٤) ابن المغازى، مناقب علي بن أبي طالب، ص ٣٧

(٥) ابن المغازى، مناقب علي بن أبي طالب، ص ٧٠

وآلـهـ) أخذ بعـضـدـ عـلـيـ، فـقـالـ: «هـذـاـ أمـيـرـ الـبـرـةـ وـقـاتـلـ الـكـفـرـةـ منـصـورـ منـ نـصـرـهـ مـخـذـولـ مـنـ خـذـلـهـ»^(١)، وـعـنـ اـبـنـ عـبـاسـ قـالـ: قـالـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـصـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ): «أـنـاـ مـدـيـنـةـ الـعـلـمـ وـعـلـيـ بـاـبـهـاـ، فـمـنـ أـرـادـ الـعـلـمـ فـلـيـأـتـ مـنـ الـبـابـ»^(٢)، وـعـنـ اـبـنـ عـبـاسـ أـيـضـاـ: قـالـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ): «أـنـاـ مـدـيـنـةـ الـحـكـمـةـ وـعـلـيـ بـاـبـهـاـ، فـمـنـ أـرـادـ مـنـ الـحـكـمـةـ فـلـيـأـتـ مـنـ الـبـابـ»^(٣). وـفـيـ حـدـيـثـ لـفـاطـمـةـ قـالـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ): «يـاـ فـاطـمـةـ لـعـلـيـ ثـمـانـيـةـ أـضـرـاسـ ثـوـاقـبـ: إـيمـانـ بـالـلـهـ وـرـسـوـلـهـ وـحـكـمـتـهـ، وـتـزـوـيجـهـ فـاطـمـةـ، وـسـبـطـاهـ الـحـسـنـ وـالـحـسـينـ، وـأـمـرـهـ بـالـمـعـرـوفـ وـنـهـيـهـ عـنـ الـمـنـكـرـ، وـقـضـاهـ بـكـتـابـ اللهـ عـزـوـجـلـ»^(٤).

٣- مرحلة ما بعد رحيل رسول الله

لا شك في أن وفاة الرسول (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـصـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ) أـحـدـثـ صـدـمـةـ كـبـيرـةـ فيـ المـجـتمـعـ إـسـلـامـيـ، وـمـاـ أـعـقـبـ ذـلـكـ مـنـ اـخـتـيـارـ لـحاـكـمـ يـخـلـفـ الرـسـوـلـ بـوـاسـطـةـ اـتـفـاقـ تـمـ بـيـنـ زـعـمـاءـ الـمـهاـجـرـينـ وـزـعـمـاءـ الـأـنـصـارـ فـيـ دـارـ السـقـيـفـةـ^(٥). وـقـدـ مـهـدـ هـذـاـ الفـرـاغـ فـيـ السـلـطـةـ بـعـدـ رـحـيـلـ الرـسـوـلـ وـجـوـدـ تـيـارـيـنـ مـخـلـفـيـنـ فـيـ كـيـفـيـةـ التـعـاطـيـ مـعـ الرـسـالـةـ؛ فـهـنـاكـ فـرـيقـ تـمـسـكـ بـالـقـرـآنـ وـالـنـصـ النـبـويـ وـرـتـبـ عـلـيـهـ فـهـمـهـ لـلـإـسـلـامـ فـيـ جـيـعـ نـوـاحـيـهـ السـيـاسـيـةـ وـالـاـقـتـصـاديـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ، وـتـرـأـسـ هـذـاـ فـرـيقـ الـإـمـامـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ (عـلـيـهـ السـلـامـ)، وـأـمـاـ فـرـيقـ

(١) ابن المغازي، مناقب علي بن أبي طالب، ص ٨٠

(٢) ابن المغازي، مناقب علي بن أبي طالب، ص ٨١

(٣) ابن المغازي، مناقب علي بن أبي طالب، ص ٨٦-٨٧

(٤) ابن المغازي، مناقب علي بن أبي طالب، ص ١٠٢

(٥) الصدر، بحث حول الولاية، ص ٣٢-٣٥

الآخر - الذي يقوده زعماء الصحابة - فكانوا لا يرون بأسا في الاجتهد فيما يختص بمصالح الإسلام عن طريق التقييم للواقع والظروف المحيطة بالمسألة السياسية^(١).

وبناء على هذه القاعدة برر الفريق الثاني اختيار الخليفة الأول إنما جاء ليحقق وحدة الصف ومنع إثارة الحساسية القبلية تجاه الإمام علي (عليه السلام)! ولقد واجه الإمام علي هذه المحنة الشديدة والابتلاء الصعب بالصبر والتسليم لله، والقبول بما توافق عليه القوم، والسكوت عن المطالبة بحقه الشرعي في الخلافة درءاً للمخاطر وتحقيقاً لمصالح العليا للإسلام، وقال في ذلك قوله المشهورة عند مبادئه القوم لعثمان: لقد علمتم أنني أحق الناس بها من غيري، والله لا سلمت ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا على خاصة؛ التهاباً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه.^(٢)

وقد فصل الإمام علي (عليه السلام) الحديث عن محنته في هذه المرحلة في الخطبة المعروفة بالشقشمية، فقال: «أما والله لقد تقمصها فلان وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحمى، ينحدر عنى السيل ولا يرقى إلى الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرئي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويکدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه. فرأيت أن الصبر على هتا

(١) المصدر، بحث حول الولاية، ص ٧٤

(٢) عده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٥٢

أحجزى. فصبرت وفي العين قذى، وفي الخلق شجى، حتى مضى الأول لسيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده فيما عجبنا بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدة ما تشرطاً ضرعيها فصيرها في حوزة خشناه يغلط كلمها ويخشن مسها، ويكثر العشار فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبه، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها ت quam ، فمني الناس - لعمرا الله - بخبط وشماس، وتلون واعتراض. فصبرت على طول المدة وشدة المحن، حتى إذا مضى لسيله. جعلها في جماعة زعم أن أحدهم في الله وللشوري متى اعترض الريب في مع الأول حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر لكنني أسفت إذ اسفوا وطررت إذ طاروا . فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثليه ومعتلفه. وقام معه بنو أمية يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربع، إلى أن انتكث فتلهم وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته، فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إلى يتالون على من كل جانب، حتى لقد وطئ الحسان، وشق عطفاي، مجتمعين حولي كريضه الغنم فلما نهضت بالأمر، نكثت طائفة ومرقت أخرى، وقسط آخرون، كأن لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: ﴿تُلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

بدأ الإمام (عليه السلام) خطبته ببيان صبره وتجبرعه للغضص و هو يرى وحدته وغرتته في قوم أنكروا عليه حقه وصادروا موقعه في ميراث خلافة الرسول، وقد كان يخير نفسه بين نهوضه للمطالبة بحقه أو الصبر والتحمل

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٥٠-٥٦

ويطعننا هذا النص كذلك على عمق المحنـة التي عايشها الإمام علي (عليه السلام) وهو يرى اختلال موازين العدل في طريقة اختيار وتنصيب الخليفة تلو الخليفة، وإقصائه بلا مبرر شرعي أو عقلي لمنصب استحقه بعجـدارـته وبترشـحـه له من رسول الله في بيعة الغدير الشـهـيرـة الوارد ذكرـهاـ في كـتبـ الفـريـقـيـنـ! وـعلـيـنـاـ أنـنـسـأـلـ كـيـفـ كانـتـ عـوـاقـبـ التـدـبـيرـ القرـشـيـ فيـنـاهـيـ الـأـمـرـ؟ـ

لـقـدـ تحـولـتـ الخـلـافـةـ الإـسـلامـيـةـ إـلـىـ إـمـرـةـ،ـ وـإـثـراءـ فـاحـشـ غـيرـ مـشـروعـ،ـ وـابـتـعادـ

عـنـ الـعـمـلـ بـأـحـكـامـ الـقـرـآنـ وـالـسـنـةـ،ـ وـتـعـدـ عـلـىـ حـقـوقـ النـاسـ،ـ وـتـقـلـدـ لـوـلـةـ

فـاسـدـيـنـ أـمـورـ الـحـكـمـ مـاـ أـوـقـعـ الـمـسـلـمـيـنـ فـيـ تـلـكـ الفـتـنـةـ الـعـظـمـيـ الـتـيـ أـوـدـتـ

بـحـيـاةـ الـخـلـيفـةـ الـثـالـثـ،ـ وـقـدـ كـانـ عـلـيـ يـلـزـمـ الصـمـتـ طـيلـةـ رـبـعـ قـرـنـ وـلـاـ يـتـدـخـلـ

إـلـاـ فـيـ الـضـرـورةـ لـإـصـلـاحـ خـلـلـ عـارـضـ،ـ أـوـ بـيـانـ حـكـمـ شـرـعـيـ،ـ أـوـ إـعـطـاءـ

استـشـارـةـ إـذـاـ طـلـبـ مـنـهـ الـخـلـفـاءـ ذـلـكـ.

(١) شريعتى، على في محبته الثالث، ص ٩٢

وكانـت لهـ منـ المـواقـفـ المشـهـودـةـ معـهـمـ، فـحينـ تـضـيقـ الـأـمـورـ عـلـيـهـمـ لاـ يـجـدـونـ بـداـ منـ اللـجوـءـ إـلـيـهـ؛ لـأنـهـ يـعـلـمـونـ فيـ قـرـارـةـ أـنـفـسـهـمـ أـنـهـ أـعـلـمـهـمـ وـأـفـقـهـهـمـ بـالـدـيـنـ وـالـسـيـاسـةـ وـالـحـرـبـ، وـجـاءـ فيـ الـرـيـاضـ النـصـرـةـ أـنـ أـبـاـ بـكـرـ شـاـورـ عـلـيـ (عليـهـ السـلـامـ)ـ فـيـ قـتـالـ أـهـلـ الرـدـةـ بـعـدـ أـنـ اـخـتـلـفـ الصـحـابـةـ بـهـذـاـ الشـأـنـ، فـقـالـ لـهـ مـاـ تـقـولـ يـاـ أـبـاـ الـحـسـنـ؟ـ قـالـ:ـ أـقـولـ لـكـ إـنـ تـرـكـتـ شـيـئـاـ مـاـ أـخـذـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ)ـ مـنـهـ فـأـنـتـ عـلـىـ خـلـافـ سـنـةـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ،ـ قـالـ:ـ أـمـاـ إـنـ قـلـتـ ذـلـكـ لـأـقـاتـلـهـمـ وـلـوـ مـنـعـونـ عـقـالـ^(١).

وبـسـنـدـهـ عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ فـيـ صـحـيـحـ أـبـيـ دـاـوـودـ قـالـ:ـ أـتـىـ عـمـرـ بـمـجـنـونـةـ قـدـ زـنـتـ،ـ فـاسـتـشـارـ فـيـهـاـ أـنـاسـاـ فـأـمـرـ بـهـاـ عـمـرـ أـنـ تـرـجـمـ،ـ فـمـرـرـ بـهـاـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ (عليـهـ السـلـامـ)ـ فـقـالـ:ـ مـاـ شـأـنـ هـذـهـ؟ـ قـالـواـ:ـ مـجـنـونـةـ بـنـىـ فـلـانـ زـنـتـ،ـ فـأـمـرـ بـهـاـ أـنـ تـرـجـمـ،ـ قـالـ:ـ فـقـالـ:ـ اـرـجـعـوـهـاـ،ـ ثـمـ أـتـاهـ فـقـالـ:ـ يـاـ عـمـرـ أـمـاـ عـلـمـتـ أـنـ القـلـمـ قـدـ رـفـعـ عـنـ ثـلـاثـةـ؛ـ عـنـ الـمـجـنـونـ حـتـىـ يـبـرـأـ،ـ وـعـنـ النـائـمـ حـتـىـ يـسـتـيقـظـ،ـ وـعـنـ الـصـبـيـ حـتـىـ يـعـقـلـ؟ـ قـالـ:ـ بـلـ،ـ قـالـ:ـ فـمـاـ بـالـ هـذـهـ تـرـجـمـ؟ـ قـالـ:ـ لـاـ شـيـءـ،ـ قـالـ:ـ فـأـرـسـلـهـاـ،ـ قـالـ:ـ فـجـعـلـ عـمـرـ يـكـبـرـ^(٢).ـ وـفـيـ سـنـنـ الـبـيـهـقـيـ روـيـ بـسـنـدـهـ عـنـ أـبـيـ الـأـسـوـدـ الدـؤـلـيـ:ـ أـنـ عـمـرـ أـتـىـ بـاـمـرـأـةـ وـلـدـتـ لـسـتـةـ أـشـهـرـ فـهـمـ بـرـجـهـاـ،ـ فـبـلـغـ ذـلـكـ عـمـرـ فـسـأـلـهـ،ـ فـقـالـ:ـ ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتَمَّ الرَّضَاعَةُ﴾ـ،ـ وـقـالـ:ـ ﴿وَحَمَلْهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ـ،ـ فـسـتـةـ أـشـهـرـ حـمـلـهـ وـحـوـلـانـ

(١) الفيروزآبادي ، فضائل الخمسة، ج ٢، ص ٢٧١

(٢) الفيروزآبادي ، فضائل الخمسة، ج ٢، ص ٢٧٣

تمام رضاعه لا حد عليها^(١). وجاء في موطن الإمام مالك أن رجلاً كانت لديه امرأتان هاشمية وأنصارية، فطلق الأنصارية وهي ترضع، فمررت بها سنة ثم هلك عنها ولم تحضر فقالت: أنا أرثه لم أحض فاختصمتا إلى عثمان بن عفان فقضى لها بالميراث فلامت الهاشمية عثمان، فقال: هذا عمل ابن عمك هو وأشار علينا بهذا -يعني علي بن أبي طالب (عليه السلام)-^(٢).

وعندما تسلّم الإمام زمام الحكم، دارت الأيام فتنكرت الدنيا لعلي وخلافته، وأصبح منطق المصالح ومواريث القبيلة هو من يقود الأمة أحزاباً وجماعات، فقد رفع كل واحد منها رايته في وجه الإمام وهو الخليفة المنتخب؛ فبعضهم رفع شعارات الإصلاح والانتقام لدم عثمان وأزرهم حاكم الشام لأهدافه السياسية لكي يشيروا الفتنة الداخلية، وهم كانوا بالأمس من الذين ساهموا بالتحريض على الخليفة المغلوب على أمره وشاركوا في حصاره وقتله بينما اكتفى أقرباؤه من الحزب الأموي بالتفرج والخذلان له في اللحظات الحرجة. وفي الجانب الآخر رفع المتشددون والحمقى في جيش علي شعار «لا حكم إلا لله»؛ لنقض البيعة الشرعية التي هي في أعناقهم، والحكم على الأمور بالظنون والأهواء، وتعرض سلامة الأمة ودينها لشر عظيم!

٤- مرحلة الخلافة والحكم (خليفة المسلمين)

لقد كان قدر علي (عليه السلام) أن يأتي للخلافة في زمن قد عصفت فيه رياح التغيير، وسلط فيه مسلمو الفتح الفاسدين على مقاليد الأمور كالوليد

(١) الفيروزآبادي ، فضائل الخمسة، ج ٢، ص ٢٧٩

(٢) الفيروزآبادي ، فضائل الخمسة، ج ٢، ص ٣٠١-٣٠٠

بن عقبة، وعبد الله بن أبي السرج، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عامر، وسعيد بن العاص وغيرهم، فكانت هذه الجماعة هي العقبة الكثيرة الأولى في الطريق لحكم إسلامي نزيه قوي الأركان. ولم يكن للإمام خيار آخر غير التصدي لهذه الطبقة الفاسدة واقتلاع جذورها بعد أن ترسخ نفوذها في المجتمع الإسلامي، وذلك لأنه كان يسعى لأن يحتكم جميع المسلمين للكتاب والسنّة وينخلعوا من جديد ما أحدثه السابقون من بدعة واجتهادات لا تتفق وروح الإسلام ومبادئه! وأما الجماعة الأخرى التي ستقف في طريق حكومة علي (عليه السلام) هي تلك الطبقة الثرية المتنفذة من كبار الصحابة الذين تحولوا من مجاهدين ومناصرين للدعوة الإسلامية أيام الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى سهاسرة في المال والتجارة والتملك وبالخصوص في عهد الخليفة الثالث!

ويذكر المسعودي في كتابه: أن عثمان يوم قتل قد ترك خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وبلغت قيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار، وخلف خيولاً كثيرة وإبلًا، وفي أيام عثمان اقتني جماعة من الصحابة الضياع والدور، ومنهم الزبير بن العوام الذي بنى داره بالبصرة، وابتني دوراً له بمصر والköفـة والإسكندرية. وأما طلحـة بن عـبد الله التـيمي فقد ابتـنى دارـه بالköفـة المشـهورـة بدارـ الطـلـحـيـنـ، وـكانـتـ غـلـتـهـ منـ العـراـقـ كـلـ يومـ أـلـفـ دـيـنـارـ، وـقـيلـ أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ، وـشـيـدـ دـارـاـلـهـ بـالـمـدـنـةـ بـالـأـجـرـ وـالـجـصـ وـالـسـاجـ. وـعـلـىـ نـفـسـ الـمـنـوـالـ اـقـتـنـىـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ عـوـفـ دـارـهـ وـوـسـعـهـ، وـكـانـ عـلـىـ مـرـبـطـهـ مـائـةـ فـرـسـ، وـلـهـ أـلـفـ بـعـيرـ، وـعـشـرـةـ آـلـافـ [ـشـاةـ]ـ مـنـ الغـنـمـ، وـبـلـغـ بـعـدـ وـفـاتـهـ رـبـعـ ثـمـنـ مـالـهـ أـرـبـعـةـ وـثـمـانـيـنـ أـلـفـاـ. وـقـدـ ذـكـرـ سـعـيدـ بـنـ مـسـيـبـ أـنـ

زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياع والتي تقدر بمئه ألف دينار، ومات يعلى بن منية وخلف خمساً إثنتين ألف دينار، وديوناً على الناس، وعقارات، وغير ذلك من التركة ما قيمته ثلاثة وأربعين ألف دينار^(١).

وعندما جاء الناس لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ليسياعونه، كان عليٌّ يعلم أنَّ أمامة أيامَ عصبية. فالنبي عهد إليه بقتال الناكثين أولاً، وهذا يعني أنَّ من بين الذين سيسياعونه من سينقض البيعة ويقاتلها. ومن جهة أخرى فإنه أكثر الذين سيسياعونه لا يعلمون شيئاً عن مكانته من رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فكيف يخوض بهم المعارك وهو لم يسهر على تربيتهم وتدريبهم في وقت تطفح فيه خزائن الذهب والفضة عند أداء الدعوة^(٢). وكان علي الإمام (عليه السلام) أن يبيّن للناس الذين أقبلوا المبايعته حقيقة الأمور إذا تولى أمرهم، فقال لهم: «دعوني والتمسوغيري، فإنّا مستقبلون أمرَّ الله وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت، وأعلموا أنني إن أجبتكم ركبتم ما أعلم، ولم أصح إلى قول القائل، وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتمهوْ أمركم، وأنا لكم وزيرٌ خيرٌ لكم مني أميراً»^(٣).

وجاءت الأيام فصدق نبوءة علي بمستقبل الحكم الإسلامي في عهده، حتى قال عما حدث بعد ذلك: «فَلَمَّا نَهَضْتَ بِالْأَمْرِ، نَكَثْتَ طَائِفَةً وَمَرَقْتَ

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٦١-٢٦٢

(٢) أيوب، معلم الفتن، ج ١، ص ٤٥٩

(٣) عابد، نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٠٩

أخرى، وقسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: ﴿تُلْكَ الدَّارُ
الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بلى
والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقبهم زبر جها.
أما والذي فلق الحبة وبرا النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود
الناصر، وما أخذن الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب
مظلوم، لألفيت حبلها على غاربها، ولستقيت آخرها بكأس أوها، ولألفيت
دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز﴾^(١).

وكان الإمام علي (عليه السلام) يحمل هموماً كثيرة وهو يتسلّم الخلافة؛ فكان
مهما الأول أن يوحد الأمة، ويوطد أركان الدولة الجديدة، ويحمي حدودها،
وينشر مبادئ الإسلام في الآفاق. وكان همه (عليه السلام) أن يقيم مبادئ العدل،
 وأن يشيع مكارم الأخلاق، وأن يجعل المسلمين جديرين بأن يكون رسول الله
أسوة حسنة في حياتهم. وكان من همومه (عليه السلام) أن يختار ولاة يعلمون
الناس الدين، ويدافعون عن الحقوق والحرمات، ويستأدون الناس ما عليهم
من واجبات، وأن يكونوا من أولى العزم، حاسمين ورعين ينفعون بتقواهم
سود الناس، ولا من أولى القربى، وذوي الحظوة، ولا جلادين يضربون الناس،
ويتسلطون على رقاب العباد. وكان من ضمن اهتماماته أيضاً حفظ حقوق أهل
الذمة الذين أوصى الإسلام برعاية حقوقهم، وأن يعلم المسلمين أن أهل الذمة
أخوة ويجب معاملتهم بالحسنى وعدم بخس حقوقهم كما أوصى الله ورسوله،
وكان من همّه أيضاً أن يعود الناس لشجاعة الرأي والصدق والنصيحة كما كانوا

في سابق عهدهم أيام رسول الله^(١).

٥- مرحلة الانتقال إلى الرفيق الأعلى (شهيد المحراب)

أشعل هؤلاء المنحرفون عن دين الله ورسوله حرباً ثلاثة طاحنة خلفت جروحاً غائرة في صدر علي، وأما جيشه فقد استبد بهم الوهن، وضعف الرأي، وغلبت عليهم شقوتهم باتباعهم كل ناعق حتى كسروا انتصاره في صفين، وتحول بعضهم إلى حزب مارق يكفره وينادي بقتاله. وبعد أن أخذ علي فتنة الخوارج وقضى عليها، بدأت المؤامرات الداخلية تنهش فيما تبقى من جيشه وكانت دنانير معاوية وحيل ابن العاص والمتآمرين في الداخل تقودهم إلى مصارعهم وهم لا يشعرون. ولقد تحمل علي (عليه السلام) ما يتكرر من المواقف المتقلبة في صفوف جيشه وعصيائهم للأوامر، وهذا هو في إحدى خطبه يكشف عن محته العظمى مع هؤلاء الرجال:

فيا عجبًا! والله يميت القلب، ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا، حين صرتم غرضاً يرمى بغار عليكم ولا تغيرون، وتغزوون ولا تُغزوون، ويعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر، قلتم: هذه حماره القيظ أمهلنا يسبخ علينا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء، قلتم: هذه صباره القر، أمهلنا ينسلخ علينا البرد. كل هذا فراراً من الحر والقر، فإذا كتتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر^(٢).

(١) الشرقاوي، علي إمام المتدين، ج ١، ص ٤١٦ - ٤١٧

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٩١

وفي موضع آخر يعلن يأسه من صلاحهم وأسفه لمعرفته بهم؛ لأنهم ليسوا أهلاً لأن يكونوا جنداً للحق، ولا يمكن الاعتماد عليهم في النهوض بالدين والانتصار له: يا أشباه الرجال ولا رجال! حلوم الأطفال، وعقول ربات الرجال، لوددت أي لم أركم ولم أعرفكم معرفةً، والله، جرّت ندمًا، وأعقبت سدمًا، قاتلوكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرّعتموني نُفَبَ التهام أنفاساً، وأفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولا علم له بالحرب. الله أبوهم! وهل أحد منهم أشد لها مِرَاساً وأقدم فيها مقاماً مني؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وهأنذا قد ذرَفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع^(١).

في هذه الظروف القاتمة انتهى الأمر بعلي (عليه السلام) لأن يكون وحيداً وغريباً في قومه، ولم يجد له أعاواناً يطلب بهم الحق إلا القلائل من المخلصين، وأما البقية في هذا الجيش فإما عميل لمعاوية أو آخر يسعى لدنياه، وأما أعداؤه فهم يتربصون به الدوائر، وأما المتخاذلون فهم كالمترج الذي يتهز الفرص ليعلن ولاءه للمتصر ويصفق له في النهاية. لقد كره الإمام الحياة وتمنى الموت، منذ فقد الأمل في أن ينصره أهل العراق.. كان أهل الشام كلما ازدادوا حول معاوية قوة وفتكا، ازداد أهل العراق تمزقاً وتفرقوا حول علي.. فضاق بهم وسئم وملأت نفسه الكآبة! فكان يقول: والله لتخذبن هذه من هذه (يشير إلى حياته ورأسه)، فما يحبس أشقاها...؟ ما له لا يقتل...؟! ما يتضرر...؟! وكان (عليه السلام) يتعجل نهايته فقد سئم الناس وملّهم، وإنه

ليتعذب من الغيظ الذي أحرق به أهل العراق قلبه الشريف!^(١)

وحانت لحظة الفراق، واقترب منه في لجة الظلام أحد الخوارج واسمه (عبد الرحمن بن ملجم) وكان الإمام بلا حرس، فكان اغتياله عملاً من أيسر الأعمال، ولم تكن الجريمة تتطلب أي جهد، أو قوة، أو بطولة. كانت تتطلب ضميراً ميتاً لا غير، وتفكيرًا ضالاً، وقلباً أعمى، وإرادةً مسوخة؛ فلما وجدت هذه جحيماً في صورة آدمي، وسلح بسيف مسموم وقيل لها: اطعني هذا الهدى وهذا الجلال .. تم كل شيء في لحظات!!^(٢)

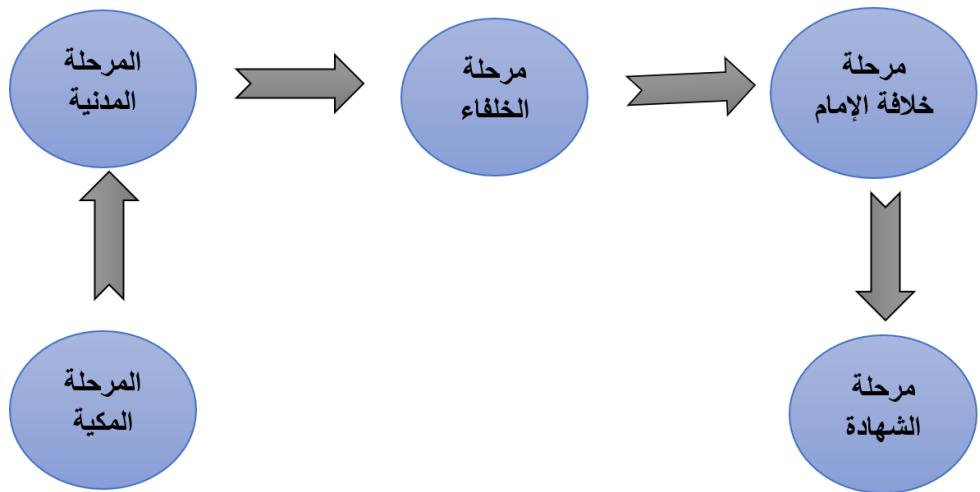
ويعقب نصري سلهم على عملية الاغتيال الآثمة فيقول: في بيت الله قتلوك، وأنت راكع وتصلي، وباسمه تسجد وتستغفر، فمضيت من أجلهم تصلي وتستغفر، وإلى ربك عدت راضياً، مرضياً، وتركت أهل الأرض يئنون ويتحسرون، لأنهم خسرون فحسب، بل لأنهم أدركوا أن ينبوع الروح شح، بموتكم، وكاد يجف، وأنهم إلى أقوالكم وأفعالكم سيعطشون، وهيات أن يجدوا ينبوعاً، كروحكم، منه يرتوون!^(٣)

وخلاصة الحديث عن سيرة الإمام الرسالية والقيادية نستطيع القول بأنها قد نمت وتطورت عبر معايشته لواقع وأحداث، وخصوصه لعارك العقيدة على جبهات القتال، وانتصاره في معركة النفس حين واجه الانقلاب والتذكر لحقة في الخلافة، ومحاربته لكل أنواع الفتنة والمؤامرات وهو يحكم المسلمين حتى ساعة استشهاده على النحو الآتي:

(١) الشرقاوي، علي إمام المتدين، ج ٢، ص ٦٥٤

(٢) خالد، خلفاء الرسول، ص ٣٠٧

(٣) سلهم، في خطى علي، ص ٢٨



شكل (١) سيرة الإمام الرسالية

ثالثاً. الخصائص الرسالية للإمام (عليه السلام)

إذا تدبرنا في سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وما جاء على لسان الحجة المنتظر (عج)، فإننا نجد خمسة مكونات أساسية في شخصيته الرسالية، وهي: المعرفة، والعبادة، والأخلاق، والتربية، والإنسانية، حيث اجتمعت هذه المكونات في شخصية الإمام لا تفارقها في جميع مواقفه، وتفاعلاته الاجتماعية والسياسية، وعلاقاته بالآخرين. وتفصيلها على النحو الآتي:

(١) المكون المعرفي

المعرفة لغة - كما أفاد صاحب التحقيق - إدراك للشيء بتفكير وتدبر لأثره، وهي أخص من العلم، ويصاده الإنكار^(١)، ويضيف الجرجاني إلى ذلك قوله بأن المعرفة تكون مسبوقة بالجهل بخلاف العلم؛ ولذلك يسمى الحق تعالى

(١) المصطفوي، تحقيق كلمات القرآن، ج ٥، ص ١١٥

بالعالم دون العارف^(١). وفي الاصطلاح يشير لفظ المعرفة إلى فعل المعرفة أو إلى الشيء المعروف المعروض، ويشير أيضاً إلى مجرد عرض شيء ما أو إلى إدراكه وفهمه عموماً، ويشير إلى نشاط الفكر فاعلاً بذلك أو منفعلاً وسواء كان إثباته كاملاً يقوم على البداهة والوضوح أم ناقصاً يعمه الغموض والاختلاط، كما يشير من منظور مقابل إلى محتوى المعرفة ومضمونها^(٢).

ولابد لنا من أن نحدد ما هو علم الإمام وحدود معرفته؟ كي يقف القارئ على الفروق بين العلم الاكتسابي أو الحصولي للبشر الذي يكتسب عن طريق التعلم، والتجربة، واللاحظة، وهو قابل للنقد والتغيير والتبدل؛ وبين العلم الحضوري أو اليقيني للإمام الذي يأتيه من الفيض الإلهي نتيجة للاستعدادات الباطنية للمتلقي؛ فعن عبد الله بن طلحة، قال: قلت لأبي عبد الله الصادق (عليه السلام): أخبرني يا ابن رسول الله عن العلم الذي تحدثونا به، أمن صحف عندكم، أو من روایة يرويها بعضكم عن بعض أو كيف حال العلم عندكم؟

قال أبو عبد الله (عليه السلام): الأمر أعظم من ذلك وأجل، أما تقرأ كتاب الله؟ قلت: بلى، قال: أما تقرأ **﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾** أفترون إنـه كان في حال لا يدرى ما الكتاب ولا الإيمان؟ قلت: هكذا نقرؤـها؟ قال: نعم، قد كان في حال لا يدرى ما الكتاب ولا الإيمان، حتى بعث الله تلك الروح، فعلمه بها **العلم والفهم**^(٣).

(١) الجرجاني، معجم التعريفات، ص ١٨٥

(٢) سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص ٤٣٣

(٣) الصفار، بصائر الدرجات، ج ٢، ص ٣٧٠

وفي رواية عن أبي بصير، قال: (سمعت أبا عبد الله الصادق يقول:
 «إنا لنزداد في الليل والنهار ولو لم نزد لنفذ ما عندنا»؛ قال أبو بصير:
 جعلت فداك من يأتيكم به؟ قال (عليه السلام):
 «إن منا من يعاين، وإن منا من ينقر في قلبه كيت وكيت، ومنا من يسمع
 بإذنه وقعا كوقع السلسلة في الطشت»؛ فقلت له: من الذي يأتيكم بذلك؟
 قال: «خلق الله، أعظم من جبرائيل»)^(١).

وما جاء في هاتين الروايتين وغيرها تؤكد بصورة واضحة أن علم الإمام
 علم لدني اختص به الله عز وجل خاصة أوليائه بذلك، لأنه علم بإخلاصهم،
 فوصلوا إلى المستوى الائق لتقبل هذا الفضل كما أشارت الآيات القرآنية
 بذلك في مواضع عديدة، ومنها قوله تعالى وهو يصفهم بالمؤمنين: ﴿وَجَعَلْنَا
 مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(٢).

- كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) في التوحيد

لا يمكن وأنت تقرأ هذه الكلمات لأمير المؤمنين (عليه السلام) إلا وتقف
 على أن روح علي (عليه السلام) قد لامست الحقيقة الكبرى في الوجود،
 فأفاض علينا بهذه الكلمات التي يشاع منها الإيمان والإخلاص في التوحيد
 للخالق وعبادته:

«إن أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيده نفي

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٧٠.

(٢) سورة السجدة، الآية ٢٤.

الصفات عنه، لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كل مخلوق أن له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من حدثه، فليس الله من عرف ذاته، ولا إيه وحد من نهاد ولا به صدق من مثله ولا حقيقة أصاب من شبهه، ولا إيه أراد من توهمه، ولا وحد من اكتنهه ولا به آمن من جعل له نهاية ولا صمد له من أشار إليه ولا إيه عنى من حده ولا له تذلل من بعضه، كل قائم بنفسه مصنوع وكل موجود في سواه معلمول^(١).

- أمير المؤمنين (عليه السلام) يتحدث عن خلق آدم.

يقول (عليه السلام) في خطبة له بنهج البلاغة:

«ثم جمع - سبحانه - من حزن الأرض وسهلها، وعذبها وسبخها، تربة سنها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلة حتى لزبت. فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول، وأعضاء وفصوص. أجمدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصلت لوقت معدود، وأمد معلوم، ثم نفخ فيها من روحه فتمثلت إنساناً ذا أذهان يجلوها، وفكراً يتصرف بها، وجوارح يخندمها، وأدوات يقلبها. ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل، والأذواق والمشام، والألوان والأجناس. معجونا بطينة الألوان المختلفة، والأشياء المؤتلفة. والأضداد المتعادية، والأخلاط المتباينة، من الحر والبرد، والبلة والجمود»^(٢).

(١) الحراني، تحف العقول، ص ٤٩-٥٠

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٤٠-٤١

وترى في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) صدى لما جاء في كتاب الله الكريم حول خلق الإنسان، إذ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلملائِكَةِ إِنِّي خَالقُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(١)، وجاءت خطبة الإمام (عليه السلام) التوافق ما ورد في سورة (المؤمنون) عن تفصيل خلق الإنسان؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارِ مَكَابِنِ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعُلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحِمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ حَلْقًا أَخْرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٢).

- حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) في علم الكلام

حين يتحدث أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الذات الإلهية وخصائصها يجسد لنا في كلماته التوحيد القرآني للصفات والأفعال، كما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَمِّنُ الْعَزِيزُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِيُّ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣).

يقول (عليه السلام): «الحمد لله خالق العباد، وساطح المهداد، ومسيل الوهاد، ومحصب النجاد، ليس لأوليته ابتداء، ولا لأزليته انقضاء، هو الأول ولم يزل، والباقي بلا أجل، خرت له الجبار، ووحدته الشفاه، حد الأشياء عند خلقه

(١) سورة الحجر، الآيات ٢٨-٢٧

(٢) سورة المؤمنون، الآيات ١٤-١٢

(٣) سورة الحشر، الآيات ٢٤-٢٢

لها إبابة له من شبهاها، لا تقدره الأوهام بالحدود والحرکات، ولا بالجوارح والأدوات، لا يقال له ((متى)), ولا يضرب له أمد بـ((حتى)), الظاهر لا يقال ((مم)), والباطن لا يقال ((فيما)), لا شبح فيتقضى، ولا محجوب فيحيى، لم يقرب من الأشياء بالتصاق، ولم يبعد عنها بافتراء، ولا يخفي عليه من عباده شخص حظة، ولا كرور لفظة، ولا ازدلاف ربوة، ولا انبساط خطوة في ليل داج، ولا غسق ساج، يتفيأ عليه القمر المنير، وتعقبه الشمس ذات النور في الأفول والكرور، وتقلب الأزمنة والدهور، من إقبال لكل مقبل، وإدبار نهار مدبر، قبل كل غاية ومدة، وكل إحصاء وعدة، تعالى عما ينحله المحددون من صفات الأقدار، ونهايات الأقطار، وتأثيل المسakens، وتمكن الأماكن، فالحمد لخلقه مضروب، وإلى غيره منسوب، لم يخلق الأشياء من أصول أزلية، ولا من أوائل أبدية، بل خلق ما خلق فأقام حده، وصور ما صور فأحسن صورته، ليس شيء منه امتناع، ولا له بطاقة شيء انتفاع، علنه بالأموات الماضين، كعلمه بالأحياء الباقيين، وعلمه بما في السموات العلي كعلمه بما في الأرضين السفلی»^(١).

– حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) عن القرآن الكريم

يوصف الإمام علي (عليه السلام) القرآن وصف عارف بدقائقه، عالماً بأسراره، وشاهدًا على ما نزل فيه من لطائف وغرائب وعجائب، ومستنبطاً منه أحكام الدين والحياة، فيقول: «ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تنطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يحبو توقده، وبحرًا لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوئه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه،

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٣٢٧-٣٢٩

شفاء لا تخشى أسلقامه، وعزلا تهزم أنصاره، وحقا لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبجبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدراته، وأثافي الإسلام وبنائه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا يستنزفه المستنزفون، وعيون لا ينضيها الماتحون، ومناهل لا يغيبها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون»^(١).

وقال (عليه السلام) بعد تلاوته **﴿الْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾**: يا له من راما ما أبعده، وزورا ما أغفله، وخطراما أفظعه، لقد استخلفوا منهم أي مذكر، وتناوشوهم من مكان بعيد، أفهم صارع آبائهم يفخرون؟ أم بعيد الظلوي يتکاثرون؟ يرتجعون منهم أجسادا خوت، وحركات سكت، ولأن يكون عبرا، أحقر من أن يكونوا مفتخراء، ولأن يبطوا بهم جناب ذلة، أحجزي أن يقوموا بهم مقام عزة، لقد نظروا إليهم بأبصار العشوة، وضربوا منهم في غمرة جهالة، ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية، والرابع الحالية لقالت ذهبوا في الأرض ضلالا، وذهبتم في أعقابهم جهالا، تطؤون في هامهم، وتستتبتون في أجسادهم، وترتعون فيما لفظوا، وتسكنون فيما خربوا، وإنما الأيام بينكم وبينهم بواك ونوابع عليكم»^(٢).

- حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) عن سورة الفاتحة

وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) عن النبي في شأن سورة الفاتحة، قال (صلى الله عليه وآله): قال الله عز وجل: قسمت فاتحة الكتاب

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٢٩

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٥٦ - ٤٥٧

يبني وبين عبدي، فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأله. إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله جل جلاله: بدأ عبدي باسمي وحق علي أن أقسم له أمره وأبارك له في أحواله. فإذا قال: الحمد لله رب العالمين قال الله جل جلاله: حمدني عبدي وعلم أن النعم التي له من عندي، وأن البلايا التي دفعت عنه فبتطولي، أشهدكم أني أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا.

٥٧

وإذا قال: الرحمن الرحيم قال الله جل جلاله: شهد لي عبدي أني الرحمن الرحيم، أشهدكم لأوفرن من رحمتي حظه ولأجزلن من عطائي نصبيه. فإذا قال: مالك يوم الدين قال الله تعالى: أشهدكم كما اعترف بأنّي أنا مالك يوم الدين لأسهلن يوم الحساب حسابه، ولأتقبلن حسناته، ولأتجاوزن عن سيئاته. فإذا قال: إياك نعبد قال الله عز وجل: صدق عبدي، إياي يعبد أشهدكم لأنثيئنه على عبادته ثوابا يغبطه كل من خالقه في عبادته لي.

فإذا قال: وإياك نستعين قال الله تعالى: بي استعان عبدي، وإلي التجأ، أشهدكم لأعينته على أمره، ولأغيشه في شدائده ولاخذن بيده يوم نوائبه. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم إلى آخر السورة قال الله عز وجل: هذا العبد ولعبدي ما سأله وقد استجبت لعبدي وأعطيته ما أمل وآمنته مما منه وجل^(١).

- أعلمية الإمام (عليه السلام) بالقرآن والكتب السماوية الأخرى

عن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): لو كسرت

(١) القرشي، موسوعة الإمام أمير المؤمنين، ج ٣ ص ٢٦-٢٧

لِي وسادة فقعدت بين أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وأهل الفرقان بفرقانهم، بقضاء يصعد إلى الله يزهر، والله ما نزلت آية في كتاب الله في ليل أو نهار إلا وقد علمت فيمن أنزلت، ولا مَنْ مَرَّ على رأسه المواسي من قريش، إلا وقد نزلت آية من كتاب الله تسوقه إلى الجنة أو إلى النار، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما الآية التي نزلت فيك؟ قال له: أما سمعت الله يقول: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَتَلَوُهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ قال: رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على بيته من ربِّه، وأنا شاهد له فيه وأتلوه معه^(١).

- أقوال للإمام (عليه السلام) عن العلم والتعليم

لا يخلو قول للإمام علي (عليه السلام) من الحكمة، أو الموعظة، أو الحض على العلم والتعلم، وفي مجال التعليم والتعلم له أقوال خلدها التاريخ وهي تغصح عن حكمة وبصيرة هذا الإمام وكأنه يخاطبنا في يومنا هذا، وهذا هو يتحدث عن فضيلة العلم فيقول: «أيها الناس: اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به. وأن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، وأن المال مقسوم بينكم، مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه سيفي لكم به، والعلم مخزون عليكم عند أهله وقد أمرتم بطلب منه، فاطلبوه وأعلموا أن كثرة المال مفسدة للدين مقasa للقلوب، وأن كثرة العلم والعمل به مصلحة للدين، وسبب إلى الجنة، والنفقات تنقص المال، والعلم يزكي على إنفاقه، فإنفاقه بشه إلى حفظه ورواته. واعلموا أن صحبة العلم واتباعه دين يدان الله به، وطاعته مكسبة للحسنات محابة للسيئات وذخيرة للمؤمنين ورفعة في

(١) الصفار، بصائر الدرجات، ج ١، ص ١٨٦-١٨٧

حياتهم وجميل الأحداثة عنهم بعد موتهم^(١).

ومن كلام له مع كميل بن زياد أحد خواص صحابته عن العلم: «يا كميل بن زياد: محبة العالم دين يدان به يكسب الطاعة في حياته، وجميل الأحداثة بعد وفاته ومنفعة المال تزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياه والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة. ها، إن ههنا العلما جما. وأشار إلى صدره. لم أصب له خزنة بل لقنا غير مأمون، مستعملا آلة الدين في طلب الدنيا، يستظهر بحجج الله على أوليائه وبنعمته الله على معاصيه أو من منقادا لحملة الحق لا بصيرة له في أحنائه، ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، اللهم لا ذاولا ذاك، أو منهوما باللذة سلس القياد للشهوة، أو مغرما بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين ولا من ذوي البصائر واليقين، أقرب شبها بهما الأنعام السائبة كذلك يموت العلم بمماته»^(٢).

وقال (عليه السلام): وأن العلم ذو فضائل كثيرة فرأسه التواضع. وعينه البراءة من الحسد. وأذنه الفهم. ولسانه الصدق. وحفظه الفحص. وقلبه حسن النية. وعقله معرفة الأسباب بالأمور. ويده الرحمة. وهمته السلامة. ورجله زيارة العلماء. وحكمته الورع. ومستقره النجاة. وقائده العافية. ومركبه الوفاء. وسلاحه لين الكلام. وسيفه الرضى. وقوسه المداراة. وجيشه محاورة العلماء. وماليه الأدب. وذخيرته اجتناب الذنوب. وزاده المعروف. ومواهه المواعدة. ودليله الهدى. ورفيقه صحبة الأخيار^(٣).

(١) الحراني، تحف العقول، ص ١٣٩-١٤٠.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص ١١٧-١١٨.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص ١٤٠.

- أجبية أسئلة رسول ملك الروم -

سأله رسول ملك الروم أبا بكر عن رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولا يخاف الله ولا يركع ولا يسجد، ويأكل الميته والدم، ويشهد بما لا يرى، ويحب الفتنة ويبغض الحق. فلم يجده، فقال عمر: ازدلت كفرا إلى كفرك. فأخبر بذلك علي (عليه السلام) فقال: هذا رجل من أولياء الله لا يرجو الجنة ولا يخاف النار. ولكن يخاف الله ولا يخاف الله من ظلمه وإنما يخاف من عدله ولا يركع ولا يسجد في صلاة الجنائز، ويأكل الجراد والسمك ويأكل الكبد ويحب المال والولد (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَلْدُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)، ويشهد بالجنة والنار وهو لم يرهما ويكره الموت وهو حق ^(١).

٦٠

- أسئلة ملك الروم لمعاوية -

كتب ملك الروم لمعاوية: إن أجبتني هن هذه المسائل حملت إليك الخراج وإلا حملت أنت، فلم يدر معاوية فأرسله إلى أمير المؤمنين، فأجاب عنها فقال: «أول ما اهتز على وجه الأرض النخلة، وأول شيء صح عليها واد باليمن وهو أول واد فار فيه الماء، والقوى أمان لأهل الأرض كلها عند الغرق مادام يرى في السماء وال مجرة أبواب فتح الله على قوم ثم أغلقها ولم يفتحها». قال: فكتب بها معاوية إلى ملك الروم. فقال: والله ما خرج هذا إلا من كنز نبوة محمد فحمل إليه الخراج ^(٢).

(١) ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٢، ص ٣٩٩

(٢) ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٢، ص ٤٢٦

- قضاء الإمام علي (عليه السلام)

ورد في الكافي أن غلاماً وامرأة أتيا عمر فقال الغلام: هذه والله أمي حملتني في بطنهما تسعاً، وأرضعني حولين كاملين فأنتفت مني وطردتني وزعمت أنها لا تعرفني، فأتوا بها مع أربعة أخوة لها وأربعين قسامة يشهدون لها إن هذا الغلام مدع ظلم ي يريد أن يفضحها في عشيرتها وأنها بختام ربه لم يتزوج بها أحد. فأمر عمر بإقامة الحد عليه، فرأى علياً (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين احكم بيني وبين أمي فجلس (عليه السلام) موضع النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: لكِ ولِي؟ قالت: نعم هؤلاء الأربعه أخوتي، فقال: حكمي عليكم وعلى أختكم؟ قالوا: نعم، قال: أشهد الله وأشهد من حضر معى أنى زوجت هذه المرأة من هذا الغلام بأربعين درهماً والنقد من مالي، يا قبر علي بالدراما، فأتاه بها فقال: خذها فصبها في حجر امرأتك وخذ بيدها إلى المنزل، فصاحت المرأة الأمان يا بن عم رسول الله هذا والله ولدي، زوجني إخوتي هجيناً فولدت منه هذا، فلما بلغ وترعرع أنفوا وأمروني أن أنتفي منه وخفت منهم، فأخذت بيد الغلام فانطلقت به، فنادى عمر: لو لا علي هلك عمر^(١).

ورووا أن امرأتين تنازعتا على عهد عمر في طفل ادعته كل واحدة منها ولداً لها بغير بينة، فغم عليه وفرز فيه إلى أمير المؤمنين، فاستدعي المرأتين ووعظهما وخوفهما فأقامتا على التنازع، فقال (عليه السلام): ائتوني بمنشار، فقالتا ما تصنع؟ قال: أقدّه بنصفين لكل واحدة منكما نصف، فسكتت إحداهما وقالت الأخرى: الله يا أبا الحسن إذا كان لابد من ذلك فقد

(١) ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٢، ص ٤٠٣

سمحت له بها، فقال: الله أكتر هذا ابنك دونها ولو كان ابنها لرقت عليه وأشفقت، فاعترفت الأخرى بأن الولد لها^(١).

٢) المكون العبادي

العبادة كانت جزءاً أصيلاً في حياة الإمام وجهاه من أجل بلوغ المقام الأسمى في هذه الحياة، وهي من المكونات الأساسية لشخصيته، وترتبط العبادة عند علي (عليه السلام) ارتباطاً وثيقاً بجميع نشاطاته وموافقه: في صلاته وصيامه، وفي دعواته ومناجاته، وفي بيته ومع أسرته، وفي مواساته للمساكين، وفي توزيعه الصدقات ليلاً على المحتاجين، وفي حربه مع أعداء الله ورسوله، فهو لا ينسى الله طرفة عين أبداً، فأينما تولي وجهك نحو علي (عليه السلام) فلا تراه إلّا متصلاً بالله ذاكراً له في الخفاء والعلن، وفي محاباه، وفي عمله، وفي تعامله مع الآخرين، فهو يتحرك في عبادته بشوق ولهفة ليحقق تلك الغاية العظمى وهي: وحدة الوجودين المادي والمعنوي في حياته؛ فيكون الله حاضراً في جميع أحواله وأوقاته، وموحداً له في جميع توجهاته كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يَرَى إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ دِيَنًا قِيمًا مِلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

وتحجّم في عبادة علي (عليه السلام) كل الفرائض: من صلاة، و Zakah، وصيام، وحج، وجهاد في منظومة واحدة وهي: العبادة التوحيدية، وهي

(١) ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٢، ص ٤٠٩

(٢) سورة الأنعام، الآيات ١٦١-١٦٣.

تلك العبادة التي يكون فيها العمل خالصاً لوجه الله وحده دون سواه، ويتحرك بها العبد في اتجاه بلوغ جميع كمالاته الأخلاقية والروحية معاً، فكم كان من الليالي ينام بدون طعام و يؤثر الآخرين على نفسه، وكم كان يتخفى بين الشجيرات ينaggi ربه و يتضرع إليه بأخلاص، وكم كان يهرب إلى الواقع التي يرضي فيها ربه في حج أو زيارة مريض أو قضاء حاجات للمحرومين أو تقديم يد العون للمحتاجين من الأرامل والأطفال المسلمين والذميين وغيرهم، وكم من المرات التي كان فيها - كما مر في الحديث عن مشاركته في حروب الرسول - في الصف الأول يهرب لتلبية نداء الله ورسوله في جهاد الأعداء. فعلى في كل هذه الواقع والواقف لا يرى نفسه إلا مسلماً يؤدي حق العبودية لله ويسعى لتحقيق مرضاته، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَبْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَوُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١).

وقد نزلت في توحيد علي خالقه في كتاب الله العديد من الآيات نعرض بعضها منها: كقوله تعالى عن تصدقه على الفقير وهو يصلي: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِذْنَنَا يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٢).

ويقول تعالى عن صلابة إيمانه وتوحيده في سورة الفتح: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَعاً سُجَّداً يَبْغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضِيَّاً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٧.

(٢) أسبر، علي في القرآن والسنة، ج ١، ص ١٦٣ - ١٦٢.

التوراة ومثلهم في الانجيل كزروع أخرج سطاه فازره فاستغلظ فاستوى على سُوقه
يُعجب الزرائع ليغيط بهم الكُفَّارَ وعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا^(١).

وقد عبر الإمام (عليه السلام) عن هذه العبادة بـ «خدمة الله» حين يخاطب ربـه بهذه الكلمات في دعائه: «يا ربـ يا ربـ يا ربـ، أَسألكَ بِحِقِّكَ وَقُدْسِكَ
وَأَعْظَمِ صِفَاتِكَ وَأَسْمَائِكَ، أَنْ تَجْعَلَ أُوقاتِي فِي اللَّيْلِ وَالنَّهارِ بِذِكْرِكَ مَعْمُورَةً،
وَبِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَةً، وَأَعْمَالِي عِنْدَكَ مَقْبُولَةً، حَتَّى تَكُونَ أَعْمَالِي وَأَوْرَادِي كُلُّها
وَرْدًا وَاحِدًا، وَحَالِي فِي خِدْمَتِكَ سَرْمَدًا»^(٢).

وما يميز الإمام في علاقته مع ربـه عن عوام المسلمين هو قوله: «إن قوما
عبدوا الله سبحانه رغبة عبادة التجار وقوما عبدوه رهبة عبادة
النبيـ وقوما عبدوه شكرـا عبادة الأحرار»^(٣). إنـها تلك العبادة القائمة
على العقل والتفكير، والتحرر من التبعية والخضوع للتقاليـد والموروثـات
الاجتماعـية، فهي عبادة قائمة على المعرفـة والإيمـان القلبـي الخالصـ، وقد
أوضح الإمام (عليه السلام) ذلك: «حينـما سـأله ذعلـبـ اليـانيـ: هل رـأـيتـ
ربـكـ يا أمـيرـ المؤـمنـينـ؟ فـقالـ (عليـهـ السـلامـ): أـفـأـعـبـدـ ماـ لـأـرـىـ؟ فـقالـ: وـكـيفـ
ترـاهـ؟ فـقالـ: لا تـدرـكـ العـيـونـ بـمـشـاهـدـةـ الـعيـانـ، ولـكـ تـدرـكـ القـلـوبـ بـحـقـائـقـ
الـإـيمـانـ، قـرـيبـ مـنـ الـأـشـيـاءـ غـيرـ مـلـامـسـ، بـعـيـدـ عـنـهـاـ غـيرـ مـبـاـيـنـ، مـتـكـلـمـ لـاـ
بـرـوـيـةـ، مـرـيدـ لـاـ بـهـمـةـ، صـانـعـ لـاـ بـجـارـحةـ، لـطـيفـ لـاـ يـوـصـفـ بـالـخـفـاءـ، كـبـيرـ لـاـ

(١) أـسـبـرـ، عـلـيـ فـيـ الـقـرـآنـ وـالـسـنـةـ، جـ ٢ـ، صـ ٣٢٩ـ ـ ٣٣١ـ

(٢) الـقـمـيـ، مـفـاتـيحـ الـجـنـانـ، دـعـاءـ كـمـيـلـ، صـ ٧٠ـ

(٣) الـآـمـدـيـ، حـكـمـ الـإـمـامـ عـلـيـ، صـ ٧٠ـ

يوصف بالجفاء، بصير لا يوصف بالحاسة، رحيم لا يوصف بالرقى، تعنو الوجوه لعظمته، وتحب القلوب من مخافته^(١).

وهي أيضاً تلك العبادة التي تخلص فيها نية العبد فلا يرى له غاية في هذا الوجود سوى معرفة الله ومحبته والسعى لتحقيق مرضاته دون أن تكون هناك دوافع أو مطالب ذاتية لهذه العبادة، ولذلك هو الوحيد الذي تجرأ من الصحابة وقال: «إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك ولا طمعاً في ثوابك ولكنني وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»^(٢). وهي تلك العبادة التي ترتبط بخشية الله في السر والعلن والخوف من عدله وغضبه حين يلقاه في يوم المعاش، كما جاء في قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَقْلِبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(٣)، ولذلك يرفض الإمام (عليه السلام) تلك العبادة الخالية من التفكير والتدبر فيقول: لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها^(٤).

ويقول العلامة محسن الأمين عن عبادة الإمام علي (عليه السلام): وإذا نظرنا إلى عبادته وجدناه أعبد الناس، وكانت جبهته كثفة البعير لطول سجوده، وفي الأدعية المأثورة عنه كفاية، وكان زين العابدين (عليه السلام) على ما هو عليه يستصغر عبادته في جنب عبادة جده أمير المؤمنين. ومن عجيب أحواله أنه اجتمعت في صفاته الأضداد فيما هو يمارس الحرب

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٣٦٠-٣٦١

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٧٧

(٣) سورة النور، الآية ٣٧

(٤) الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ١، ص ٧٧

ويبارز الأقران ويقتل الشجعان ومن تكون هذه صفتة لا بد أن يكون قاسي القلب شرس الخلق بينما نراه كذلك هو أعبد العباد يقضي ليله بالصلوة والعبادة والتضرع والابتهاج والخضوع لله تعالى وإذا به أحسن الناس خلقا وأرقهم طبعا وألينهم عريكة^(١).

ويقول ابن أبي الحديد في وصف عبادته: وأما العبادة فقد كان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلم الناس صلاة الليل، وملازمة الأولاد وقيام النافلة، وما ظنك برجل بلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير، فيصلي عليه ورده، والسهام تقع بين يديه وتمر على صماغه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته! وما ظنك برجل كانت جبهته كثنة البعير لطول سجوده. وإذا تأملت دعواته ومناجاته، ووقفت فيها على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمنه الخضوع لهيته، والخشوع لعزته واستذلاء له، عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أي قلب خرجت، وعلى أي لسان جرت^(٢).

وعندما حضرته الوفاة كان همه الأساس (عليه السلام) أن يقتدي أبناءه بسيرته بعد مفارقته للدنيا، وأن يجتهدوا في تطبيق نموذجه العبادي الذي شهدوه في حياتهم فأخذ يوصيهم بتطبيقه وهو يخاطبهم قائلاً: الله الله: في الأيتام لا يضيعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله)

(١) الأمين، أعيان الشيعة، ج ١، ص ٣٣٢

(٢) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج ١، ص ١٧

يقول: من عال يتيمًا حتى يستغنى أوجب الله بذلك الجنة، كما أوجب لآكل مال اليتيم النار.

الله الله: في القرآن فلا يسبقونكم إلى العمل به غيركم.

الله الله: في جيرانكم، فإن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أوصى بهم، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم.

الله الله: في بيت ربكم فلا يخلو منكم ما بقيتكم، فإنه إن ترك لم تناظروا. وأدنى ما يرجع به أمه أن يغفر له ما سلف.

الله الله: في الصلاة فإنها خير العمل، إنها عماد دينكم.

الله الله: في الزكاة فإنها تطفئ غضب ربكم.

الله الله: في صيام شهر رمضان فإن صيامه جنة من النار.

الله الله: في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وأسلحتكم، فإنما يجاهد إمام هدى أو مطیع مقتد بهداه.

الله الله: في ذرية نبيكم، لا تظلمن بين أظهركم وأنتم تقدرون على المنع عنهم.^(١)

(٣) المكون الأخلاقي

إن أخلاق القائد هي العنوان الأبرز في حياته، وذلك لأنها بكمال أخلاقه يجسد القدوة والمثال في كل شيء يقوم به، وكلما تمكّن القائد من تحقيق التطابق بين الصورتين الواقعية والمثالية في حياته وفي علاقاته مع الآخرين ازداد الناس

(١) الحراني، تحف العقول، ص ١٣٨ - ١٣٩

تعلقاً به وإيماناً بقدرته على التغيير وتصحيح الأوضاع. وعلى بن أبي طالب (عليه السلام) كان نموذجاً أخلاقياً رائعاً في كل مواقفه ومفاصل حياته، ولم تكن أخلاقه أموراً طارئةً عليه بل كانت جزءاًً أساسياًً من تكوين شخصيته حتى وهو طفل صغير وهو يتلقى تعاليمه من معلمه ومربيه رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كما يقول عن ذلك: «وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بِالْقِرَبَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزَلَةِ الْخَصِيقَةِ، وَضَمِّنْتُمْ فِي حَجْرِهِ، وَأَنَا وَلَدٌ يَضْمِنْنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنِفْنِي إِلَى فَرَاسِهِ، وَيَمْسِنِي جَسْدَهُ، وَيَشْمِنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضِغُ الشَّيْءَ فَيَلْقَمْنِي، وَمَا وَجَدْتُ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فَعْلٍ»^(١).

ولذلك شب علي وتكاملت أخلاقه ومثله وفضائله معه في أقواله وأفعاله، وفي علاقاته وتعاملاته، وفي سياسته وإدارته، وقد ترسخت فيه قيم الرسالة وأهدافها وتشكلت قواه العقلية والخلقية بتعاليم السماء، كما يقول: «ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه على، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يحاور في كل سنة بحراء فأراه لا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد في الإسلام غير رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَخَدِيجَةَ، وَأَنَا ثالثَهُما، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَأَشْمَرَ رِيحَ النَّبُوَّةِ»^(٢).

ويكفينا أن نقتطف ببعضها من ثمار هذه الجنة الوارفة لأنّ خلاق الإمام علي (عليه السلام) لندلل على عظمته هذه القيادة الفريدة التي هيأها الله سبحانه

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤١١

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤١١

وتعالى لتقوم بدورها التاريخي في المحافظة على الرسالة ومبادئها والدفاع عن وحدة الإسلام والمسلمين، ولنبدأ بمجموعة من أقواله (عليه السلام)، فكلام الشخص يختزن مشاعره، وأفكاره وقيمته، واتجاهاته، وكلما كان هذا الكلام يصدر من شخصية عظيمة بحجم علي (عليه السلام) ودورها الرسالي والريادي في تثبيت دعائم الإسلام كان وقوعه على النفس أكبر، وكانت الفائدة التي نجنيها أعظم.

- حكم أخلاقية

قال الإمام (عليه السلام): «ابداً السائل بالسؤال قبل السؤال فإنك إذا أحوجته إلى سؤالك أخذت من حر وجهه أفضل مما عطيته»^(١).

وقال (عليه السلام): «أبلغ ناصح لك الدنيا لو أنصحت بما ترىك من تغایر الحالات وتوذنك به من بين الشتات»^(٢).

وتحدث (عليه السلام) عن النهي عن المنكر، فقال: «إذا رأى أحدكم المنكر ولم يستطع أن ينكره بيده ولسانه وأنكره بقلبه وعلم الله صدق ذلك منه فقد أنكره»^(٣).

وقال (عليه السلام): «أعجز الناس من عجز عن إصلاح نفسه»^(٤).

وقال (عليه السلام) عن طول الأمل: «إياك وطول الأمل فكم من

(١) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ٩.

(٢) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ١٠.

(٣) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ٢٤.

(٤) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ٣٨.

مغرور افتتن بطول أمله وأفسد عمله وقطع أجله فلا أمله أدرك ولا ما فاته استدرك^(١).

وقال (عليه السلام) عن انتهاز الوقت لاكتساب الأخلاق الرفيعة: «تبادروا المكارم وسارعوا إلى تحمل المغامر واسعوا في حاجة من هو نائم يحسن لكم في الدارين الجزاء وتنالوا من الله عظيم الحباء»^(٢).

وقال (عليه السلام): «زهدك في راغب فيك نقصان حظ، ورغبتك في زاهد فيك ذل نفس»^(٣).

وقال (عليه السلام) عن الزهد: «الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه: ﴿لَكَيْ لَا تَأسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُو بِمَا آتَاكُمْ﴾ ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه»^(٤).

وقال (عليه السلام): «إن أعظم الحسرات، يوم القيمة، حسرة رجل كسب مالا في غير طاعة الله، فورثه رجل فأنفقه في طاعة الله سبحانه، فدخل به الجنة ودخل الأول به النار»^(٥).

وقال (عليه السلام) عن الشخص العفيف: «ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً من قدر فعف كاد العفيف أن يكون ملكا»^(٦).

(١) الأَمْدِي، حِكْمَ الْإِمَامِ عَلَيْهِ، ص ٩١.

(٢) الأَمْدِي، حِكْمَ الْإِمَامِ عَلَيْهِ، ص ١٠٥.

(٣) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٢٦.

(٤) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٢٤.

(٥) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٢٢.

(٦) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٣٢.

- حق السائل

لما مات عثمان بن عفان جلس أمير المؤمنين مقامه، فجاءه إعرابي وقال: يا أمير المؤمنين، إني مأخوذ بثلاث علل: علة النفس، وعلة الفقر، وعلة الجهل. فأجابه أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: يا أخا العرب علة النفس تعرض على الطيب، وعلة الجهل تعرض على العالم، وعلة الفقر تعرض على الكريم. فقال الإعرابي: يا أمير المؤمنين، أنت الكريم، وأنت العالم، وأنت الطيب، فأمر أمير المؤمنين (عليه السلام) بأن يعطى من بيت المال ثلاثة آلاف درهم وقال: تنفق ألفاً بعلة النفس، وألفاً بعلة الجهل، وألفاً بعلة الفقر^(١).

- محاسبة النفس

وقال (عليه السلام): «من نظر في عيوب نفسه اشتغل عن عيوب غيره، ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما فاته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن كابد الأمور عطبر، ومن اقتحم اللجج غرق، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن كثر كلامه كثر خطاؤه، ومن كثر خطاؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعيه، ومن قل ورعيه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار، ومن نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمق بعينه، والقناعة مال لا ينفد، ومن أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسir، ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه»^(٢).

(١) السبزواري، جامع الأخبار، ص ٣٨٣-٣٨٤

(٢) عبد نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٠٤

- معنى الاستغفار

وقال (عليه السلام) لقائل قال بحضرته: «أستغفر الله»: ثكلتك أمك! أتدرى ما الاستغفار؟ الاستغفار درجة العليين. وهو اسم واقع على ستة معان: أولها: الندم على ما مضى. والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً. والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة. والرابع: أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضييعتها فتؤدي حقها. والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتدبيه بالأحزان حتى تلتصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد. والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر الله^(١).

- استحياء علي (عليه السلام) من تفضيل نفسه

ذهب علي إلى السوق ومعه قنبر فاشترى قميصين، فأعطى علي القميص الأفضل لقنبر، وفقال قنبر: أنت مولاي وخليفة المسلمين؟ فقال (عليه السلام): إني لأستحي من ربى أن أفضل نفسي وأقدمها عليك^(٢).

- زهد الإمام (عليه السلام)

وأما الزهد في الدنيا فهو سيد الزهاد، ويبدل الأبدال، وإليه تشد الرحال، وعنده تنفس الأحلاس، ما شبع من طعام قط. وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً، قال عبد الله بن أبي رافع: دخلت إليه يوم عيد، فقدم جراباً مختوماً،

(١) عبد نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧١٩

(٢) الراشدي، قصص أخلاقية، ص ٨٨

فوجدنا فيه خبز شعير مرضوضاً، فُقدم فأكل، فقلت: يا أمير المؤمنين،
فكيف تختمه؟ قال: خفت هذين الولدين أن يُلْتَاه بسمن أو زيت^(١).

- أخلاق الحرب

في وصيته لمعقل بن قيس الرياحي قائد مقدمة جيش الإمام إلى الشام:
اتق الله الذي لا بد لك من لقائه، ولا منتهى لك دونه، ولا تقاتلن إلا من
قاتلك، وسر البردين، وغور الناس، ورفة في السير، ولا تسر أول الليل، فإن
الله جعله سكنا، وقدره مقاما لا ظعنا، فأراح فيه بدنك، ورح ظهرك، فإذا
وقفت حين ينبطح السحر، أو حين ينفجر الفجر، فسر على بركة الله، فإذا
لقيت العدو، فقف من أصحابك وسطا، ولا تدن من القوم دنو من يريد أن
ينشب الحرب، ولا تبعد عنهم، تباعد من يهاب الناس حتى يأتيك أمري.
ولا يحملنكم شناهم على قتالهم، قبل دعائهم، والإعذار إليهم^(٢).

- سخاء علي (عليه السلام) وجوده

وأما السخاء والجود فحاله فيه ظاهرة، وكان يصوم ويطوي ويؤثر بزاده،
وفيه نزل الوحي: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبْهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا
نُطِعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^(٣)، وروى المفسرون إنه
لم يملك إلا أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً
وبدرهم علانية، فأنزل فيهم: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًا وَعَلَانِيةً

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج ١، ص ١٧

(٢) عبده نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٠١ - ٥٠٢

(٣) سورة الإنسان، الآيات ٩ - ٨.

فَلَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ ﴿١﴾.

- حلم الإمام (عليه السلام) وصفحة

وأما الحلم والصفح فكان أحلم الناس عن ذنب، وأصفحهم عن مسيء، وقد ظهر صحة ما قلناه يوم الجمل، حيث ظفر بمروان بن الحكم، وكان أعدى الناس له، وأشدتهم بغضاً فصفح عنه. وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد، وخطب يوم البصرة فقال: قد آتاكم الوغد اللئيم على بن أبي طالب. وكان علي يقول: ما زال الزبير رجلاً منا، حتى شب عبد الله، فظفر به يوم الجمل، فأخذته أسيراً فصفح عنه، وقال: اذهب لا أرينك، لم يزده على ذلك. وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة - وكان له عدوًّا - فأعرض عنه ولم يقل شيئاً. وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره، فلما ظفر بها أكرمتها، وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عَمَّهُن بالعِمَاءِ وَقَلَدُهُن بِالسِّيُوفِ، فلما كانت بعض الطريق ذكرت به لا يجوز أن يذكر به، وتأففت وقالت: هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي، فلما وصلت المدينة ألقى النساء عَمَّهُن، وقلن لها: إنما نحن نسوة^(٢).

(٤) المكون التربوي

تتضمن كلمات الإمام علي (عليه السلام) وخطبه مجموعة من المضامين التربوية والأخلاقية التي تسهم في بناء الشخصية الإسلامية، وتهيئة الأفراد

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج ١، ص ١٤

(٢) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج ١، ص ١٥-١٤

لتحمل مسؤولياتهم وقيادة حياتهم بنجاح في جميع المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية والتي تتعكس آثارها على بناء المجتمع الرشيد في الأمة وتطوير إمكانياتها ومواردها المادية والفكرية والروحية نحو التكامل والقوة والرقة والسؤدد بين الأمم الأخرى. وفيما يلي مجموعة من كلماته وحكمه النورانية التي يحتاجها الإنسان في كل زمان ومكان:

- دروس في فنون تعامل الحاكم مع شعبه

مما كتبه الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر حين ولاه على مصر قوله: «**فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك، وشح بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنفاق منها في ما أحببت أو كرهت، واسعير قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاربا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتي على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطيهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك، وقد استكفاك أمرهم، وابتلاك بهم، ولا تنصبن نفسك لحرب الله، فإنه لا بد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته»^(١).**

- السالك إلى الله تعالى

قال (عليه السلام) يصف طريق السير إلى الله سبحانه: «قد أحيا عقله وأمات نفسه، حتى دق جليله، ولطف غلظيه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان

(١) عبد نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٧٢ - ٥٧٣

له الطريق، وسلك به السبيل، وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة، ودار الإقامة، وثبتت رجلاه بطمأنينة في قرار الأمان والراحة، بما استعمل قلبه، وأرضى ربه^(١).

- لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد

ذكر في (بحار الأنوار) أنه: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) في زمان خلافته مشغولاً بتقسيم بيت المال، ولكن لم ينته من ذلك، فقالوا له: يا أمير المؤمنين! اترك الباقي إلى الغد. فقال (عليه السلام): هل تضمنوا أن أبقى حياً إلى الغد؟^(٢)

٧٦

- الدنيا ليست داربقاء

خرج أمير المؤمنين (عليه السلام) يوماً من المسجد فشاهد على الباب رجلاً من المؤمنين حزيناً وكأن مصيبة نزلت به، فقال (عليه السلام): ماذا حدث؟ فقال: مصيبة يا أمير المؤمنين! لقد مات أبي، وأمي وأخي في حادثة وأخاف أن أموت أنا أيضاً. فقال (عليه السلام): لماذا لا تصبر؟ لقد ماتوا وأنتم أيضاً ستموتون، فهل هذه الدنيا مكان بقاء؟ أنت أيضاً ستموتون، فهنا ليس مكان بقاء ولا حياة، فلو اتيت الله وصبرت فسوف تحصل غداً على الأجر، وأجرك على الله.^(٣)

- لا تكونوا سبابين

لما سمع أمير المؤمنين (عليه السلام) قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام

(١) عبده نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٥٥

(٢) الراشدي، قصص أخلاقية، ص ٨٢

(٣) الراشدي، قصص أخلاقية، ص ٩٥

في حرب صفين، قال: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حاهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلاح ذات بیننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوی عن الغي والعداون من هج به^(١).

- وصيحة الإمام (عليه السلام) لابن عباس

أما بعد: فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوتنه، ويسوؤه فوت ما لم يكن يدركه، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، ولتكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا، ولتكن همك فيما بعد الموت^(٢).

٥) المكون الإنساني

برز الجانب الإنساني في سيرة الإمام علي (عليه السلام) وهو يقوم بأدواره الاجتماعية والدينية والسياسية، فقد كان أبا رحيمًا للجميع يتحسس آلام المجتمع الذي يعيشه ويبادر إلى حل مشكلاتهم، وتطييب خواطركم، وسداد غرمهم، ورفع البلاء عنهم، وحتى يتقبل إساءاتهم.

- الحاكم الذي يقدم يد العون للمحتاجين من شعبه

جاء في كتاب المناقب:

(١) عبده نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٣٧-٤٣٨

(٢) عبده نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٠٩

أنه نظر الإمام علي (عليه السلام) إلى امرأة على كتفها قربة ماء، فأخذ منها القربة فحملها إلى موضعها وسألاها عن حالها، فقال: من أنت؟ وماذا حدث؟ قالت: لقد قُتل زوجي في حرب صفين، وليس لعلي عنا أي خبر، بعث علي بن أبي طالب صاحبي إلى بعض التغور فُقتل، وترك صبياناً يتامى وليس عندي شيء، فقد أجأتهني الضرورة إلى خدمة الناس، فانصرف وبات لي ليلة قلقاً، فلما أصبح حمل زبيلاً فيه طعام، فقال بعضهم: أعطني أحمله عنك، فقال: من يحمل وزري عنني يوم القيمة، فأتى وقرع الباب فقالت من هذا؟ قال: أنا ذلك العبد الذي حمل معك القربة فافتتحي فإن معي شيئاً للصبيان، فقالت: رضي الله عنك وحكم بيني وبين علي بن أبي طالب، فدخل وقال: إني أحببت أن أكتسب الشواب فاختاري بين أن تعجني وتخزين وبين أن تعلّم الصبيان لأخبرني. فقالت: أنا بالخبز أبصر وعليه أقدر، ولكن شأنك والصبيان، فعلّهم حتى أفرغ من الخبز، فعمدت إلى الدقيق وعجنته وعمد على (عليه السلام) إلى اللحم فطبوخه، وجعل يلقم الصبيان من اللحم والتمر وغيره، فكلما ناول الصبيان من ذلك شيئاً قال له: يابني أجعل علي بن أبي طالب في حل ممّا مر في أمرك، فلما اختمر العجين قالت: يا عبد الله سجر النور فبادر بسجره فلما أشعله ولفح في وجهه جعل يقول: ذق يا علي هذا جزاء من ضيع الأرامل واليتامى، فرأته امرأة تعرفه فقالت: ويحك هذا أمير المؤمنين، قال: فبادرت المرأة وهي تقول: وا حيائي منك يا أمير المؤمنين. فقال: بل وا حيائي منك يا أمة الله فيما قصرت في أمرك^(١).

- الحاكم الذي يشارك شعبه مرارة الفقر والحرمان

في كتاب للإمام (عليه السلام) يخاطب فيه عثمان بن حنيف واليه على البصرة، فيقول له:

«إنما هي نفسي أروضها بالتصوّي، لتأتي آمنة يوم الفزع الأكبر، وتبثت على جوانب المزلق، ولو شئت لاحتديت الطريق إلى مصفي هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيئات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعياً إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليامنة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطن غرثى وأكباد حرى؟ أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت ببطنك
وحولك أكباد تحن إلى القد

أقنع من نفسي بأن يقال: ((هذا أمير المؤمنين)), ولا أشاركم مكاره
الدهر، أو أكون لهم أسوة في جشوبة العيش»^(١).

- الحاكم الذي ينتصر لظلمة امرأة من زوجها

ورد عن الباقر (عليه السلام) في خبر أن علياً (عليه السلام) رجع إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول: إن زوجي ظلمني وأخافني وتعدى علي وحلف ليضربني، فقال (عليه السلام): يا أمّة الله اصبري حتى يبرد النهار، ثم أذهب معك إن شاء الله. فقالت: يشتد غضبه وحرده عليّ، فطاطاً رأسه ثم رفعه وهو يقول: لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقه

(١) عبد نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٦٠-٥٦١

غير متعن أين منزلك؟ فمضى إلى بابه فقال: السلام عليكم، فخرج شاب فقال علي: يا عبد الله اتق الله فإنك قد أخفتها وأخرجتها، فقال الفتى: وما أنت وذاك، والله لأحرقها لكلامك، فقال أمير المؤمنين: أمرك بالمعروف وأهلك عن المنكر، تستقبلني بالمنكر وتذكر المعروف، قال: فأقبل الناس من الطرق ويقولون: سلام عليكم يا أمير المؤمنين، فسقط الرجل في يديه فقال: يا أمير المؤمنين أقلني عشرتي فوالله لا تكونن لها أرضاً تطؤني! فأغمد على سيفه، وقال: يا أمّة الله ادخلني منزلك ولا تُلْجِئ زوجك مثل هذا وشبيهه^(١).

- أدب التعامل مع الصاحب في السفر

ذات يوم شاهد الإمام علي (عليه السلام) رجلاً في طريقه وهو يقصد الكوفة. وبعد أن سأله الإمام عن اسمه وقبيلته تبين أنه ليس بمسلم بل هو ذمي، وكان الطريق مشتركاً، وحينما وصلا إلى المفترق نحو طريق البصرة ففوجئ بالإمام ينصرف معه في ذات الطريق. فقال للإمام - ولم يكن يعرفه بعد-: ألم تقل إنك تقصد الكوفة؟ قال الإمام: بلى. فقال الرجل: .. ولكن هذا طريق البصرة، فقال الإمام: قد عرفت. ولكن نبينا أمرنا أن نشيع أصحابنا أربعين خطوة. فقال الرجل: وهل أصبحت صاحبك؟ قال الإمام: نعم .. أنت صاحبي في هذا الطريق. فسأل الإمام عن اسمه فتبين أنه أمير المؤمنين. فأسلم على يديه وقال: والله إنها أخلاق الأنبياء^(٢).

(١) ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٢، ص ١٢٣-١٢٢

(٢) المدرسي، أخلاقيات الإمام علي، ج ١، ص ٦٤-٦٥

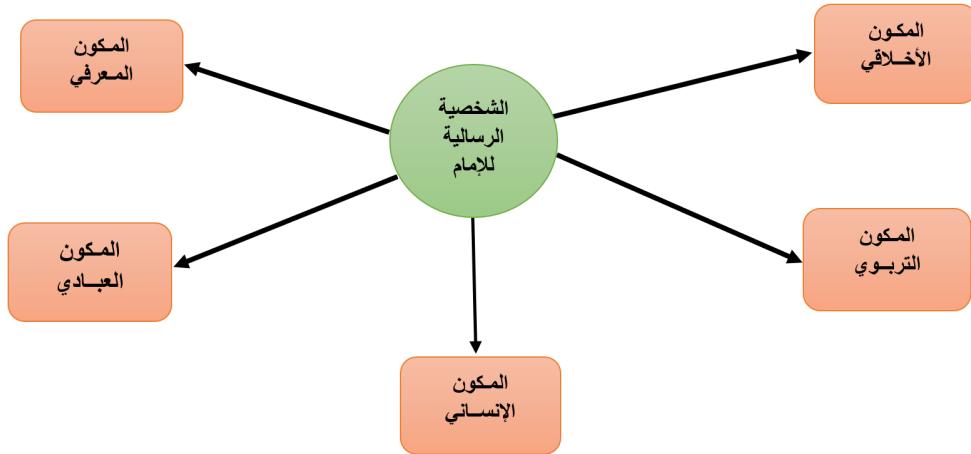
- التعامل مع الضيف

روي في سفينة البحار عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) أنه قال: «دخل رجل من أهل الإيمان وابنه على أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقام الإمام (عليه السلام) من مكانه وأكرمه وأجلسهما في صدر المجلس وجلس قربهما. ثم أمر بأن يحضر واهما الطعام وبعد أن أكلوا، أحضر قنبر وعاء وإبريقاً ومنديلاً، فأخذ الإبريق من قنبر وأراد أن يصب الماء على يدي الرجل لكي يغسلهما، لكن الرجل لم يقبل، فأقسم عليه الإمام (عليه السلام) بأن يقبل وأن قنبر الذي يصب الماء، فقبل الرجل بعد إصرار الإمام (عليه السلام).

وبعد أن انتهى الأب من غسل يديه، أعطى الإمام (عليه السلام) الإبريق لابنه محمد بن الحنفية، وقال له: يابني! لو كان هذا ابنه قدم إلى لوحده لصبيت الماء بنفسه على يديه، لكن الله لم يشأ في محل الذي يوجد الأب وابنه أن يعاملَا كبعضهما، فأنا صبيت الماء على الأب وأنت تسكب الماء على يدي الابن حتى يكون الأب قد صب الماء للأب والابن قد صب للابن»^(١).

ويمكن توضيح الشخصية الرسالية للإمام علي (عليه السلام) التي نمت وتطورت مع مرور الزمن على النحو الآتي:

(١) الراشدي، قصص أخلاقية، ص ١٠٨



شكل (٢) الخصائص الرسالية للإمام

رابعاً- السمات القيادية للإمام (عليه السلام)

أورد الخبراء في مجال القيادة العديد من السمات التي تميز القائد البارز عن غيره، ولعل أهم ما يميز القائد أنه يتصرف بالذكاء، والثقة بالنفس، والإصرار على إتمام العمل، والنزاهة، والقدرة على التواصل الاجتماعي^(١).

ويرى Sun Tzu أن القائد لا يمكنه أن يكون قائداً إلا إذا امتزجت لديه خمس صفات معاً في شخصيته، وهي: الذكاء، والجدارة بالثقة، والإنسانية، والشجاعة، والانضباط^(٢)؛ وقد كان الإمام علي (عليه السلام) يجسد هذه الصفات وغيرها في حياته الشخصية ومارسته القيادية، وفيما يلي نعرض الخصائص القيادية التي تميز بها الإمام (عليه السلام) والتي استخلصناها من سيرته المباركة.

Northouse. Leadership, PP 18-21 (١)

Pockell & Avila, 100 Greatest Leadership Principles of All Times, (٢)

١- بعد النظر

أول ما يميز الإمام (عليه السلام) كقائد سياسي وعسكري هو بعد النظر، فهو لم يكن ليرضى بأن تتحكم فيه العواطف والأراء المتشددة أو الليونة في اتخاذ قراراته والتخطيط لسير العمل في سياساته وإدارته للحكم، فهو سار على نهج أخيه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قوياً في الحق وشدیداً في التعامل مع أعداء الله ورسوله. ولذلك استهل بداية حكمه بمجموعة من الإصلاحات الجذرية في إدارة الدولة والسياسات الاقتصادية والعسكرية فعزل الولاة المفسدين، وساوى في العطاء، وأعد الجيش ليخوض حروبه للدفاع عن شرعية الخلافة وهيبة الدولة دون محاباة لكتار القوم أو الخضوع لمساوماتهم، وقال في خطابه للقوم حينما أرادوا أن يبايعوه: «دعوني والتمسوا غيري، فإنما مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا ثبتت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت، وأعلموا إني إن أجبتكم ركبتم بكم ما أعلم، ولم أصح إلى قول القائل، وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميراً»^(١).

وقد أقام الإمام (عليه السلام) الحجة على القوم بذلك، لأن الإمام بصيرته السياسية ومعرفته بأحوال الناس قد أدرك أنه مقبل لو قبل بالخلافة على حرب من سببها اليوم وسينقلب عليه في الغد؛ وإن من سيفق غداً لمحاربته عند توليه للحكم هم كبار القوم المتخمين بالثروة ولديهم

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٠٩

الجاه والسلطة، وسيكون حينها لا مفر له من مواجهتهم وإصلاح الوضع الاجتماعي السياسي القائم الذي انتهكت فيه شرائع الله وسنت رسوله!

وقد أشار الإمام (عليه السلام) إلى ذلك في قوله: وقد قلبت هذا الأمر، بطنه وظهره حتى منعني من النوم، فما وجدتني يسعني إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد (صلى الله عليه وآله) فكانت، معالجة القتال، أهون على من معالجة العقاب، وموتاً الدنيا أهون على من موتات الآخرة^(١).

وقد كان الإمام (عليه السلام) يستنطق المستقبل وهو ينظر لحال الأمة في أيامها القادمة، فقام يخاطب الناس بعد مبايعته بالمدينة: «ألا وإن بليتكم قد عادت كهيئتها يومبعث الله نبيه (صلى الله عليه وآله) والذي بعثه بالحق لتبلقن بلبلة، وتغربلن غربلة، ولتساطن سوط القدر، حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم، وليس بمن ساقون كانوا قصروا، وليقصرن سباقون كانوا سبقوا. والله ما كتمت وشمة، ولا كذبت كذبة، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم»^(٢).

وكان (عليه السلام) يقرأ على أهل العراق -نتائج تناذلهم وتهاونهم عن نصرة الحق -فيقول: «أما والذى نفسي بيده ليظهern هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم وإبطائهم عن حقي. ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي»^(٣). ويكشف

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ١٢٨

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٦٨-٦٩

(٣) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٢١٥-٢١٦

لهم في الجانب الآخر ما سيجري عليهم من أحداث وفتن مظلمة في عهدبني أمية بعد أن تسود عليهم: «وَاللَّهُ لَا يَزَالُونَ حَتَّىٰ لَا يَدْعُوا اللَّهَ مَحْرِمًا إِلَّا اسْتَحْلُوهُ، وَلَا عَقْدًا إِلَّا حَلَوْهُ، وَهُنَّ حَتَّىٰ لَا يَقْنِي بَيْتَ مَدْرَسَةٍ، وَلَا وَبَرَّ، إِلَّا دَخْلَهُ ظَلْمُهُمْ، وَنَبَابُهُ سُوءٌ رَّعِيَّهُمْ، وَهُنَّ حَتَّىٰ يَقُولُ الْبَاقِيَانَ يَبْكِيَانَ، بَاكٌ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكٌ يَبْكِي لِدُنْيَاِهِ، وَهُنَّ حَتَّىٰ تَكُونُ نَصْرَةُ أَحَدِهِمْ كَنْصَرَةُ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ إِذَا شَهَدَ أَطْاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ، وَهُنَّ حَتَّىٰ يَكُونُ أَعْظَمُهُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِاللَّهِ ظَنًا، فَإِنْ أَتَكُمْ اللَّهُ بِعَافِيَةٍ فَأَقْبِلُوا، وَإِنْ ابْتَلَيْتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَقِّنِ»^(١).

وهكذا كان الإمام (عليه السلام) في نظرته للأمور والأحداث دقیقاً ومحیطاً بتداعیات الأمور، ويتبين لنا ذلك من قراراته الخاصة بمعالجة الأزمات والحرروب التي واجهته مع الناكثين والقاسطين والمارقين، حيث أقدم على خوض معارك التأowيل دون هوادة، ولكن ما أضعف همته، وقصر به دون بلوغ أهدافه هو ذلك الجيش المتزلزل في عقيدته ودينه، والمتناقل عن قبول تکاليف الجھاد، والمتردد في نصرة إمامه ودينه!

٢- قوة الشخصية

يبرز في الجانب الثاني لسمات الإمام القيادية قوة الشخصية، وقوة الشخصية تتضمن مجموعة من الصفات منها: الجدية والعمل الدؤوب لإنجاز المهام، والثقة بالنفس وعدم التردد، والتحدى وقت الحاجة ببلاغة باهرة، والعقلانية في اتخاذ القرارات، والتأثير الشخصي على الآخرين، والإمام الواسع بالمعارف والعلوم، واستغلال الفرص لإنجاح ما يخطط له

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٢١٨

من عمل، والتفاؤل بالنجاح وتحقيق النصر^(١). وقد كان الإمام علي (عليه السلام) يمتلك ذلك التاريخ الحافل بالبطولات والإنجازات في الحروب، والسياسة، وإدارة الحكم، والعلم والفضائل التي فاقت كل ما عند الصحابة من فقه، وعلم، وشجاعة، وأخلاق.

وتحدث ضرار بن ضمرة الكتاني أمام معاوية عن شخصية أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال: «إنه والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، ينفجر العلم من جوانبه، يستوحش الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة، طويل الفكر، يقلب كفه ويخاطب نفسه، ويعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشب! كان والله كأحدنا يدinya إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألهنا، وكان مع تقربه إلينا وقربنا منه لا نكلمه هيبة له، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، كان يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عده، فأشهد الله لقد رأيته في بعض مواقفه - وقد أرخي الليل سدوله وغارت نجومه - يتمثل في محاربه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويسكي بكاء الحزين، فكأنني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا - يتضرع إليه - ويقول للدنيا: أبي تعرضت؟ أبي تشوافت؟ هيئات هيئات غري غيري قد طلقت ثلاثة فعمرك قصير، وعيشك حقير وخطرك يسير، آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق»^(٢).

(١) محمد، القيادة المتسامية للرسول الأكرم، ص ٧١

(٢) منفرد، قصة الكوفة، ص ٤٩٨

وبرزت قوته الشخصية في مراسلاته ولقاءاته مع أعدائه وأنصاره، فقد جاء في إحدى مكاتباته لمعاوية قوله (عليه السلام) يحتج عليه بيعته الشرعية: «إنه بایعني القوم الذين بایعوا أبا بكر، وعمر، وعثمان، على ما بایعوه عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل، وسمّوه إماما، كان ذلك لله رضى، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن، أو بدعة، ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى»^(١).

وخطب الإمام (عليه السلام) طلحة والزبير حين عتبوا عليه لترك مشورتهم، فقال: «والله ما كانت لي الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتوني إليها، وحملتموني عليها، فلما أفضلت إلي، نظرت إلى كتاب الله، وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به، فاتبعته، وما استحسن النبي (صلى الله عليه وآله) فاقتفيته، فلم احتج في ذلك لرأيكم ولا رأي غيركم، ولا وقع حكم جهلته فأستشيركم وإخوانكم من المسلمين، ولو كان ذلك لم أرغب عنكم ولا عن غيركم»^(٢).

وكان (عليه السلام) قوي الحجة لا يستطيع أحد مجاراته في منطقه، ولما انتهت إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) أبناء السقيفة، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. قال (عليه السلام): ما قالت الأنصار؟ قالوا قالت: منا أمير ومنكم أمير، قال (عليه السلام): فهلا احتججتم عليهم بأن رسول

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٤٩٤-٤٩٥

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٣٦-٤٣٧

الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَصَرَّى: بَأْنَ يَحْسِنُ إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاهِزُ عَنْ مُسَيَّئِهِمْ. قَالُوا: وَمَا الْحِجَةُ فِي هَذَا مِنَ الْحِجَةِ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): لَوْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ. ثُمَّ قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): فَمَاذَا قَالَتِ قَرِيشٌ؟ قَالُوا: احْتَاجَتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةً رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ). قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): احْتَجُوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا الشَّمْرَةَ^(١).

وعن الأصبغ بن نباتة قال: كنت واقفا مع أمير المؤمنين يوم الجمل، فجاء رجل حتى وقف بين يديه، فقال: يا أمير المؤمنين، كبر القوم وكبرنا، وهل القوم وهلنا، وصل القوم وصلينا، فعلام نقاتلهم؟ فقال أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): على ما أنزل الله في كتابه. فقال: يا أمير المؤمنين ليس كل ما أنزل الله في كتابه أعلم، فعلمه. فقال علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ما أنزل في سورة البقرة. فقال: يا أمير المؤمنين، ليس كل ما أنزل الله في سورة البقرة أعلم، فعلمه. فقال علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ): هذه الآية ﴿تَلَكَ الرُّسُلُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَآيَدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ وَلَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنَّ اخْتَلَفُوا فِيمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٢)، فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا. فقال الرجل: كفر القوم ورب الكعبة، ثم حمل فقاتل حتى قتل^(٣).

(١) عبد، نهج البلاغة، ج ١، ص ١٤١

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٣

(٣) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ٢٢٥-٢٢٦

٣- الثبات على المبادئ

تميز الإمام علي (عليه السلام) بثباته على الحق والصراط المستقيم في تعامله مع الأمور والأشخاص، ولم يلجم الإمام في أية لحظة في تاريخه العاشر بالجهاد والدفاع عن الدين أن يتذرع بالمصالح للوصول إلى تحقيق ما يبتغي من أهداف، وهو القائل: **ما شككت في الحق مذرأته^(١)**، وهو من لا يبالي بمخالفته مادام على الحق حيث يقول: **لا يؤنسنك إلا الحق ولا يوحسنك إلا الباطل^(٢)**. وكان (عليه السلام) صريحاً وصارماً في الحق ولا يتلون في موقفه وتعاملاته مع ما يستجد من ظروف، فقد عرض عليه ابن عوف الخلافة بشرط السير على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيفيين، فرفض الإمام الشرط الأخير^(٣)، حتى إذا صرفت لعثمان عبر الإمام عن موقفه الثابت على مبادئ الإسلام ومراعاته لمصالح المسلمين، فقال (عليه السلام): **لقد علمت أنى أحق الناس بما من غيري، والله لأسلم من ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا على خاصة التهاسا للأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستمه من زخرفه وزبرجه^(٤).**

وجاء رده الصارم في تطبيق مبدأ العدل عند توزيع العطاء؛ إذ قال (عليه السلام): **والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإمام لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق^(٥)**. ولم يعرف عن

(١) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ٢٨٨

(٢) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ٢٦١

(٣) لجنة التاريخ، تاريخ الإسلام، ج ١، ص ٣٩٢

(٤) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ١٥٢

(٥) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٦٧

الإمام علي (عليه السلام) في يوم من أيام حياته بالمساومة على الحق، وقد كانت له الفرصة سانحة في إنهاء أمره مع معاوية لو عمل بمنطق المصلحة السياسية حين طلب معاوية بنفسه أن يقيمه الإمام واليا على الشام فكان رده (عليه السلام): «فاما طلبك إلى الشام فإني لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك أمس. وأما قولك: (إن الحرب قد أكلت العرب، إلا حشاشات أنفس، بقيت) ألا ومن أكله الحق فإلى الجنة، ومن أكله الباطل فإلى النار»^(١).

وكان ثباته (عليه السلام) على مبادئه يحير أصحابه قبل أعدائه، ففي حرب صفين حينما استولى أصحاب معاوية على مورد الماء ومنعوا جيش الإمام من الاقتراب منه، فخاطبهم الإمام (عليه السلام) قائلاً: قد استطعتموكم القتال، فقرروا على مذلة، وتأخير محلة، أو رروا السيف من الدماء ترورو من الماء، فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين. ألا وإن معاوية قد لة من الغواة، وعمس عليهم الخبر حتى جعلوا انحرافهم أغراض المنية^(٢). وتحول الموقف لصالح علي وجيشه بعد ساعات من القتال، وحين سيطر جيش علي على مورد الماء أراد الجنود أن يمنعوه من الماء انتقاماً منهم! ولكن علي (عليه السلام) الذي يحمل أخلاق النبوة أبى إلا يعلم أصحابه وأعداءه درساً في العفو عند المقدرة، وخطاب رسول معاوية الذين كانوا يتسلون للحصول على قطرة ماء: خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلى معسكركم وخلوا عنهم، فإن الله عز وجل نصركم عليهم لظلمهم وبغيهم. وفي حرب البصرة، لاحت الفرصة سانحة لسلب المال ونبي النساء من قبل أنصار

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٠٥

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ١٢٤

علي (عليه السلام) فنهاهم الإمام أن يسلبوا المال أو يستبيحوا السبب، وقال: إنما القوم أمثالكم فمن صفح فهو منا ونحن منه، ومن لج حتى يصاب فقتاله مني على الصدر والنحر، وسن لهم سنة الفروسيّة أو سنة النخوة حين أوصاهم أن لا يقتلوا مدبراً، ولا يجهزوا على جريح، ولا يكشفوا ستراً، ولا يمدوا يدآ إلى مال^(١).

٤- رجاحة العقل وحسن التدبير

وتبرز حنكة القائد وحسن تدبيره في المواقف والأزمات التي تواجهه وهو يتعامل مع الأشخاص والأحداث من حوله، فقد واجه الإمام (عليه السلام) أموراً تخر لها الجبال من قساوتها وصلابتها، ولكنه بحسن تدبيره ورجاحة عقله اجتاز عقباتها بكل نجاح واقتدار.

وأول ما ظهر من هذه التحديات فتنة مقتل عثمان وإلحاح قوم من أصحابه للاقتصاص من القتلة بصورة مباشرة، وكان إجابته لهم (عليه السلام) بالترىث والانتظار حتى تستحكم الأمور ويكون لديه القدرة على امضاء حكم الله في الجنة، حيث قال (عليه السلام): يا أخواته! إني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف لي بقوة، والقوم المجلبون على حد شوكتهم، يملكوننا ولا نملكهم؟ وهما هؤلاء قد ثارت معهم عبادانكم، والتفت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم، ما شاءوا، وهل ترون موضعاً لقدرة على شيء تريدونه؟^(٢)

(١) العقاد، عقيرية الإمام، ص ١٩-٢٠

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٣٤٢

وجاء التحدي الآخر حين نكث كل من طلحة والزبير بيعتها له وقاما بتأليب الناس عليه فأشار عليه البعض بعدم مقاتلتهم، فكان رده (عليه السلام) حصيفاً يستنطق به المستقبل بحيث لا يغفل حتى يباغته العدو على حين غرة، فقال: والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم، حتى يصل إليها طالبها ويختلها راصدتها، ولكنني أضرب بالمقابل إلى الحق المدبر عنه، وبالسامع المطیع العاصي المريب أبداً، حتى يأتي عليّ يومي، فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي مستأثراً على من ذق قبض الله نبيه (صلى الله عليه وآله) حتى يوم الناس هذا^(١).

وفي نزاعه مع معاوية، أشار عليه بعض أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرسال مبعوث خاص إليه، فكانت إجابته (عليه السلام): إن استعدادي لحرب أهل الشام وجرير عندهم إغلاق للشام وصرف لأهله عن خير إن أرادوه، ولكن قد وقت لجرير وقتاً لا يقيم بعده إلا مخدوعاً أو عاصياً. والرأي عندى مع الآناة، فأردووا ولا أكره لكم الإعداد^(٢).

وفي فتنة الخوارج وما أحدثوه من شق في صف جيش الإمام، فقد كان لسعة صدر الأمير وحسن تدبيره أكبر الأثر في انتصاص نسمة بعضهم وإرجاعهم إلى جادة الصواب في بداية الأمر، «فبعد أن اتكأ على قوسه وأقبل على الناس وقال: هذا مقام من فلح فيه فلح يوم القيمة، والتفت إلى القوم وقال: أنسدكم الله أعلمتم أحداً كان أكره للحكومة مني؟ قالوا: اللهم لا، قال: أنتمونَ بأنكم أكرهتموني حتى قبلتكم، قالوا: اللهم نعم، قال: فعلام

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٦٢

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ١١٧

خالفتهموني ونابذتهموني؟ قالوا: إنما أتينا ذنباً عظيماً فتبنا إلى الله، فتب إلى الله منه واستغفره نعد إليك، فقال الإمام (عليه السلام): إني أستغفر الله من كل ذنب، فاستجابوا إليه ورجعوا معه إلى الكوفة وكانوا بين الستة آلاف والعشرة آلاف حسب اختلاف المؤرخين^(١).

ولكن بعض المتأمرين والتابعين لعاوية كالأشعث وغيره راحوا يحرضونهم على اعتزال أمير المؤمنين، فافتتن بعضهم بمثل هذا الكلام واعتزلوا قرب النهر وان ثم بدأوا بإثارة القلاقل واعتدوا على المارة وذبحوا ابن خباب وزوجته، وبعث إليهم أمير المؤمنين (عليه السلام) يطالب بدفع قتلة الصحابي إليه فأبوا وقالوا للرسول الذي بعثه إليهم لو قدرنا على قتل ابن أبي طالب ومن معه لفعلنَا! ولما يئس الإمام منهم راح يخطب فيهم ويعظمهم ويذكرهم بما حدث فأبوا وأصروا على الإمام وطالبوه بالتوبة من كفره، وراحوا ينادون بالقتال وثبت لهم الإمام وأصحابه وما هي إلا ساعات قلائل حتى باتوا صرعى كأعجاز نخل خاوية^(٢).

وعندما طلب الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مشورته حول مشاركته في قيادة الجندي، فكان جوابه ما يجعل المرأة أن ينشد إلى كلامه الحكيم في فن السياسة والتدبر في حالة الحرب، فخاطب الإمام عمرًا قائلاً: ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضممه، فإن انقطع النظام تفرق الخرز وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً، والعرب اليوم، وإن كانوا قليلاً، فهم

(١) الحسنی، سیرة الأئمۃ الإثنتی عشر، ص ٤٨٧-٤٩٣

(٢) الحسنی، سیرة الأئمۃ الإثنتی عشر، ص ٤٩٠-٤٩١

كثيرون بالإسلام، عزيزون بالمجتمع، فكن قطباً، واستدر الرحي بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض، انتفضت عليك العرب من أطراها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك^(١).

إن هذه التوصيات لأمير المؤمنين (عليه السلام) تكشف عن فكر استراتيجي للإمام يحلل به المواقف، ويسرّر به الأحداث المتوقعة، ويستنبط منها النتائج المتوقعة فيكون قراره حكيماً لا تغلب عليه العاطفة، ولا يفتقر إلى الدقة، ولا يشوبه التردد والخوف من احتمالات المستقبل، ولا يكون في حيرة حول ما سيكون موقفه لو تأخر أو استعجل في اتخاذ قراراته العليا في الحرب والسلم والحكم والإدارة؟

٥- الشجاعة في الموقف والأحداث

حين نتحدث عن شجاعة علي (عليه السلام)، فإننا نتحدث عن الشجاعة بمعانيها الواسعة التي تتضمن: الشجاعة بكل أنواعها النفسية، والخلقية، والسياسية، والإدارية، والعسكرية؛ ولم تطبع عند علي (عليه السلام) صفة دون أخرى، بل كان علي شجاعاً ومقداماً في الحروب، والحكم، والسياسة، والإدارة، والتعامل مع الآخرين، والمعارضة للظلم والعدوان في كل زمان ومكان. وقد توافرت الأدلة التاريخية بما لا يدع شكـاً إنه كان فارس الميدان في كل الحروب الإسلامية التي خاضها، ويتحدث ابن أبي الحديد المعتزلي فيقول عن تلك الشجاعة: «وأما الشجاعة فإنه أنسى الناس فيها ذكر من قبله،

(١) عبد، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٩٤

ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الأمثال إلى يوم القيمة، وهو الشجاع الذي ما فر قط، ولا ارتفاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلا قتلها، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت إلى ثانية، وفي الحديث: كانت ضرباته وترًا^(١). ويرى العقاد أن مفتاح شخصية الإمام هو «آداب الفروسية»، وهي جانب من جوانب شجاعته، ويقول عن ذلك: «وهكذا كان علي رضي الله عنه في جميع أحواله وأعماله، بلغت به نخوة الفروسية غايتها المثلث، ولا سيما في معاملته الضعفاء من الرجال والنساء، فلم ينس الشرف قط ليغتنم الفرصة، ولم يساوره الريب قط في الشرف، والحق إنما قائم دائمًا كأنهما في طبائع الأشياء. فإذا صنع ما وجب عليه فليننس من شاؤوا ما وجب عليهم، وإن أفادوا كثيراً وباء هو بالخسار..»^(٢).

وقد كانت شجاعة علي في المواقف والأحداث متنوعة، ففي الجانب القتالي يذكر لنا التاريخ مواقفه البطولية في معارك الإسلام الكبرى كبدر والخندق وخير وحنين، ونعرض نموذجاً لشجاعته التي ذكرها القرشي في موسوعته قائلاً: وفي معركة أحد برز دور الإمام علي (عليه السلام) في اللحظات الخطيرة والحرجة، وبعد أن خلت الساحة من مقاومة الجيش الإسلامي لشريكين ركزوا جهودهم على قتل رسول الله، وكان علي (عليه السلام) واقفاً إلى جانب رسول الله يرد عنه الكتائب المهاجمة وقتل فرسانها. واستطاع الإمام (عليه السلام) بعد جهد شاق أن يحافظ على حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبهر جبرائيل مواساة الإمام وجهاده وصبره، وقال للنبي: «إن هذه

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج ١، ص ١٣

(٢) العقاد، عبقرية الإمام، ص ٣٥ - ٣٦

المواساة قد عجبت منها الملائكة فقال له النبي: وما يمنعه وهو مني وأنا منه. فقال جبرائيل: وأنا منكم^(١).

وأما في الجانب السياسي فقد ظهرت شجاعته الخلقية والنفسية حين آثر مصلحة الإسلام على حقه الشرعي في الخلافة؛ إذ قال بعد أن خاطبه العباس وأبو سفيان بمبایعاتهما له: أيها الناس شقوا أمواج الفتنة بسفن النجاة، ورجعوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة. أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح. هذاماء آجن، ولقمة يغص بها أكلها، وبختني الشمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه^(٢).

ودرس آخر نراه عن شجاعة علي في تصميمه على تنفيذ أحكام الله دون محابة للسلطان، ومن ذلك ما جرى في حادثة الوليد بن عقبة وإلى الخليفة الثالث في الكوفة، فقد صلى بال المسلمين صباحاً أربع ركعات وهو ثمل، حتى قام خيار أهل الكوفة بانتزاع خاتمه منه، وحصبوه فذهب إلى القصر متزحجاً! ولما قدموا على عثمان وأخبروه بما جرى ماطل في المسألة، فذهبوا إلى الإمام (عليه السلام) وما أن علم الإمام بتفاصيل القصة حتى قدم على عثمان قائلاً له: دفعت الشهود وأبطلت الحدود. وأشار عليه الإمام باستدعائه ليحضر ويتمثل أمام الشهود فإإن لم يدل بحجة يقام عليه الحد. ولما حضر الوليد وواجهه الشهود بأقوالهم لم يدفع عن نفسه بحجة، فتقىد على (عليه السلام) لإقامة الحد عليه بعد أن أحجم الآخرون خوفاً من عثمان! ولما اعترض

(١) القرشي، موسوعة الإمام أمير المؤمنين: ج ٢، ص ٢٦-٢٧

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٦٠

عثمان على ذلك، قال له: يحق لي إقامة الحد، وشر من هذا إنه فسق، وضيع حق الله أن يؤخذ منه^(١).

وفي موقع مناصرة المظلوم، وقف الإمام إلى جانب الصحابي الجليل أبي ذر بعد أن أمر عثمان بنفيه إلى الربذة ومنع الجميع عن مشايعته، فودعه وهو يقول له: يا أبا ذر! إنك غضبت الله فأرج من غضبتك له، إن القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فأترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم وما أغناك عما منعوك، وستعلم من الرابح غداً، والأكثر حسداً، ولو أن السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقا، ثم اتقى الله، لجعل الله له منها مخرجاً، لا يؤنسنك إلا الحق، ولا يوحسنك إلا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبوك، ولو قرضت منها لأنموك^(٢).

وفي ميدان السياسة، استطاع الإمام علي (عليه السلام) بمبادرة الشجاعة أن يخلص المسلمين من فتنة الخوارج بعد أن قضى بسيفه البثار على زعيمائهم وقادتها ولم ينج منهم إلا نفر محدود ولو هاربين، وتحدث الإمام عن موقفه في تلك الواقعة فقال: «أما بعد أهيا الناس، فإني فقلت عين الفتنة، ولم يكن ليجرؤ أحد غيري، بعد أن ماج غيبها، واشتد كلبها، فأسألوني قبل أن تفقدوني، فو الذي نفسي بيده، لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدى مائة إلا أنباتكم بناعقها وقاتلها وسائقها،

(١) القرشي، موسوعة الإمام أمير المؤمنين، ج ٢، ص ٢٣٢-٢٣٤

(٢) عابده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٧٧

ومناخ ركابها ومحط راحلها، ومن يقتل من أهلها قتلاً، ومن يموت منهم موتاً»^(١).

٦. النزاهة والاستقامة

لم يحدثنا التاريخ بنزاهة حاكم واستقامته على مبادئه كما كان علي في حياته وحكمه، فهو قد ساوي نفسه بالفقراء والمحاجين وقال عن ذلك: أَفَنْعَ من نفسي بِأَنْ يُقال: ((هذا أمير المؤمنين)), ولا أُشَارُ كُهُمْ مُكَارَهُ الْدَّهْرِ، أو أَكُونُ لَهُمْ أَسْوَةً فِي جَشُوبَةِ الْعِيشِ^(٢). وكان (عليه السلام) يلزم نفسه بأمور شديدة في المأكل والملبس حتى لا يتميز عن بقية أفراد شعبه بشيء، وخاطب أحد ولاته وهو يقول له: أَلَا وَإِنَّ لَكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمْرِيهِ، وَمِنْ طَعْمِهِ بِقَرْصِيهِ، أَلَا وَإِنْكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكُنْ أَعْيُنُنِي بُورَعٌ وَاجْتَهَادٌ، وَعَفَةٌ وَسَدَادٌ^(٣).

ويتحدث الإمام عن التزامه التقوى ومجاهدة نفسه حتى لا يغلبه هواه، فيقول: «وَإِنَّمَا هِيَ نفسي أَرْوَضُهَا بِالتقوى، لِتَأْتِي آمِنَةً يَوْمَ الفزع الأَكْبَرِ، وَتَبْثِتُ عَلَى جُوانِبِ الْمَزْلُقِ، وَلَوْ شِئْتُ لَا هَتَّدِي إِلَى مَصْفِي هَذَا الْعَسْلِ، وَلِبَابُ هَذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجُ هَذَا الْقَرْزِ، وَلَكُنْ هِيَهاتٌ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَاهِي، وَيَقُودَنِي جَشُوعِي إِلَى تَخْيِرِ الْأَطْعَمَةِ، وَلَعْلَ بِالْحِجَازِ أَوِ الْيَمَامَةِ مِنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقَرْصِ، وَلَا عَهْدٌ لَهُ بِالشَّيْعَ^(٤).

(١) عبده، نهج البلاغة، ج١، ص ٢١٠

(٢) عبده نهج البلاغة، ج٣، ص ٥٦١

(٣) عبده نهج البلاغة، ج٣، ص ٥٥٩

(٤) عبده نهج البلاغة، ج٣، ص ٥٦٠

والإمام علي (عليه السلام) يذهب في نزاهته واستقامته لأبعد الحدود، فقد جاءه الأشعث بن قيس يهديه حلاوة، فقال (عليه السلام): وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوقة في وعائهما، معجونة شنتها، كأنما عجنت بريق حبة أو قيئها، فقلت: أصلحة أم زكاة أم صدقة، فذلك حرم علينا أهل البيت؟ فقال: لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية! فقلت: هبلك الهبول! أعن دين الله أتيتني لتخدعني، أختبط أنت أم ذو جنة أم تهجر؟ والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلى ولنعييم يفني ولذة لا تبقى!! نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الرزل، وبه نستعين^(١).

وهكذا عاش علي مستقيما على مبادئه في حياته، وغيفا طاهر اليد لا تخده مصانعة المتملقين، ومجاهدا لكل أنواع الانحرافات صغيرها وكبيرها، ولا تأخذه في الله لومة لائم حتى قال للذين عاتبوه على التسوية في العطاء: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله ما أطور به ما سمر سمير، وما أنم نجم في السماء نجماً، لو كان المال مالي لسويت بينهم فكيف والمال مال الله!!^(٢)

ومن المواقف التي تشهد على نزاهة الإمام (عليه السلام) واستقامته في دينه هو تخلصه من كل مظاهر حياة السلطان حتى البسيطة منها، ففي رواية لسويد بن غفلة أنه دخل على علي يوماً وليس في داره سوى حصير ث وهو

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٦٨-٤٦٩

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٧١-٢٧٢

جالس عليه، فقلت: يا أمير المؤمنين أنت ملك المسلمين والحاكم عليهم وعلى بيت المال وتأتيك الوفود وليس في بيتك سوى هذا الحصير، فبكى وقال: يا سويد إن البيت لا يتأثر في دار النقلة وأمامنا دار المقام وقد نقلنا إليها متاعنا ونحن منقلبون إليها عن قريب، فأبكاني والله كلامه^(١).

٧- الإيمان والثقة العالية بأهدافه

إن من أهم عناصر النجاح في عمل القيادة هو الإيمان والثقة المطلقة فيما يسعى إليه القائد من أمور لتحقيقها، وعقيدة راسخة على أنه يسير على طريق الحق فلا يتسرّب إليه الشك، ولا تعترضه الشبهات فيتراجع في متتصف الطريق، وهذا ما عبر عنه الإمام (عليه السلام) في قوله: إني لعلى بيته من ربِّي وبصيرة من ديني ويقين من أمري^(٢)، ولذلك كان عمله وقوله ينبعثان من نفس مطمئنة إنه على الحق وغيره على الباطل، كما يقول: إني على جادة الحق وإنهم لعلى مزلة الباطل^(٣). والحارث بن حوط قد جاء يسأل أمير المؤمنين: أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلال؟ فقال (عليه السلام): يا حارث! إنك إن نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحررت، إنك لم تعرف الحق فتعرف أهله، ولم تعرف الباطل فتعرف من أهله. فقال الحارث: فإني أعتزل مع سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر، فقال (عليه السلام): إن سعیداً وعبد الله لم ينصر الحق، ولم يخذلا الباطل^(٤).

(١) الحسنی، سیرة الأئمۃ الإثنتی عشر، ج ١، ص ٣٣١

(٢) الأَمْدِي، حکم الإمام علی، ص ٨٥

(٣) الأَمْدِي، حکم الإمام علی، ص ٨٥

(٤) الصالح، نهج البلاغة، ص ٥٢١



وكان الطريق أئمماً على (عليه السلام) واضحاً بعد أن أخبره رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بحربه مع مخالفيه، فعن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول لعلي بن أبي طالب (عليه السلام): تقاتل الناكثين والقاسطين بالطرقات والنهروانات وبالسعفات. قال أبو أيوب: قلت: يا رسول الله مع من نقاتل هؤلاء القوم؟ قال: مع علي بن أبي طالب^(١). وفي ضوء هذه المهمة التي أوكلها رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إليه، قال لابن عباس: ما ضعفت ولا جبنت، وإن مسيري هذا مثلها فلانقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه، ما لي ولقرיש! والله لقد قاتلتهم كافرين، وأفاقتلنهم مفتونين، وإنني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم^(٢).

ولقد حقق الإمام (عليه السلام) إنجازات عظيمة في الميدان على أعدائه نتيجة لهذه الثقة العالية وإيمانه بالطريق الذي يسير عليه، فاستطاع أن يخمد فتنة أهل الجمل، ويقضي على خطر الخوارج في بلاد المسلمين، وكاد أن ينهي أمر معاوية وأصحابه وشروعهم للأبد لولا الخيانة التي تعرض إليها في جيشه، وقد قال (عليه السلام) عن هذه الحروب في خطبة طويلة: ألا وقد قطعتم قيد الإسلام، وعطّلتم حدوده، وأتمتم أحکامه، ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض، فأما الناكثون فقد قاتلت، وأما القاسطون فقد جاهدت، وأما المارقة فقد دوخت، وأما شيطان الردة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجية قلبه، ورجة صدره، وبقت بقية من أهل

(١) الفيروزآبادي، فضائل الخمسة، ج ٢، ص ٣٥٨-٣٥٩

(٢) جرداق، روائع نهج البلاغة، ص ١٠٥

البغي، ولكن أذن الله في الكرة عليهم لأدلين منهم، إلا ما يتذر في أطراف البلاد تشذرا^(١).

ويوصف الإمام (عليه السلام) دوره القيادي في هذا الطريق وهمته العالية بقوله: وإنى لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم، سيفاهم سيفا الصديقين، وكلامهم كلام الأبرار، عمارات الليل ومنار النهار، متمسكون بحبل القرآن، يحييون سنن الله وسunn رسوله، لا يستكبرون ولا يعلون، ولا يغلون، ولا يفسدون، قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل^(٢).

٨- الأمانة وتحمله للمسؤولية

عند الدراسة والتأمل في مسيرة هذا الإمام القائد لاحظنا أن الإمام كقائد سياسي - كما يقول جاردنر (١٩٩٠) في كتابه عن القيادة - يمتلك مجموعة من السمات التي تتضمن القوة الجسدية والقدرة على التحمل، والقدرة على التفكير العالي وإصدار الأحكام، والاستعداد الشخصي لتحمل المسؤولية^(٣). ولقد كشفت الأيام عن القدرة الفائقة للإمام في تحمل المسؤوليات التي كلفها بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حياته وبعد فاته، وكانت أولى هذه المهام هو التخلف في مكة لأداء الأمانات واصطحاب الفواطم معه إلى المدينة، واستطاع الإمام أن ينفذ هذه المهمة رغم خطورتها بنجاح وأن يتجاوز كل العقبات التي صادفها في طريقه، حيث «لتحفه ثمانية فرسان ملثمين معهم

(١) الصالح، نهج البلاغة، ص ٢٩٩-٣٠٠

(٢) الصالح، نهج البلاغة، ص ٣٠٢

(٣) Gardner, On Leadership, PP 48-54

مولى لحرب بن أمية يدعى جناح، فقال علي (عليه السلام) لأيمن وأبي واقد أنيخا الإبل واعقلها وتقدم هو فأنزل النسوة واستقبل القوم بسيفه فقالوا: أظنت يا غدار أنك ناج بالنسوة ارجع بهن لا أبا لك. فقال: فإن لم أفعل؟ فقالوا: لترجعن راغماً ودنو من المطاي، فحال علي بينهم وبينهم وأهوى له جناح بسيفه فراغ عن ضربته وضرب جناحا على عاتقه فقده نصفين حتى وصل السيف إلى كتف فرسه ثم شد على أصحابه فتفرق القوم عنه وقالوا: أحبس عنا نفسك يا ابن أبي طالب، ثم قال لهم: إني منطلق إلى أخي وابن عمي رسول الله (صلى الله عليه وآلـه)، فمن سره أن أفري لحمه وأريق دمه فليدين مني^(١)، وانطلق بعدها بسلام مع الركب متوجهاً بهم إلى المدينة.

وعلى الرغم من السرية التي أحاط بها الرسول عند عزمه على التحرك لفتح مكة إلا أن الخبر تسرّب لحاطب بن أبي بلعة، فكتب كتاباً لقريش يطلعهم على الأمر وأعطاه امرأة سوداء، فأخذت الكتاب وأخفته في شعرها وأمرها أن تسير على غير الطريق. ونزل الوحي يخبر الرسول بهذا الأمر، فدعا النبي (صلى الله عليه وآلـه) علياً وكله بملائحة هذه المرأة واسترجاع الكتاب منها ومضى علي هو والزبير في إثرها ولما أدركها أنكرت هذا الأمر، وبعد أن هددها علي بكشف سترها اعترفت وأعطيته الكتاب وتم إبطال الأمر بهذه الطريقة. ولما دعا النبي حاطب بن بلعة وقال له: ما حملك على ما فعلته؟ قال: كنت رجلاً عزيزاً في أهل مكة - أي غريباً ساكناً بجوارهم، فأحببت أن أتخذ عندهم بكتابي إليهم مودة ليدفعوا عن أهل بيتي بذلك، فنزل قول

الله تعالى في الآية الأولى من سورة المتحنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا عَدُوّكُمْ أَوْلَيَاءَ تُلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيمَانَكُمْ أَنَّ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُثُرْ حَرَجُتُمْ جَهَادًا فِي سَبِيلِي وَإِنْتَغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرِفُنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَةِ وَإِنَّا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفِيْمُ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ قَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(١).

وأجمع أهل السير أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بعث خالداً إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام وبينهم البراء بن عازب. فأقام ستة أشهر فلم يحبه أحد وساء ذلك النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأمره أن يعزل خالدا، فلما بلغ أمير المؤمنين القوم صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قرأ كتاب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد وبایع أهل اليمن على الإسلام، فلما بلغ ذلك رسول الله خرَّ لله ساجداً وقال: السلام على همدان^(٢).

وفي سيرة الرَّسُول نقرأ، قول ابن هشام وهو يصف معركة خيبر: إن القتال بقى أيام يشتتد، والرسول كل يوم يولي رجلاً من أصحابه ويرجع خائباً ومضى يقول ويروي عن ابن إسحاق بسنده إلى أبي سلمة بن عمرو الأكرع أنه قال بعث رسول الله أبا بكر برأيته، وكانت بيضاء إلى حصون خيبر فرجع ولم يصنع شيئاً، ثم بعث في اليوم الثاني عمر بن الخطاب وكان نصيبه نصيب صاحبه، وفي رواية الطَّبرِي عن أبي بريدة الأسلمي أنه لما خرج عمر بن الخطاب بالراية ونهض معه النَّاسُ والتقي مع أهل خيبر انكشف

(١) ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٢، ص ١٦٤

(٢) ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٢، ص ١٤٨

عمر وأصحابه ورجعوا إلى رسول الله يحبّنه أصحابه ويحبّنهم، وظل القتال مستمراً وكلما أعطى الرّاية إلى أحد رجع خائباً أو فارّاً، ولما بلغ الجهد بال المسلمين ونفذ أكثر زادهم قال النّبّي بصوت مرتفع سمعه أكثر المسلمين: **وَاللّٰهُ لِأَعْطَيَ الرّايةَ غَدَارِجَلٍ يَحِبُّ اللّٰهَ وَسُولَهُ وَيَحِبُّهُ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ، فَتَطاوَلَتْ لَهَا قُرَيْشٌ وَرَجَا كُلُّ وَاحِدٍ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ الرّايةٍ^(١).** وكان علي (عليه السلام) هو صاحب هذه الرّاية وقد فتح الله تعالى على يديه حصن خير المنيع وتحقق للإسلام هذا النّصر العظيم.

وورد في مسنّد أحمد عن الإمام علي (عليه السلام) قال: **بَعْشَنِي رَسُولُ اللّٰهِ (صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إِلَى الْيَمَنِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ أَتَبْعَشَنِي إِلَى قَوْمٍ أَسْنَ مِنِّي، وَأَنَا حَدِيثٌ لَا أَبْصِرُ الْقَضَاءَ؟ قَالَ: فَوْضُعَ يَدِهِ عَلَى صَدْرِي وَقَالَ: اللَّهُمَّ ثِبِّ لِسَانَهُ، وَأَهْدِ قَلْبَهُ.** يا علي! إذا جلس إليك الخصمان فلا تقضي بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء. قال: **فَمَا اخْتَلَفَ عَلَيَّ قَضَاءُ بَعْدِهِ، أَوْ مَا أَشْكَلَ عَلَيَّ قَضَاءُ بَعْدِهِ^(٢).**

ولقد كان الإمام علي (عليه السلام) حاضراً في جميع المواقع التي كان الإسلام في حاجة إليها في السلم أو الحرب، ولا يمكن بأي حال من الأحوال استقصاء البطولات والإنجازات العسكرية والعملية التي تحققت على يدي علي (عليه السلام)، ولكن يكفينا عن ذكر كل هذه المآثر قول رسول الله (صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في كلمة جامعة عن مقام الإمام علي (عليه السلام):

(١) الحسني، سيرة المصطفى، ص ٤٤٩ - ٤٥٠

(٢) حنبل، مسنّد الإمام أحمد، حديث ٨٨٢، ص ٨٣

«يا علي سبع خصال لا يحاجك فيهن يوم القيمة أحد. أنت أول المؤمنين بالله إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأرأفهم بالرعاية، وأقسمهم بالسوية، وأعلمهم بالقضية، وأعظمهم مزية»^(١).

٩. التواصل الاجتماعي

إذا أردنا الحديث عن التواصل الاجتماعي لدى الإمام علي (عليه السلام) فإننا نرى الإمام حاضراً في وجدان الجماهير وعامة الناس على مدار الساعة، فهو الحصن والكهف لليتامى والأرامل واليد المبسوطة لنجدة كل محتاج وسائل. وكانت رعايته الأبوية تشمل جميع فئات المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، وهو الذي يقول (عليه السلام) في عهده للأشر: «وأشعر قلبك الرحمة للرعاية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارباً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق»^(٢). وكانت إنسانيته وخلقها العالي يتحكمان في طبيعة سلوكه تجاه الآخرين منذ أن ترعرع في حضن الإسلام وهو صغير، وشب على الإيثار والعطاء ولو على حساب نفسه وأهل بيته، ولعل قصة تفضيل علي (عليه السلام) وعائلته إطعام اليتيم والمسكين والأسير على أنفسهم (وهم صيام في وقت إفطارهم) باتت مضرب الأمثال في الإيثار ونكران الذات حتى أنزل الله تعالى في حقهم قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^(٣).

(١) الفيروز آبادي، فضائل الخمسة، ج ٢، ص ٢٦٤

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٧٢

(٣) سورة الإنسان، الآيات ٩-٨

وكان الإمام علي (عليه السلام) يتواصل مع أفراد شعبه عن طريق حل مشاكلهم بصورة مباشرة أو قضاء حاجاتهم بصورة شخصية دون تأخير أو مماطلة، ويدرك المؤرخون: (أن سعيدا بن القيس الهمداني رأه يوماً ما في شدة الحر في فناء حائط فقال: يا أمير المؤمنين بهذه الساعة؟ قال: «إلا أعين مظلوماً أو أغاث ملهوفاً»^(١)). وكان الإمام (عليه السلام) زيادة على ذلك، داعية لإصلاح أخلاق الناس في مجتمعه، فيخاطبهم بصورة مباشرة مبينا لهم العلل وطرق علاجها، وقال في أحد مواضعه الرائعة: «رحم الله امرأً سمع حكماً فوعى، ودعى إلى رشد فدنا، وأخذ بحجزة هاد فنجا، راقب ربه، وخف ذنبه، قدم خالصاً، وعمل صالحًا، اكتسب مدخوراً، واجتنب محذوراً، رمى غرضاً وأحرز عوضاً، كابر هواه، وكذب منه، جعل الصبر مطية نجاته، والتقوى عدة وفاته، ركب الطريقة الغراء، ولزم المحجة البيضاء، اغتنم المهل، وبادر الأجل، وتزود من العمل»^(٢).

وجاء في كتاب (الاختصاص) أنه قال: «أيها الناس أمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقرب أجيلاً ولا يؤخر رزقاً، وذكروا أنه توضاً مع الناس في ميضاة المسجد فزحمه رجل فرمى به، فأخذ الدرة فضربه ثم قال له: ليس هذا مما صنعت بي ولكن يحيى من هو أضعف مني فتفعل به مثل هذا فتضمن»^(٣). ولعل الإمام (عليه السلام) في هذا الموقف التأديبي الصارم أراد أن يعلم هذا الرجل النزق حسن التعامل

(١) المفيد، الاختصاص، فضل أمير المؤمنين، ص ١٥٧

(٢) عابده، نهج البلاغة، ج ١، ص ١٥٣ - ١٥٤

(٣) المفيد، الاختصاص، فضل أمير المؤمنين، ص ١٥٩

مع الآخرين واحترام مشاعرهم، ومعرفة معنى الانضباط في سلوكه وتعاملاته
مع مَنْ هو دونه في القوة أو الجاه والمركز !

يقول المؤرخون أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يأتي السوق كل يوم يصنع ما تعود أن يصنعه: يعين الحمال على حمولته، ويرشد الضال، ويعظ التجار، وينصح من يجده في السوق مَنْ يلون أمراً من أمر المسلمين أن لا يقبلوا الهدايا من أهل السوق، ولا أحد من الرعية، ويحتاج بالحديث الشريف: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً، فأخذ أكثر من رزقه فهو غلول»^(١).

وكان (عليه السلام) في مخاطبة طبقة التجار وأهل السوق شديداً في لهجته، يقرع أسماء عهم بمواعظه ويدركهم بمسؤولياتهم وواجباتهم الإسلامية وهم يتعاملون مع الناس في الشراء والبيع، فقال (عليه السلام) في إحدى خطبه: «عباد الله! إنكم - وما تأملون من هذه الدنيا - أثوياء، مؤجلون، ومدينون مقتضون، أجل منقوص، وعمل محفوظ، فرب دائب مضيع، ورب كادح خاسر، وقد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إدباراً، ولا الشر إلا إقبالاً، ولا الشيطان في هلاك الناس إلا طمعاً. فهذا أو ان قويت عدته، وعمت مكيدته، وأمكنت فريسته. اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً، أو غنياً بدلاً نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً، أو متمراً كأن بأذنه عن سمع الموعظ وفراً»^(٢).

(١) المدرسي، أخلاقيات الإمام علي، ج ١، ص ٢١٩-٢٢٠

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٧٦

وقد استحدث الإمام علي (عليه السلام) - كحاكم يرعى حقوق الناس وسيادة القانون - نظاماً عبر عنه الفكيكي «بمبدأ سيادة الأمة وسلطان الرأي العام»^(١)، حيث يمكن للمواطنين مراقبة ومحاسبة حكامهم وولاتهم إذا أخطئوا أو انحرفوا عن جادة الطريق، وهو ما أشار إليه الإمام في عهده للأشر و هو يحثه على كسب رضا وتأييد عامة الشعب وعدم الانشغل بمطالب و حاجات الطبقة الخاصة: «وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضى العامة، فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة»^(٢)، ثم يبين الإمام مساوى الطبقة الخاصة و خطرها على الحكم، فيقول: «وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسائل بالإلحاد، وأقل شكرا، عند الإعطاء، وأبطأ عنرا عند المنع، وأضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة، وإنما عماد الدين، وجماع المسلمين، والعدة للأعداء، العامة من الأمة، فليكن صفوكم لهم ومليك معهم»^(٣).

وقد كان الإمام (عليه السلام) هو أول من اعتمد هذا النظام (أو المبدأ) في مراقبة ومحاسبة ولاته، وكان يخاطبهم بلهجة حادة يتوعّد فيها أو يأمر بعزلهم إذا بدرت منهم هفوة أو تعد على حقوق الناس، فقال وهو يخاطب مصقلة بن هبيرة الشيباني عامله على أردشير خره: «بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته، فقد أسخطت إهلك، وأغضبت إمامك، إنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته

(١) الفكيكي، الراعي والرعاية، ص ٢٠٠-٢١٠

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ٥٧٤

(٣) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٧٤

رحمهم وخيولهم، وأريقت عليه دماءهم، في من اعتامك من أعراب قومك،
فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لئن كان ذلك حقا، لتجدن لك على هوانا،
ولتخفن عندي ميزانا، فلا تستهن بحق ربك، ولا تصلح دنياك بمحق دينك
ف تكون من الأخسرین أعملا»^(١).

وكان من وسائله في التواصل الاجتماعي توصية أصحابه المخلصين لنشر الثقافة الرسالية بينهم، وتعزيز بصائرهم في دينهم، وتحفيزهم على التحلي بمكارم الأخلاق، ومن ذلك ما خاطب به الحارث الهمداني في كتاب له: «ومتسك بحبل القرآن واستنصره، وأحل حلاله، وحرم حرامه، وصدق بما سلف من الحق، واعتبر بما مضى من الدنيا، ما بقي منها، فإن بعضها يشبه بعضها، وآخرها لاحق بأوها، وكلها حائل مفارق، وعظم اسم الله أن تذكره إلا على حق، وأكثر ذكر الموت وما بعد الموت، ولا تتمن الموت إلا بشرط وثيق، واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه، ويكره لعامة المسلمين، واحذر كل عمل يعمل به في السر، ويستحيي منه في العلانية، واحذر كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره، أو اعتذر منه، ولا تجعل عرضك غرضا لنبال القول، ولا تحدث الناس بكل ما سمعت به، فكفى بذلك كذبا، ولا ترد على الناس كل ما حدثوك به، فكفى بذلك جهلا، واكتظ الغيظ وتجاوز عن المقدرة، وأحلم عند الغضب، واصفح مع الدولة تكن لك العاقبة، واستصلاح كل نعمة أنعمها الله عليك، ولا تضييع نعمة من نعم الله عندك، ولير عليك أثر ما أنعم الله به عليك»^(٢).

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٥٦

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٦١٥

١٠. التعاطف الإنساني

لقد ألزم الإمام علي (عليه السلام) نفسه بأن يعيش كأحد أفراد شعبه لا يتميز عنهم في مأكل أو ملبس، فهو لا يكتفي بحل مشاكلهم أو إشباع حاجاتهم من فيء المسلمين بل يشدد على نفسه فيقول: «أققنع من نفسي بأن يقال: (هذا أمير المؤمنين)، ولا أشاركهم مكاره الدهر، أو أكون لهم أسوة في جشوبة العيش»^(١). ووصف فلسنته في القيادة قائلاً: ألا وإن لكل مأمور إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بظمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد^(٢).

ومن الأمور التي تميز بها علي (عليه السلام) في حكمه هو ذلك التعاطف الذي كان يحركه في الليالي ليتفقد رعيته ويتحسس آلامهم، ويطيب نفوسهم، ويقضي حوائجهم وإليكم هذه القصة: فعن زيد بن أسلم كنت مع علي أمشي فانتهي إلى امرأة توقد تحت قدر، لها فيه ماء وأولادها يبكون، فقال علي (عليه السلام): ما شأنهم يبكون؟ فقالت: هم أيتام وليس عندهم ما أطعمهم فأفعل هذا وهم يظنون أنه طبixa حتى يناموا! قال فقال لي: سر بنا إلى دار الدقيق فانتهينا إليه، فقال: أشلل علي، قلت أحمل عنك، فقال: من يحمل عنك ذنبي يوم القيمة. فحملها علي (عليه السلام) وقال: شأنك والشحم، فوالله لقد رأيته ينفخ تحت القدر وإن لحيته لفي رماد حتى طبخ،

(١) عبد نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٦١

(٢) عبد نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٥٩

ثم قال للمرأة: فشأنك والصبية. فقلت: نخرج؟ قال علي (عليه السلام): لا أبرح حتى أسمع ضحكاتهم كما سمعت بكاءهم. قال: شبع الصبية فلهوا وضحكوا، ثم انصرف علي عليه السلام^(١).

وروى سعيد بن القيس الهمداني أنه رأه في شدة الحر في فناء حائط، فقال له: يا أمير المؤمنين بهذه الساعة؟ قال: ما خرجم إلا لأعين مظلوماً أو أغىث ملهوفاً^(٢)، فالإمام (عليه السلام) كحاكم متعاطف مع شعبه لا ينتظر أن يأتيه أفراد شعبه إلى دار الحكومة فيعالج مشاكلهم، بل هو يبادر بنفسه للتعرف على مشاكل الفقراء والمحاجين ليصلاح أحوالهم ويرفع عنهم ما لحق بهم من ظلم أو عدوان من الآخرين، ويتحمل بنفسه ما حصل من تقصير حكومته في حق أي مواطن من المواطنين. ولم يكن بين الإمام والناس أستار وحجب، وكان يمشي في السوق، يحادث الناس، ويسألهم ويسألونه، وينصح التجار ويقول لهم: يبعوا ولا تحلفوا، فإن اليمين تنفق السلعة، وتحقق البركة^(٣).

ومن صور التعاطف عند الإمام (عليه السلام) ما قام به من فتح أبوابه للموطنين والسماع لهم والسعى في إزالة المظالم التي تقع عليهم بصورة مباشرة، ومن ذلك ما جاء في خطاب سودة بنت عمارة الهمدانية بعد أن دخلت على معاوية وهي تتحدث عن عدل علي (عليه السلام). فقالت:

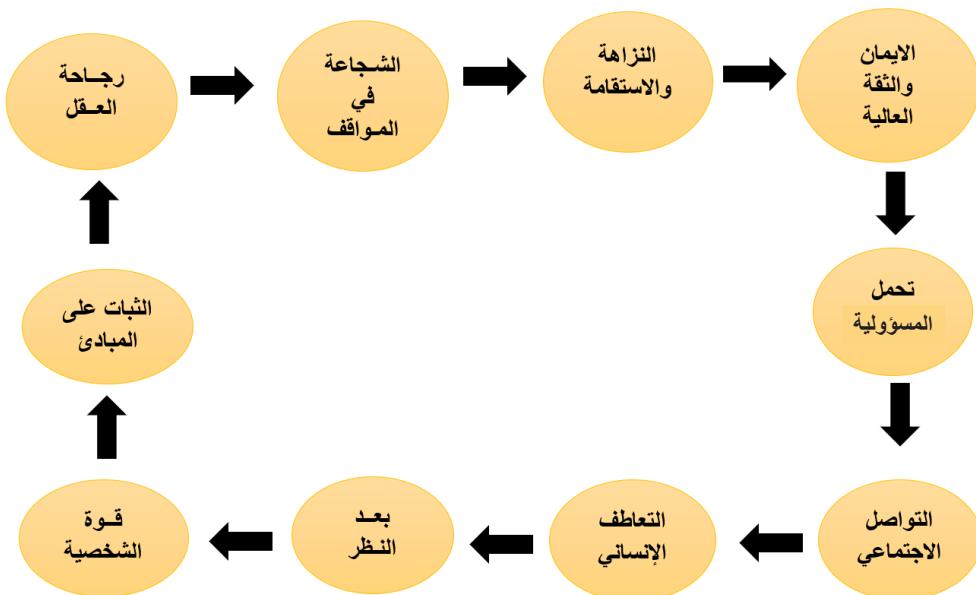
(١) الرواندي، مكارم أخلاق النبي والأئمة، ٢٠٥-٢٠٦

(٢) المفید، الاختصاص، ص ١٥٧

(٣) المدرسي، أخلاقيات الإمام علي، ج ١، ص ٢٢٠

الفصل الأول: النشأة والتكوين القيادي للإمام (عليه السلام)

لقد جئته في رجل ولاه على صدقاتنا، فجبار علينا. فصادفته قائماً يصلي فلما رأني انفلت من صلاته ثم أقبل علي برأفة ورحمة ورفق وتعطف، وقال: ألك حاجة؟ قلت نعم، فأخبرته بالخبر، فبكى ثم قال: اللهم أنت الشاهد علي وعليهم وأني لم أمرهم بظلم خلقك، ثم أخرج قطعة من جلد فكتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم. قد جاءتكم بینة من ربكم فأوفوا الكيل ولا تخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلك خير لكم إن كنتم مؤمنين. فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك، والسلام^(١). ويمكن توضيح مكونات القيادة لدى الإمام علي (عليه السلام) التي نشأت وتأصلت مع مرور الزمن على النحو التالي:



شكل (٣) مكونات الشخصية القيادية لدى الإمام (عليه السلام)

(١) القزويني، الإمام علي من المهد إلى اللحد، ص ١٥٧

- الفصل الثاني -

القيادة في الإسلام والفكر الإنساني

برزت القيادة كحاجة ضرورية للناس وهم يتجمعون في قبائل، وعائلات، ومجتمعات صغيرة، فكان الرئيس أو القائد هو كبير أفراد الأسرة أو القبيلة التي ترجع إليه الأفراد في إدارة شؤونها، وتسويه خلافاتها، واتخاذ قراراتها في الحرب والسلم أو الانتقال من مكان لأن آخر بحثاً عن متطلبات المعيشة في ذلك الوقت. ومع تطور الإنسان وظهور الحضارات والمدنيات الكبرى أصبح مفهوم القيادة يرتبط بالحكام وقادة الجيوش، وفي مراجعة تاريخية للقادة في الحضارات المختلفة وبطولة تم توصل Bass (٢٠٠٨) إلى إن هذه الشعوب تشتراك في رأي واحد حول صفات تلك القادة من حيث الشجاعة، والفطنة، والقدرة على تحقيق الانتصارات على الأعداء في المعارك التي خاضوها^(١).

أولاً. القيادة في الدين والعلوم الإنسانية

تعددت النظريات والمداخل لدراسة القيادة عبر الحضارات المختلفة؛ ففي العصر الإغريقي كان تراسيا فوس الفيلسوف السوفسطائي يتصور بأن العدالة ليست إلا مصلحة الأقوى، وأما العدالة عند أفلاطون فهي مجموعة الفضائل التي تنظم حياة البشر وهي تمثل الخير الأسمى. ويعود أفلاطون أن مهمة الحاكم لا تتوقف على أن يسوس المجتمع، بل يكون ملماً بالخير وكيفية العمل به في تنظيم أفراد المجتمع وتنشئة صغاره، ولذلك ينبغي أن يكون الحاكم فيلسوفاً عالماً. وأما أرسطو فقد صنف الأنساق السياسية إلى حكم الأقلية الأرستقراطية وحكم الأغلبية الديموقراطية؛ ولتجنب سيئات التطرف في الاتجاهين السابقين اقترح ما يسمى بالطبقة المتوسطة (البوليتا)

أي الحكومة الدستورية، وهي حكومة تعمل بالدستور وتتبع المبدأ العقلاني في عملها^(١).

وأما في المدخل الإسلامي فنجد أن القيادة التي رسخها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) تقوم على التشاور، والعفو، والاستغفار وتحمل المسؤولية ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)), كما أن مبدأ القيادة يقوم على خدمة الناس ((سيد القوم خادمهم)), وأن الخلافة قد تم تداولها على أساس مبدأ الشورى في اختيار الأصلح للحكم ووضعوا قواعد وشروط لأمر البيعة وكيفية اختيار الحاكم كما جاء في كتب الحكم والسياسة والقضاء^(٢). وأما الرؤية الإسلامية الأخرى فنجدتها عند مدرسة أهل البيت (عليه السلام) التي تقوم على نظرية الجعل الإلهي، بمعنى أن أمور الولاية والحكم يجب أن تسند للإمام المعصوم الذي تم تنصيبه من قبل الله تعالى كما جاء في النص القرآني بخصوص إمامية النبي إبراهيم (عليه السلام) والجعل للأئمة الهاشميين كما جاء في الروايات المستفيضة بهذا الشأن والواردة عن طريق أهل البيت (عليهم السلام)^(٣).

وتناول فلاسفة الإسلام مسألة القيادة وكانت لهم آراؤهم في هذا المجال، فيرى الفارابي أنه لا يصلح للرئاسة إلا من ورث صفات فطرية وتزود بالتعلم صفات الحاكم الفاضل؛ فأما الفطرية منها فهي تتعلق بما يتميز عن غيره من سلامة قواه الجسمانية والعقلية، وحسن طبائعه الخلقية، وشجاعته

(١) رشوان، القيادة، ص ٢٦-٢٨

(٢) رشوان، القيادة، ص ٢٨-٣٣

(٣) الحكيم، الإمام وأهل البيت، ص ٢٥

وقدرته على تحمل الصعاب. وأما الصفات المكتسبة فهي تتضمن العلم والحكمة، والقدرة في استنباط الأحكام، والقدرة على التجديد، والاستطاعة والكفاءة في تحمل مسؤولية قيادة الجيوش؛ ويتفق ابن خلدون مع ما ذهب إليه الفارابي وذلك بقوله: يجب أن يتحلى القائد بالعلم، والعدل، والكياسة، وسلامة الأعضاء والحواس^(١).

ويقسم عبد الفتاح (٢٠١٨) المدخل الإسلامي في تناوله لقضايا الحكم والسياسة إلى أربعة اتجاهات: منها المدخل الفلسفـي الذي يمثله الفارابي وما بينه في مدینته الفاضلة، والمدخل الفقهي الذي أسس له الماوردي في كتابه «الأحكام السلطانية» عن شروط الحاكم والكيفية التي يتولى بها الحكم، والمدخل الأخـلـقي الذي تناوله الطرطوشـي وجموعة أخرى من المفكـرين الإسلامـيين كالجـاحـظـ والـشـاعـالـيـ والـدـنـيـورـيـ حيث تتضـمـن رسـائـلـهـمـ نصـائحـ أخـلـاقـيةـ لـلـمـلـوـكـ وـالـسـلاـطـينـ، والمـدخلـ العـمـرـانـيـ الذي قـادـهـ ابنـ خـلـدونـ وـكـتـبـ فيـ مـقـدـمـتـهـ عـنـ السـنـنـ التـيـ تـحـكـمـ نـهـضـةـ الـأـمـمـ وـسـقـوـطـهـاـ^(٢).

ولا بد من أن نشير هنا إلى أن الإمام علي (عليه السلام) قد سبق هؤلاء جميعاً في تبيان أصول الحكم والسياسة الإسلامية، وصفات الحاكم الصالح، والكيفية التي يتم بها تدبير شؤون الرعية في خطاب مفصل كتبه لملك الأستر (رض) حينما أرسله إلى مصر وإلياً عليها والذي يسمى «بعهد الأستر»^(٣).

(١) رشوان، القيادة، ص ٣٣-٣٦

(٢) عبد الفتاح، أسس الفكر السياسي الإسلامي، ص ١-٢٢

(٣) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٧١-٥٩٦

وفي العصور الوسطى برب القديس توماس الأكويني الذي ربط بين حكم الله والخلق ورأى أن السلطة هي لله وأنه أوكلها للبشر ليحكموا بالقانون الذي يتفق مع القانون الطبيعي الذي وضعه الله؛ ويصنف توماس الحكومات إلى حكومات صالحة وحكومات فاسدة، والأولى هي التي تتولى مصالح العامة وأما الثانية فهي تتولى مصالحها الخاصة.

وفي ظل نظرية العقد الاجتماعي تفاوتت الآراء حول شكل الحكومة التي تمثل هذا العقد؛ فقد رأى توماس هوبز بأنه يحق للحاكم بموجب هذا العقد التصرف بما يخدم مصلحة المجتمع واستقراره، والمحافظة على سلامته أعضائه وهو بذلك يؤيد الحكم المطلق للفرد، ويوافقه في الرأي روسو الذي ذهب إلى ضرورة وجود مثل هذا الحاكم الذي يمثل إرادة المجتمع. وفي الاتجاه المضاد يرفض جون لوك هذا التصور، وذلك بتأكيده على أهمية الوفاء بالتعهدات والالتزامات من قبل الحاكم كما أنه يمكن محاسبته وعزله إذا أخل بهذه الشروط^(١).

وينطلق عالم الاجتماع الأمريكي ماكس فيبر في تحديد السلطة من منظور القوة التي يمارسها صاحب السلطة، وحدد فيبر ثلاثة أنواع من السلطات هي: السلطة الكاريزمية (الفرد القائد)، والسلطة التقليدية (سلطة الأعراف والتقاليد)، والسلطة الدستورية الرشيدة وهي أفضل أنواع السلطات التي يتم فيها الاتفاق على القواعد والإجراءات وتحظى بقبول الجميع^(٢).

(١) رشوان، القيادة، ص ٣٧-٣٩

(٢) رشوان، القيادة، ص ٤١-٤٤

وفي القرآن الكريم تم التطرق لمسألة القيادة وتم تصنيفها لنوعين: القيادة الصالحة والقيادة الظالمة؛ فهو حين يتحدث عن القيادة الصالحة فيتعرض لذكر العبد الصالح «ذو القرنين» ودوره في نشر العدالة ومحاربة الظالمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْبَيْنِ قُلْ سَأَلْتُو عَلَيْكُمْ مِمْنُهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَنَا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَاتَّبَعْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا﴾^(١). وأما بالنسبة للقيادة الظالمة فيقدم القرآن الكريم «فرعون مصر» كنموذج عدواني صارخ قد أسرف في القتل والظلم والتعدى والتحدي للإرادة الإلهية في الملك والحكم، فيقول تعالى عنه: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُورِيَّ * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَرَكَيَ * وَاهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْآيَةُ الْكُبْرَى * فَكَنَبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَلَاحَذَهُ اللَّهُ نَكَالُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لِعْبَرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾^(٢).

والخلاصة التي نخرج بها من قراءتنا للقيادة في التاريخ بأن القيادة كانت حاجة فطرية لدى البشرية في كل الحضارات، وأن البحث عن القائد الأمثل كان محط اهتمام الفلاسفة، والعلماء، ورجال الدين وإن اختلفت آراؤهم بهذا الخصوص. والدرس الآخر الذي نستخلصه من قراءتنا للتاريخ هو أهمية اختيار القائد الصالح الذي يحقق أهداف الجماعة وينمي إمكانياتها وقدراتها الفكرية والمعنوية ويقودها لتحقيق المجتمع النموذجي الفاضل كما حدث ذلك تاريخياً في حياة الرسول محمد (صلى الله عليه

(١) سورة الكهف، الآيات ٩٨-٨٣

(٢) سورة النازعات، الآيات ١٥-٢٦

وآلـهـ) والـذـي يـعـدـ الـيـوـمـ نـمـوذـجـاـ مـتـكـامـلاـ فـيـ الـقـيـادـةـ، كـمـ أـشـارـ لـذـلـكـ جـونـ
أـدـيرـ فـيـ كـتـابـهـ «ـمـحـمـدـ الـقـائـدـ الـملـهـمـ»ـ.

ثانياً. القيادة في اللغة والاصطلاح

تشتق كلمة القيادة من (القود) وهي بمعنى السوق، ويقال قاد الدابة قوداً، وقيادة، وقيادة: مشى أمامها آخذـا بـمـقـوـدـهـاـ وـقـيـادـةـ الـجـيـشـ هيـ رـئـاسـتـهـ وـتـدـبـيرـ أـمـرـهـ، وـقـائـدـ هوـ مـنـ يـقـودـ الـجـيـشـ أوـ مـنـ يـقـودـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـأـفـرـادـ وـنـحـوـهـاـ^(١). وفي معجم اللغة العربية المعاصرة عدد المؤلف استعمالات القود والتي منها: المشي أمام المقاد كقيادة الدابة، أو بمعنى الإيصال إلى الجهة المطلوبة كما نقول قاده إلى المكتب، أو قيادة السيارة ويعني بذلك تولى توجيهها، أو قاد الجيش بمعنى ترأسه وتدبر أمره^(٢). وأما القيادة بالمفهوم الاجتماعي فهي القدرة على معاملة الطبيعة البشرية أو على التأثير في السلوك البشري لتوجيه جماعة من الناس نحو هدف مشترك بطريقة تضمن بها طاعتهم وثقتهم واحترامهم وتعاونهم^(٣).

وفي الاصطلاح تعددت وجهات النظر حول مفهوم القيادة، فبعضهم يرى أن القيادة هي التي يتم التركيز فيها بصورة خاصة على الجانب الاجتماعي للقيادة ومن ثم يكون القائد هو المصدر أو المحرك الأساس لعمليات التغيير والأنشطة المختلفة للجماعة، ف تكون القيادة مجسدة لإرادة تلك الجماعة. وهناك

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٣٧٠

(٢) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ص ١٨٦٨

(٣) بدوي، معجم المصطلحات الاجتماعية، ص ٢٤٢

مفهوم آخر يرتبط بشخصية القائد نفسه، فالقائد بما يمتلك من صفات خاصة تكون له القدرة على توجيه الجماعة وتمكينهم من القيام بإنجاز المهام المطلوبة منهم، بينما يرى آخرون أن أفعال وسلوكيات القائد وليس صفاته هي المسؤولة عما تركه القيادة من آثار على الجماعة^(١).

ومن الناحية الاجتماعية يمكن تعريف القيادة (Leadership) بأنها خاصية من خصائص الجماعة توكل فيها مسؤولية القيام بأنواع من النشاط المهم لفرد (أو جماعة) يتسم بخصائص شخصية اجتماعية معينة كالسيطرة، وضبط النفس؛ وميزات جسدية معينة: كطول القامة، وجهورية الصوت وغيرها من المميزات^(٢).

وذهب بعضهم إلى أن علاقة السلطة بين القائد وأتباعه هي التي تحدد قوة تأثير القيادة على الجماعة، بينما تبني آخرون وجهة النظر التي تقول بأن القيادة ما هي إلا أداة أو وسيلة تساعد الجماعة على تحقيق أهدافها. وبغض النظر عن تعدد المفاهيم حول القيادة فإن Northouse (٢٠٠٤) قد وضع مجموعة من المحدّدات للوصول إلى تعريف شامل للقيادة وهي: أن القيادة عملية مستمرة وتفاعلية، وتتضمن التأثير في الآخرين في سياق اجتماعي معين لتحقيق مجموعة من الأهداف المرغوبة، وبناء على ذلك فهو يعرف القيادة: بأنها العملية التي يقوم فيها شخص أو مجموعة من الأشخاص بالتأثير في الآخرين وتوجيه سلوكهم لتحقيق هدف مشترك^(٣).

(١) Northouse, Leadership. PP 2

(٢) مرعي وبلقيس، علم النفس الاجتماعي، ص ٢٨٥-٢٨٦

(٣) Northouse, Leadership. PP 2-3

ويتفق معظمهم بأن عملية القيادة تتطلب شخصية محببة تتمتع بالذكاء والمرونة والقدرة على الإثارة والإقناع لآخرين، وتميز بالقدرة على معرفة من حولها من الأشخاص وكيفية التفاعل والتعامل معها. القائد من جانب آخر لا بد أن يتمتع بصفات شخصية خاصة كالصبر والمثابرة والقدرة على التعامل مع المشكلات وحلها، ويستطيع في الوقت نفسه كسب وتأييد الجماعة في المعارك التي يخوضوها وذلك عن طريق ما يمتلكه من معرفة عن سيكولوجية الأشخاص وдинاميات التفاعل معها^(١).

وزيادة على ما سبق فلا بد للقائد من أن يتمتع بالثقة العالية بالنفس، وذلك عن طريق ما يظهره في علاقاته من إخلاص، وتفان في خدمة الجماعة، وبما يمتلك من روح للمبادرة والمبادرة فيكون نموذجاً يحتذى به في العمل، ويكون مصدراً للإبداع وتوليد الأفكار الجديدة. ويساعد مثل هذا القائد على خلق البيئة المحفزة للمشاركة الفعالة وتقدير المقترنات والأفكار المختلفة، وبالتالي تحقيق أي من الأمور السابقة ما لم يتحل القائد بالصفات الأساسية للقيادة والتي تتضمن النزاهة، والأمانة، وروح العدل والإنصاف، والتجدد وعدم التحيز^(٢).

ووفقاً لهانتر فإن جوهر القيادة هو التأثير الذي يتركه القائد في نفوس الناس بحيث يشاركون بإرادتهم و اختيارهم في السعي نحو تحقيق أهداف مشتركة مفيدة لجميع الأطراف بكل قلوبهم، وعقولهم، وتميزهم، وكل الموارد الأخرى التي يمتلكونها. والقيادة هي تحديد للرسالة والقيم والأهداف

(١) مرعي وبليقيس، علم النفس الاجتماعي، ص ٢٩٠-٢٩١

(٢) مرعي وبليقيس، علم النفس الاجتماعي، ص ٢٩١

التي يشارك الأتباع قائدتهم في الإيمان بها، ويكونوا بذلك أفضل ما يكون باستطاعتهم أن يكونوا^(١). ولا تعني القيادة الإدارة ولا الرئاسة بل هي مسؤولية خطيرة تترك آثارها في حياة الآخرين، بل تحدد مصير حياتهم في الحاضر والمستقبل، ومن ثم على القائد أن يفكر مليا فيما سيقدمه لمن يقودهم وكيف يخدمهم بدلاً من أن يفرض عليهم سلطته ويسطر الأوامر إليهم^(٢)، ومن هذا المنطلق تصبح القيادة هي التأثير في الناس من أجل العمل بحماس على تحقيق أهداف محددة بوصفها تحقق المصلحة العامة المشتركة عن طريق شخصية أخلاقية قوية توحى بالثقة^(٣).

ويفترق Munroe (٢٠٠٥) عن الآراء السابقة، فيرى القيادة بأنها مسألة تتعلق بالاتجاهات والميول الشخصية للإنسان، والتي تحدث بشكل طبيعي عن طريق الإلهام والتحفيز للآخرين، وهي عملية داخلية يكتشف عن طريقها القائد نفسه. وزاد Munroe بأن الناس ولدوا ليكونوا قادة لا تابعين، وإن كل واحد منا يمتلك إمكانية القيادة، ولكن يجب السعي لتحويل هذه الإمكانيّة إلى واقع ملموس. والقادرون الحقيقيون هم من اكتشفوا وعرفوا من هم؟ وما هي غايتهما؟ فهم يحدثون التأثير في بيئتهم الاجتماعية ولكنهم لا يتاثرون بها، والقيادة لا تنحصر فقط في التأثير على الآخرين، بل يتميز القائد الحقيقي بأن الآخرين بإرادتهم يسلّمون زمام أمورهم طواعية إليه^(٤).

(١) هانتر، مبدأ القيادة الأكثر فعالية في العالم، ص ٤٦

(٢) هانتر، مبدأ القيادة الأكثر فعالية في العالم، ص ٤١

(٣) هانتر، مبدأ القيادة الأكثر فعالية في العالم، ص ٣٢

(٤) Munroe, The Spirit of Leadership, PP 44-48

وفي ضوء هذا الفهم الجديد يمكن تعريف القيادة بأنها: القدرة على التأثير في الآخرين بقوة الإلهام الشخصي والتحفيز الذاتي للقائد مصحوباً بالشغف والحب لمشاركة الآخرين في تحقيق رؤية جديدة، والارتباط العقائدي بها من أجل التحرك لتحقيق هدف أسمى في هذه الحياة^(١).

ثالثاً. القيادة: وجهات نظر متعددة

تعددت النظريات التي تناولت مسألة القيادة وفقاً للإطارات الفكرية والمعتقدات والقيم المذهبية التي يرتكز عليها الباحث في صياغة نظريته، إذ إن النظرية القيادية هي مجموعة من الفرضيات والتصورات حول الكيفية التي يمكن للقائد أن يؤثر بها على الجماعة في موقف معين ويحدد لهم بها مسار العمل لتحقيق هدف أو مجموعة من الأهداف المتفق عليها بما يضمن مصالح الجميع.

١- النظريات الكلاسيكية حول القيادة

اهتمت هذه النظريات بدراسة الجانب التكويني للقيادة (فطريّة أم مكتسبة)، والتعرّف على سماتها ومهاراتها العملية، والوظائف التي يجب أن تقوم بها لكي يكون القائد ناجحاً في عمله.

١- نظرية الإلهام أو الرجل العظيم

يمكن القول بأن نظرية الإلهام أو الرجل العظيم Great-Man هي من النظريات الأولى التي حاولت تفسير القيادة، وتنفترض هذه النظرية أن

التغيرات في الحياة الجماعية والاجتماعية تتحقق عن طريق أشخاص ملهمين وذوي مواهب وقدرات غير عادية، وهذه العبرية تجعل منهم قادة بغض النظر عن المواقف الاجتماعية التي يواجهونها، ومن أشد الدعاة لهذه النظرية السير فرانسيس جالتون الذي قدم البيانات الإحصائية والوراثية تأييداً لنظريته^(١).

٢-١ نظرية السمات

أما النظرية الأخرى التي ركزت على شخصية القائد فهي نظرية السمات Traits (الصفات) والتي قامت بدراسة سمات القائد الفرد من النواحي الجسدية والعقلية والانفعالية والاجتماعية، وفي دراسته وجد Stogdill أن قادة الجماعات يتميزون بسمات جسدية وعقلية واجتماعية وانفعالية كثيرة كطول القامة وضخامة الجسم وصحة البدن، وحسن المظهر والصورة، والذكاء والقدرة على حل المشكلات، وشدة الثقة بالنفس، والانغماس في النشاط الاجتماعي، وقوة العزيمة والإرادة، والقدرة على المبادأة والمثابرة، والطموح والنزعة الاستقلالية^(٢).

٣- النظرية الوظيفية Functional

مع بداية القرن العشرين وانتشار المصانع والمؤسسات، اعتمدت معايير تتصل بالمهام الوظيفية لتفسير القيادة، وهي تركز على دراسة المهام والوظائف (الأعمال) التي يقوم بها العاملون بمختلف مراتبهم لتحقيق الأهداف

(١) مرعي وبليقيس، الميسر في علم النفس الاجتماعي، ص ٣٠٣ - ٣٠٤

(٢) مرعي وبليقيس، الميسر في علم النفس الاجتماعي، ص ٣٠٢

للمؤسسة ودراسة دور القائد في تنظيم جهود الجماعة لبلوغ هذه الأهداف. وتتلخص أهم وظائف القائد في: التخطيط للأهداف القريبة والبعيدة المدى، ووضع السياسات التي تحكم عمل الجماعة، وتبني الأيديولوجيا التي يقوم عليها عمل الجماعة. كما يقع على عاتق القائد القيام بأدواره الإدارية في تحرير التفاعل الاجتماعي، وتنسيق سياسة الجماعة وأهدافها، ومراقبة عمليات التنفيذ والتحقيق لأهداف الجماعة^(١).

٢. النظريات الميدانية حول القيادة

ركزت هذه النظريات على دراسة السلوك القيادي في ميدان العمل، ودور القيادة وتأثيرها في العاملين في المؤسسة، والأساليب والوسائل المختلفة التي يمكن للقائد استخدامها في تحفيز الآخرين للعمل معه لتحقيق أهداف المؤسسة.

١.٢ النظرية السلوكية

أولى هذه النظريات هي **النظرية السلوكية Behavioral** التي تقوم على فرضية العلاقة بين سلوك القائد وعمل الجماعة، وفي ضوء هذا التصور يمكن تعريف القيادة بأنه السلوك الذي يقوم به القائد في تفاعله مع الجماعة، وفحواه أن القائد هو الشخص الذي يكون تأثيره أكبر من أي فرد آخر في الجماعة. ولقد ناقش هومانز القيادة في ضوء سلوك القائد وقرر بأن القائد بحكم سلطته الممنوحة له يستطيع أن ينقل الجماعة من حالة اجتماعية إلى أخرى عن طريق الأوامر التي يصدرها لأعضائه وذلك بشرط أن تقبل

(١) زهران، علم النفس الاجتماعي، ص ٢٧٢-٢٧٣

الجماعة بسلطته وتطيع أوامره^(١).

٢- النظرية الموقفية

يطرح أصحاب النظرية الموقفية **Situational** فكرة أن القائد يجب ألا يتلزم في قيادته للجماعة نموذجا ثابتا، بل عليه الالتفات لمتغيرات الموقف القيادي الذي يتضمن نوعية الأفراد، والمهام الموكلة إليهم، والعلاقات المتبادلة بينهم؛ وتبعاً لذلك تتعدد الأنماط القيادية: فقد تكون المقاربة التوجيهية هي الأفضل في موقف ما بينما تكون المقاربة الداعمة هي الأنسب في موقف آخر^(٢).

٣- النظرية العرضية

وفي السياق نفسه جاءت النظرية العرضية **Contingency** لتأكيد فرضية النظرية الموقفية من حيث المزاجة بين الموقف الإداري ونمط القيادة المطلوب، ولكنها تختلف في أنها تحدد العناصر الأساسية في الموقف الإداري والتي يجب التعامل معها واستخدام المقاربة القيادية المناسبة لها. وهذه العناصر تتضمن العلاقة بين المدير والموظف، وطبيعة المهمة، وحجم السلطة التي تمارسها الإدارة في الموقف. ويمكن تحديد كفاءة القيادة وفقاً لقوة وضعف هذه العناصر؛ ومن ثم تكون هناك احتمالات مختلفة للنمط القيادي ولعل أفضلها هو الذي يجمع بين المهمة الواضحة للموظف، والعلاقة الحسنة بينه وبين المدير، وقوة السلطة للمدير في الموقف الإداري^(٣).

(١) رشوان، القيادة، ص ٦٥-٦٦

(٢) Northouse, Leadership. PP 87-88

(٣) Northouse, Leadership. PP 109-112

٤- نظرية مسار الهدف

و حول دور القائد في تحفيز أتباعه قدم House والباحثون معه نظرية مسار الهدف Goal-Path، وتقوم هذه النظرية على الفكرة القائلة بأنه إذا تم تلبية احتياجات العاملين فإن ذلك يحفزهم على العمل وأداء المهام التي تسند إليهم بدرجة عالية من الإتقان كما جاء في نظرية التوقع، ومن ثم يتم التركيز في هذه النظرية على العلاقة بين النمط القيادي للقائد، وخصوصيات العامل، وطبيعة المهمة المطلوب منه إنجازها؛ بحيث تتتنوع الأساليب القيادية إلى أربعة أصناف وهي: التوجيه المباشر، أو الدعم والمساندة، أو المشاركة في اتخاذ القرارات، أو التركيز على الإنجاز^(١).

١٣٠

٥- النظرية التفاعلية

في المجال الاجتماعي للقيادة، تقدم النظرية التفاعلية Interactional رؤيتها للقيادة التي تقوم على أساس التكامل والتفاعل بين كل المتغيرات في القيادة والتي تتضمن: القائد وشخصيته ونشاطه في الجماعة، والأتباع (اتجاهاتهم وحاجاتهم ومشكلاتهم)، والجماعة نفسها (بناؤها، والعلاقات بين أفرادها، وخصائصها، وأهدافها، وديناميكتها...)، والموافق كما تحددها العوامل الطبيعية والمادية وطبيعة العمل وظروفه. والقائد في ظل هذه النظرية لا بد من أن يكون عضواً متميماً للجماعة ويشاركها معايرها وقيمها واتجاهاتها وأهدافها وأماها ومشكلاتها وسلوكها الاجتماعي حتى يمكن

من القيام بدوره في التأثير على باقي الأفراد بوصفه قائداً بارزاً في الجماعة لا غريب أو دخيل عليها^(١).

٦- النظرية التبادلية والنظرية التحويلية

من النظريات البارزة في هذا المجال ما قدمه Bass (١٩٩٠) عن القائد التبادلي Transactional و القائد التحويلي Transformational، فالقائد التبادلي أو التعاقدية يقوم بتنظيم، وتحريض، وتشجيع العاملين من أجل أن يعملوا على تحقيق أهداف المؤسسة في مقابل ما يحصلون عليه من حوافر مادية ومعنوية. من ثم يكون عمل القائد أشبه بابرام عقد يتفق فيه كلا الفريقين على تحمل مسؤوليتها في تحقيق مصالح الآخر. وأما القائد التحويلي فهو ذلك الشخص الذي يمتلك الكاريزما التي تمكنه من السيطرة على عواطف الآخرين، والقدرة العالية في التأثير على توجهاتهم، والشعور بالثقة التامة بنفسه، والالتزام بالقيم والمثل العليا الخاصة به، والراعاة للاحتجاجات الشخصية لكل فرد في المجموعة. كما أن هذا النوع من القيادات يعكس في ممارساته نموذجاً للقدوة والتأسي بالنسبة للآخرين، ويمثل الصورة النموذجية للكفاءة في نظر أتباعه. ويتميز هذا القائد أيضاً بالوضوح في أهدافه و سياسته، ويضع على الدوام سقفاً عالياً في توقعاته، ويظهر الثقة التامة فيما يقول وينفذ، ويمتلك القدرة على تحفيز الآخرين لتحقيق التائج المطلوبة^(٢).

(١) زهران، علم النفس الاجتماعي، ص ٢٧٤

(٢) Bass, From Transactional to Transformational Leadership: Learning to share the vision, PP 22

٣- نظريات القيادة المتمحورة حول المبادئ والقيم

مع بداية الألفية الجديدة للقرن الحالي وتوافر الأدلة الصارخة حول فشل وانحراف الكثير من القيادات في المؤسسات الكبرى وما تنتج عن ذلك من فضائح أخلاقية، تزايد الاهتمام لدى الباحثين بمسألة قيم وأخلاقيات القيادة والتركيز على دراسة أداء المؤسسات في ظل وجود قيادات ملتزمة بالمبادئ والقيم الإنسانية الرفيعة وتأثير ذلك على الروح المعنوية والاتجاهات الأخلاقية لدى العاملين في هذه المؤسسات^(١).

وستتناول في هذا الفصل أهم النظريات في هذا المجال وهي: القيادة بالقيم، والقيادة الأصلية، والقيادة الروحية، والقيادة الأخلاقية، والقيادة بالذكاء العاطفي.

٤- القيادة بالقيم Value-Based Leadership

حول نظرية القيادة بالقيم **Value-based** يقول Kraemer (٢٠١٣) في كتابه: تبدأ رحلة القائد نحو تبني القيادة بالمبادئ حين ينتهي بتطبيق أربعة أمور في حياته وهي: التأمل الذاتي للتعرف على قيمه وأهدافه ومبادئه التي يعتقدها كقائد، وتطبيق التوازن حيث يقوم بتوسيع دائرة رؤيته لأمور عن طريق التعرف على وجهات النظر الأخرى حتى تكتمل الصورة قبل أن يتخذ قراراته، والتحلي بالثقة الحقيقية بالنفس عن طريق تعرفه لنقط قوته وضعفه وقناعته التامة بأنه بحاجة لأن يتعلم من الآخرين ، والتمسك

بالتواضع الحقيقى وهو أن لا ينسى حقيقة البدايات الأولى لعمله وأن يعامل الناس حوله بلطف دون تمييز أو تفريق بين صغير أو كبير في السلم الإداري^(١).

ويؤكد Taylor (٢٠٠٧) أن على القائد الذي يعتمد مثل هذا النموذج في القيادة أن يظهر الالتزام بمجموعة من القيم: كإيمانه بالتواضع والالتزام به أمام الآخرين، وسعيه لتحقيق أهداف كبرى في حياته، وتسكه بقواعد أخلاقية تحكم تصرفاته، وعدم رضاه التام عن الأوضاع الحالية، ورسمه لصورة المستقبل الذي يتطلع إليه والحديث عنه مع الآخرين، ومساهماته في خلق بيئة عمل تحقق أفضل الأداء والتنتائج، والقيام بقيادة الآخرين ليصلوا إلى طريق النجاح والاستعداد لخدمتهم على الدوام وبأي ثمن^(٢).

٢-٣ القيادة الأصيلة Authentic Leadership

تطور القيادة الأصيلة في حياة القائد بالمسار السابق نفسه؛ إذ يبدأ القائد بعملية اكتشاف ذاته (وعيه بإمكانياته ومواهبه الخاصة) وبأنه يحمل قيمة وأهدافاً يشتراك فيها مع الآخرين، ويستطيع بذلك أن يسهم في تحقيق هذه الأهداف. والقيادة في ظل هذه النظرية هي رحلة للقائد نفسه قبل أن يتحول من فرد عادي إلى قائد للجماعة، فكل الأحداث التي مرت بحياته أثناء طفولته، ودراسته في المراحل التعليمية المختلفة، وعلاقاته داخل الأسرة وخارجها، ومع الرفاق طيلة سنوات عمره، وما صادفه من مشكلات ومازق في عمله وحياته الشخصية، وما حققه من نجاحات أو ما تعرض

Kraemer, From Values to Actions, PP 5-8 (١)

Taylor, The Imperfect Leader, PP 141 (٢)

له من إخفاقات كلها تشكل البيئة الأولى التي نمت فيها شخصية القائد في حياته، وإذا تم إعادة التفكير وممارسة التفكير التأملي في هذه الأمور يمكن للفرد أن يعرف من هو؟ وماذا يريد؟ وما هي قيمه وأهدافه؟ وما حقيقة الأمر الذي يسعى إليه؟ ويستطيع إذن في النهاية أن يتเคลل من التمركز حول الذات والطموحات الشخصية إلى الغيرية وخدمة الآخرين ويتوصل عن طريق ذلك - كما يقول بيل جورج - إلى اكتشاف المنطقة الشمالية الحقيقة في حياته^(١). وعند مراجعتنا وإعادة النظر في ممارساتنا والمفاهيم السائدة حول القيادة وجدنا أن هناك ثلاثة مبادئ أساسية تتضمنها عملية القيادة وهي: **الأصالة Authenticity** وهو ما يختص بتطوير القائد لوعيه الذاتي عن نفسه كقائد، ومعرفة نقاط قوته وضعفه، وقدرته على التحمل ومواجهة التحديات، والإمكانية لتطوير قدراته ومهاراته مع مرور الوقت. والبدأ الثاني هو **التأثير Influence** وهو يتعلق بالعلاقات، وهو التواصل المستمر بينه وبين الآخرين لذكر نفسه وتذكيرهم بما يجب التركيز عليه في العمل. أما المبدأ الثالث فهو يتعلق بخلق القيم **Values** عن طريق الممارسة التي تتجلى في حالة الشغف والإلهام لدى القائد لخدمة الآخرين في مختلف الكينونات: كالذات، وفريق العمل معه، والمؤسسة، والعالم، والعائلة والمجتمع المحلي. وبالتأمل في هذه المبادئ الثلاثة يمكننا تعريف القيادة بالمفهوم الشخصي بأنها: التأثير الأصيل والواقعي الذي ينتج عنه صناعة عالم من القيم المحفزة في بيئه العمل^(٢).

٢-٣ القيادة الروحية Spiritual Leadership

أما نظرية القيادة الروحية فهي ترتبط بالشعور بالتقدير الروحي الذي يدفع المرء لسماع النداء بالقيام بالواجب لممارسة عمل ذي معنى وفارق في حياته، ويسعى لضم الآخرين معه كجامعة للترابط معها من أجل تحقيق الأهداف نفسها والتي تتعلق بالحصول على الخلاص الروحي. وتكون مهمة القائد الروحي في هذا المجال هي قيادة أتباعه لتحقيق هدفين أساسين وهما: طرح رؤية جاذبة تحقق للأفراد ذلك الشعور بأنهم في المكان الآمن الذي تتحقق فيه أمنياتهم وأن حياتهم لها معنى، وأنهم قادرون على صنع شيء له قيمة في حياتهم. والأمر الآخر هو إقامة بنية اجتماعية ثقافية ترتكز على أساس الحب للآخر بحيث يشترك القائد والأعضاء بدورهم في الرعاية الحقيقية والاهتمام بالآخرين^(١).

والقائد في ظل هذا النموذج يقوم بتأصيل قيم الجماعة عن طريق الإعلان عن الرؤية التي تحركهم للمستقبل، والتأكيد على قيم العمل الأساسية، والقيام بالممارسات الشخصية التي تساعد على تحقيق إشباع الحاجة للخلاص الروحي للأتباع عن طريق ما يترسح منه من صفات كالتواضع، والأعمال الخيرية، وتوفيره بيئه العمل التي تحقق الشعور بالأمان لديهم، وكسبه ثقتهم فيه كقائد للجماعة. ويقوم القائد الروحي في الوقت نفسه بتحريك الدوافع الداخلية وإشباعها عن طريق تأصيل الرؤية في العمل، والتأكيد على أهمية الإيمان والعمل، والتشجيع على حب الآخرين وخدمتهم^(٢).

Fry, Toward a Theory of Spiritual Leadership, PP 695 (١)

Fry, Toward a Theory of Spiritual Leadership, PP 696 (٢)

ووفقاً للباحثة Smith وزملائها (٢٠١٨) فإن القائد الروحي يجب عليه أن يمتلك مجموعة من المهارات التي تمكنه من تحقيق البيئة المثلية لعمل الآخرين معه وهي: الوعي بالذات، واحترام الذات، والتواصل مع الآخرين، وصناعة القرار، والعمل على تطوير مناخ صحي لإدارة الصراع في مؤسسته. ويمكن ممارسة هذا العمل عن طريق الانفتاح على الآخرين، وتقبل التغذية الراجعة منهم، والاستماع والإنصات لوجهات النظر الأخرى، والقيام بالتقييم الذاتي المستمر لأدائه كقائد في مجتمعه^(١).

٤- القيادة الخادمة Leadership Servant

ترجع النظرية في أصولها إلى تاريخ الفلسفة اليونانية فيما تركه كل من أفلاطون وأرسطو من كتابات حول الأخلاق والفضائل الأخلاقية؛ ويرى جرين ليف (١٩٧٧) أن مفهوم القيادة يمنح من هو بطبيعته خادم الآخرين، وفي الحقيقة يبرز الشخص كقائد عن طريق كونه خادماً لأتباعه. والقائد الخادم هو من يركز على حاجات أتباعه ويساعد them لكي يكونوا أكثر معرفة، وحرية، واستقلالية، وخدمتين لأنفسهم وهو بذلك يشير إلى حياتهم. وزيادة على ما سبق فإن القائد الخادم لديه مسؤولية اجتماعية للاهتمام بالفقراء من العاملين وعددهم شركاء أساسين في حياة المؤسسة، وحين يختل ميزان القيم وتنعدم العدالة والمساواة يكون دور القائد في إزالته^(٢).

Smith, Minor, & Barshen, Spiritual Leadership: A Guide to a Leadership that Embraces Multiple Perspectives, PP 85-67

Northouse, Leadership, PP 309 (٢)

ويعتمد القائد الخادم في قيادته على الاستخدام المحدود للسلطة والتحكم فيمن يقودهم، ويسعى لمشاركة مسؤوليات القيادة والذين يجب أن تكون العلاقة معهم مبنية على الاحترام، والثقة، ومنح القوة لكل فرد. ويعتمد جرين ليف في مفهومه للقيادة على الاستماع، والتعاطف، والقبول غير المشروط لآخرين^(١).

٥-٣ القيادة بالذكاء العاطفي Leadership by Emotional Intelligence

يعرف الذكاء العاطفي بأنه الوعي بمشاعر الذات ومشاعر الآخرين وكيفية التعامل معها، وتساعد مثل هذه المعرفة على تحفيز النفس، وتنمية الإرادة، والتحكم بالمشاعر، وإدارتها بصورة فعالة، ويكون المردود من ذلك تحقيق المصلحة للجميع: القائد والجماعة^(٢).

ويفصل Goleman (٢٠٠٠) في مقال له عن الكيفية التي يمكن بها استخدام الذكاء العاطفي للقيادة في مختلف الظروف التي تمر بها المؤسسة؛ فحين يكون القائد متقدماً للقدرات الأربع الأساسية للذكاء العاطفي وهي: الوعي بالمشاعر الذاتية وإدارتها، والوعي الاجتماعي بمشاعر العاملين معه والقدرة على توجيهها سيكون قادراً على إدارة الأمور لصالح المؤسسة^(٣). ويعبر Goleman عن هذا القائد بالقائد المرن Fluid الذي يستخدم ببراعة الأنماط الأساسية في قيادة الآخرين وهي: (١) النمط الحازم Authorita-

Ibid., pp 309 (١)

(٢) جولمان، الذكاء العاطفي، ص ٧٦-٧٨

Goleman, Leadership That Gets Results, PP 80 (٣)

لإلزام القيادات الأخرى والعاملين معهم على تحمل المسؤولية وتحقيق التائج المطلوبة، (٢) والنمط الديمقراطي Democratic لتشجيع جميع العاملين للمشاركة في إبداء آرائهم ومقترناتهم لحل المشكلات، (٣) والنمط التآلفي Affiliative للتقارب من مختلف العاملين والتعرف على مشاكلهم ومخاوفهم، (٤) والنمط التدريسي Coaching لمساعدة القيادات الصغيرة أو العاملين على تنفيذ المهام المسندة إليهم بدرجة عالية من الكفاءة^(١).

وعن طريق مراجعتنا لمختلف الاتجاهات الفلسفية والنفسية والاجتماعية في مقاربة مسألة القيادة اتضح لنا ما يلي:

* أن أدبيات القيادة في العالم الغربي ركزت على مسألة القيادة الإنسانية بصفتها متغيراً قابلاً للقياس والتحليل، ولذلك كانت المقاربات متعددة حول سمات، وسلوكيات، وأثار القيادة في المؤسسات المختلفة في المجتمع.

* إن معظم النظريات والنماذج الذي تم تطويرها في القرن الماضي عن القيادة كانت بهدف الحصول على الإجابة عن القائد النموذجي الذي يمكنه قيادة العاملين أو من حوله وتوجيههم لتحقيق التائج المطلوبة مع إغفال تام للجانب الأخلاقي المستتر للقيادة: كالد الواقع الذاتية، والقيم الخاصة، والأهداف الشخصية التي تحرّك كل قائد في عمله وتنعكس على سلوكياته في حياته العملية والخاصة.

* إن الانتباه والتركيز الواسع على دراسة الجوانب الأخلاقية للقيادة الذي حدث في الألفية الجديدة هي صحوة ووعي جديد بعد غفلة طويلة لدى

علماء الغرب من حيث مقاربتهم لمسألة القيادة والذي كانت للأمس القريب تكتفي بدراسة السلوك الظاهري والذي يتمثل في أداء القائد وعلاقته بنجاح المؤسسة في عملها.

* إن الاتجاهات الحديثة (القيادة بالمبادئ والقيم) في دراسة القيادة تقترب كثيراً من منهج القيادة العلوية كما سنرى في الفصلين القادمين حين نتحدث عن خصائص القيادة لدى الإمام علي ومبادئه الأخلاقية في القيادة والتي مارسها بصورة واقعية في مرحلة خلافته لل المسلمين وهو يواجه الفتن والمؤامرات الداخلية والخارجية والتي سماها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) بمعارك التأويل.

رابعاً. القيادة بمفهوم الخلافة والإمامية

بعد أن تم مدارسة مختلف المقارب العلمية والفلسفية التي تناولت مسألة القيادة في العالم الغربي يمكننا أن نطرح هذا السؤال وهو: هل يمكن أن توجد وجهة نظر أخرى مخالفة لما تعودنا عليه من فهم لتكوينات القيادة وطبيعتها وأثارها في حياة الإنسان؟

ويجيب علينا القرآن الكريم بالإيجاب، فهناك قيادة من نوع آخر لم يتطرق إليها الباحثون في هذا المجال، وهي أن مسألة القيادة وفقاً للمنظور القرآني تتصل بالإنسان؛ لكونه خليفة الله على الأرض، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِلُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا

تَعْلَمُونَ^(١)، والخلافة: النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه، أو لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الآخرين: استخلف الله أولياءه في الأرض **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾**^(٢).

وقد حددت الصفات الالزمة لاصطفاء القيادة البشرية في قصة طالوت؛ وذلك في قوله تعالى: **﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا فَالْأُولَئِنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بُسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُوْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**^(٣). وهي القدرات التي تتصل بقوى الجسم والعقل، فقد كان طالوت رجلاً طويلاً القامة، ضخماً، حسن التركيب، متين الأعصاب قويّاً، ذكيّاً، عالماً، مدبرًا، فهو كان الأكفاء لقيادتهم، كما جاء في تفسير الأمثل. وفي مورد آخر يذكر القرآن الغاية من وجود القيادة الإلهية وهي تحقيق العدالة، فيقول تعالى: **﴿يَا دَاؤُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ حَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾**^(٤).

والقيادة في الإسلام بالمفهوم الديني تتصل أيضاً بالإمامية؛ إذ يقول تعالى عن إبراهيم الخليل (عليه السلام): **﴿وَإِذْ أَبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾**^(٥).

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠

(٢) الزين، مجمع البيان الحديث، ص ٢٩٧

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٤٧

(٤) سورة ص، الآية ٢٦

(٥) سورة البقرة، الآية ١٢٤

وفي سورة أخرى يشير القرآن الكريم إلى دور الإمام القائد، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُئُمَّةً يَهْدِونَ بِمَأْمُونَاتِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(١).

والإمام في اللغة على وزن كتاب، فهي في الأصل مصدر ثم أطلق على ما يتوجه إليه ويقصد ويكون مصداقاً لهذا المعنى ومظهراً تاماً له، وتحتفل باختلاف الموارد والقاصدين والتوجهات والاعتبارات فيقال إمام الجمعة، إمام الجماعة، إمام الهدایة، إمام الضلالة^(٢).

وفي كلمة توضيحية للإمام الحسين (عليه السلام) وهو يخاطب أهل الكوفة في كتابه، قال: «فَلِعُمرِي مَا إِلَّا إِمَامٌ بِالْكِتَابِ، الْقَائِمُ بِالْقُسْطِ، الدَّائِنُ بِدِينِ الْحَقِّ، الْحَابِسُ نَفْسَهُ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ»^(٣). وفصل الإمام الرضا (عليه السلام) هذا الأمر فقال: «إِنَّ الْإِمَامَةَ مِنْزَلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِرَثُ الْأُوصِيَاءِ، إِنَّ الْإِمَامَةَ خَلَافَةُ اللَّهِ وَخَلَافَةُ رَسُولِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَمَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) وَخَلَافَةُ الْحَسَنِ وَالْحَسِينِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. إِنَّ الْإِمَامَ زَمَانَ الدِّينِ وَنَظَامِ الْمُسْلِمِينَ وَصَلَاحِ الدُّنْيَا وَعِزِّ الْمُؤْمِنِينَ... إِلَمَ يَحْلِلَ حَلَالَ اللَّهِ وَيَحْرِمَ حَرَامَهُ وَيَقِيمَ حَدُودَ اللَّهِ وَيَذْبَحَ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَيَدْعُو إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَالْحِجَةِ الْبَالِغَةِ»^(٤). وفي ضوء هذا التبيان يمكن القول بأن المفهوم الإسلامي للقيادة يرتبط بثلاثة أمور لا بد للقائد من القيام بها وهي: الحفاظ على نظام المجتمع وإصلاحه، وتطبيق الأحكام الإلهية في مواردها،

(١) سورة السجدة، الآية ٢٤

(٢) المصطفوي، تحقيق كلمات القرآن، ج ١، باب الألف، ص ١٤٩

(٣) الريشهري، ميزان الحكم، ج ١، الإمامية، رقم ٨٥٦، ص ١٥٨

(٤) الحراني، تحف العقول، ص ٣٢٣

وحماية الدين من كل أنواع الانحرافات أو الاعتداءات التي يتعرض لها.

والقيادة النبوية في ظل هذا التصور تتجسد في شخصية الرسول الأكرم (صلي الله عليه وآله) المؤيد بالوحى، والذي تتركز مسؤولياته في الأساس على القيام بدورين متلازمين وهما: إبلاغ الرسالة والقيام بعملية التربية والتهدیب لبناء المجتمع التوحیدي، كما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مَّنْهُمْ يَتَلَوَ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. وأما بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وآله) فإن خط القيادة النبوية يستمر في شخص الإمام الذي أشارت إليه آيات القرآن الكريم^(١) في مواضع مختلفة، والمنصوص عليه أيضاً في الروايات الواردة عن الرسول (صلي الله عليه وآله) بهذا الخصوص والتي منها قول الرسول (صلي الله عليه وآله) لعلي: «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، تقضي ديني وتنجز عدقي، وتقاتل على التأowيل كما قاتلت على التنزيل. يا علي حبك إيمان وبغضك نفاق وقد نبأني اللطيف الخبر أنه يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة معصومون مطهرون، ومنهم مهدي هذه الأمة الذي يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أوله»^(٢).

والقائد الإمام بعد النبي (صلي الله عليه وآله) هو الإمام المعصوم وهو من يمتلك الكمالات العلمية والسياسية والفقهية والتي تميزه عن الآخرين، فيكون بذلك هو الأجدل لهذا المنصب حتى لا يتوقف برنامج القيادة النبوية عن عملية التغيير والبناء الاجتماعي، ويتم التصدي في الوقت نفسه لعوامل

(١) آل عمران ٣٣ - ٣٤، البقرة، ١٢٤، سورة المائدة ٥٥ - ٥٦، النساء ٥٩

(٢) الحكيم، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، ص ٢٨٤

الاختلافات التي ستطرأ على مستوى العبادات، وتطبيق الأحكام الشرعية، والمفاهيم الاجتماعية والتي هي ظاهرة ملزمة في التاريخ الإنساني^(١).

وفي ضوء هذا التصور لخلافة الإمام يمكن أن نقدم التعريف التالي للقيادة العلوية: القيادة هي العملية التي يتم فيها التأثير في الآخرين وتوجيههم من قبل إمام معصوم (وصي لرسول الله) مزود بالكمالات النفسية والمعرفية والاجتماعية، ويجسد هذا القائد في الوقت نفسه القدوة والمثل الأعلى في سيرته، ويسعى هذا القائد بصدق وإخلاص في إحياء العمل بكتاب الله وسنة رسوله، ومحاربة كل أنواع الظلم والعدوان والاستغلال للبشر، ومحاسبة ومساءلة الكبار والصغار، واستيفاء حقوق الناس، وتوفير العطاء للجميع بصورة عادلة، وإشعار الجميع بالمحبة والرعاية حيث لا تفاضل بين الأفراد إلا على أساس الإيمان والتقوى والالتزام بواجباتهم ومسؤولياتهم في أداء حقوق الله وحقوق عباده دون إفراط أو تفريط.

الخصائص البارزة	النظريات
اهتمت بدراسة الجانب التكويني للقيادة (فطريّة أم مكتسبة)، والتعرف على سماته ومهاراته العملية، والوظائف التي يجب أن يقوم بها لكي يكون ناجحاً في عمله.	النظريات الكلاسيكية
ركزت هذه النظريات على دراسة السلوك القيادي في ميدان العمل، ودور القيادة وتأثيرها على العاملين في المؤسسة، والأساليب والوسائل المختلفة التي يمكن للقائد استخدامها في تحفيز الآخرين للعمل معه لتحقيق أهداف المؤسسة.	النظريات الميدانية

(١) الحكيم، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، ص ٣٨٢-٣٨٣

<p>تبنت هذه النظريات المنهج الأنثوغرافي والوصفي في تحليل عملية القيادة في جوانبها الأخلاقية والروحية والقيمية والاجتماعية، وربط عملية القيادة في المؤسسات بالنمو المهني والأخلاقي والروحي للأفراد، وتحقيق الغرض الأساسي في الحياة، والعمل بنجاح مع الآخرين.</p>	<p>نظريات القيم والمبادئ</p>
<p>افترقت عن المدارس السابقة في إنها ترى بأن مسألة القيادة تتصل بمسألة الخلافة الإلهية للإنسان على الأرض، فهي تحمل معنى دينياً واجتماعياً وسياسياً في الوقت نفسه، وأن هذه القيادة على المستوى الديني هي جعل إلهي، فهو يختار أنبياءه وأوصياءه، وأما على المستوى الدنيوي فإن الإسلام قد وضع المعاير الالزمة التي تبين من هو الحاكم الصالح، كما جاء في القرآن الكريم وأقوال الرسول (صلى الله عليه وآله)، وما بينه تفصيلاً الإمام علي (عليه السلام) في عهده مالك الأشر حين وله مصر.</p>	<p>نظرية الخلافة والإمامية</p>

جدول (١) نظريات القيادة في التاريخ الإنساني

- الفصل الثالث -

القيادة العلوية في الأحداث

يرى Munroe (٢٠٠٥) أن القيادات العظيمة التي تركت آثارها في التاريخ الإنساني واستطاعت تغيير حياتها وحياة من حولها كانت تمتلك خمسة مفاتيح أساسية في القيادة وهي: الغرض الأسمى لما تريد تحقيقه، والقناعة الفكرية التامة لمشروعية هذا المسعى، والرؤية الواضحة والمركزة لما يجب القيام به، والقدرة الخاصة على إلهام الآخرين الإيمان بدعوته، وممارسة التأثير الشخصي (الفكري، والوجداني، والأخلاقي) عليهم وقادتهم نحو تحقيق الغاية المنشودة. وكان علي (عليه السلام) نصيب الأسد في كل هذه الأمور، فقد كان يمتلك مشروعية مسعاه وغايته من الحكم، وهدفه الواضح في القيادة، وقدرته الفائقة في القيام بالأمر، ويقينه الثابت بالحق الذي يسير عليه، كما يقول: «فقمت بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تبعوا، ونطقت حين تعثروا، ومضيت بنور الله حين وقفوا، وكنت أخفضهم صوتاً، وأعلّهم فوتاً، فطرت بعنانها، واستبدلت برهانها، كالجبل لا تحركه القواصف، ولا تزيله العواصف، لم يكن لأحد في مهرم، ولا لقائل في مغمز. الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوى عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه. رضينا عن الله قضاءه، وسلمنا لله أمره. أتراني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله. والله لأنّا أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه فنظرت في أمري فإذا طاعتي قد سبقت بيتعي وإذا الميثاق في عنقي لغيري»^(١).

وقد سار الإمام علي (عليه السلام) في مشروعه الإصلاحي مقتدياً برسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في سنته وهديه، فقد عاش لحظات التفكير والتدبر في

(١) عبد، نهج البلاغة، ج١، ص ١١٠-١١٢

أمر الخلافة التي آلت إليه وقد تغيرت وتنكرت الناس لما فارقوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه، فما كان منه في بداية الأمر إلا أن يتربّد في قبولها، فخاطب القوم قائلاً: دعوني والتمسوا غيري، فإنما مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا ثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تكترت، وأعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصح إلى قول القائل، وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتهم أمركم، وأنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميراً^(١).

وعندما عزم علي (عليه السلام) -بعد إصرار من القوم وإلحاح- على تولي الخلافة صدّع بالأمر للقيام بدوره الرسالي الكبير الذي ائتمنه عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مقاتلته الناس على التأویل ومحاربة الظلم والعدوان، وانكشفت لديه الحقائق الكبرى في هذا التكليف، وبلغ مرحلة اليقين الخالص في أمره كما قال (عليه السلام): وقد قلبت هذا الأمر، بطنه وظهره حتى منعني من النوم، فما وجدتني يسعني إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد (صلى الله عليه وآله) وكانت معالجة القتال أهون على من معالجة العقاب، وموتاً الدنيا أهون على من موتات الآخرة^(٢)؛ فسلك طريقه مخلصاً يدعو إلى إصلاح الأمور بالحكمة والوعظة الحسنة. واستطاع في فترة وجيزة أن يجمع حوله ذوي البصائر والمخالصين من المهاجرين والأنصار، فسار بهم في جهاد المتأمرين والمنافقين حتى بلغ إربه وهو يقول: ألا وقد قطعتم قيد الإسلام، وعطّلتم حدوده، وأتمتم أحکامه، ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٠٩

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ١٢٨

والفساد في الأرض، فأما الناكثون فقد قاتلت، وأما القاسطون فقد جاهدت، وأما المارقة فقد دوخت، وأما شيطان الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجة قلبه، ورجة صدره، وبقت بقية من أهل البغي، ولئن أذن الله في الكرا عليهم لأدلين منهم، إلا ما يتذر في أطراف البلاد تشدرا^(١).

أولاً. المعالم الأساسية للقيادة العلوية

لاستيعاب مفهوم القيادة العلوية ودور الإمام كقائد لا بد لنا أولاً من فهم طبيعة العمل القيادي الذي مارسه الإمام علي (عليه السلام)، فالقيادة العلوية تتضمن مجموعة من الخصائص التي برزت بشكل واضح في الممارسات التربوية، والأخلاقية، والاجتماعية، والعسكرية، والسياسية للإمام (عليه السلام) في سيرته المباركة على مدى ثلات وخمسين سنة في الجهاد مع الرسول، والصبر والتسليم في عهود الخلفاء السابقين، والعمل المتواصل في إرشاد الآخرين في الحكومات السابقة، وأثناء خلافته. وعند توليه الخلافة، تولى قيادة معارك التأowيل بنفسه، وإحداث التغيرات الاجتماعية والسياسية المطلوبة، وإحياء معالم السنة وأحكام الكتاب الكريم وتطبيق مواردهما في جميع مفاصل الدولة، وقد تميز منهج الإمام (عليه السلام) في ممارسة القيادة بالخصائص التالية:

١- القيادة عملية إصلاحية (اصلاح أخطاء الماضي)

لقد كان الدور الرئيس لرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هو إصلاح

المجتمع وتغيير مرتكزاته العقدية ومبادئه الاجتماعية المنحرفة عن خط التوحيد والفطرة الإنسانية، وهو في هذا الشأن قد اتبع السنن الإلهية في التغيير، فبدأ بتهذيب الأنفس وتزكيتها، وإنارة العقول بالمعرفة الهدافية إلى الصراط المستقيم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَنْذُلُ عَلَيْهِمْ آيَاتٍ وَيُرَزِّكُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١)، وسار الإمام علي (عليه السلام) على الطريق نفسه في معالجة الأمراض الاجتماعية، والظلم والفساد، والتفاوت الطبقي التي برزت مظاهرها في أيام خلافته.

ولقد كانت الأولوية عند الإمام علي (عليه السلام) في بداية خلافته القيام بإصلاح أخطاء الحكومات السابقة، ومعالجة المشكلات التي نجمت عنها أوجده التمايز الطبقي في المجتمع، وبدأ التفضيل في العطاء، واستئثار مجموعة من المتنفذين من بعض الصحابة والأمويين في ثروات الأمة، وقد صارح القوم بسياسته الجديدة التي ترتكز على أحكام القرآن وسنة الرسول (صلى الله عليه وآله)، مخاطبا إياهم: «أيها الناس، إنما رجل منكم، ولد لكم، وعلى ما عليكم، إلا عن كل قطعة اقطعها عثمان، وكل مال أعطاهم من مال الله، فهو مردود في بيت المال فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء وملك الإماماء وفرق في البلدان لردمته. فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق. أيها الناس، إلا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار

(١) محمد، القيادة المتسامية للرسول الأكرم، ص ١١٢

وركبوا الخيل واتخذوا الوصائف المرققة إذا ما منعهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتم إلى حقوقهم التي يعملون: حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا! ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار يرى أن الفضل له على سواه لصحته، فإن الفضل عند الله، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية ولا فضل فيه لأحد على أحد»^(١).

وأعلن الإمام في بداية حكمه توجهاته السياسية بصورة واضحة، فقال: لم تكن بيعتكم إياي فلتة، وليس أمري وأمركم واحد، إني أريدكم الله وأنتم تؤيدوني لأنفسكم. أيها الناس! أعينوني على أنفسكم، وأيم الله! لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامته، حتى أورده منهل الحق وإن كان كارها^(٢).

وكان لدى الإمام علي (عليه السلام) مجموعة من المسائل الإصلاحية الشائكة والمستعجلة والتي باشر العمل فيها على الفور والتي ترتبط: بإصلاح الوضع الاقتصادي للدولة، ورد الهبات والإقطاعات التي منحها عثمان، وإلغاء التفضيل في العطاء، وعزل ولادة عثمان واستبدالهم بولاة صالحين، وإلغاء الطبقية في المجتمع، وإقامة الحدود، وإنشاء ديوان للمظالم، وتغيير عاصمة الدولة الإسلامية وانتقاله للكوفة^(٣).

فأما بخصوص الوضع الاقتصادي، فقد باشر حملته الواسعة لرد قطائع

(١) جرداق، روائع نهج البلاغة، ص ٩٥

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٨٤

(٣) الشريدة، الإمام علي القائد السياسي الأمثل، ص ١١-٥٢

عثمان (الأراضي)، وساوى بين الناس في العطاء، وألغى كل الامتيازات التي كان يتمتع بها بعض الصحابة في العهود السابقة. وفي الجانب السياسي، عزل كل ولادة عثمان السابقين واستبدلهم بولادة يشق في إيمانهم وتقواهم ويتبع أعمالهم ويراقب أداءهم عن طريق ما تصله من أخبارهم، وفتح ديوان للمظالم يستمع فيه لشكاوى شعبه ويتعرف على حاجاتهم وتظلماتهم. وفي الجانب الشرعي، قام الإمام علي (عليه السلام) بتنفيذ الحدود الشرعية والعمل بالقضاء على وفق الكتاب والسنة، ونفذ بحقوق المتأمرين والجناة والبغاة حكم الله ورسوله دون هوادة. وفي خطوة فريدة من نوعها قام بنقل مركز الخلافة إلى الكوفة لوجود قاعدة شعبية تدين له بالولاء، ولكن الكوفة مركزاً مالياً وسياسياً مهماً يتوسط في موقعه بين الولايات الإسلامية الأخرى.

٢- القيادة عملية أخلاقية (تزكية النفوس وتهذيبها)

رفع الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في قيادته للأمة شعار الأخلاق كمبداً أساس، فقال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، وقد كان الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الأسوة والقدوة الحسنة لأمته، كما تحدث عنه القرآن في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ مِّنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١)

واقتفى الإمام علي (عليه السلام) نهج الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في أخلاقه ومارساته في أحاديثه وتعاملاته وتفاعلاته اليومية مع أفراد شعبه، وكان من توجهات الإمام الثقافية هو الاهتمام بالجانب الأخلاقي في حياة

(١) محمد، القيادة المتسامية للرسول الأكرم، ص ١١٣

المسلمين، وكانت خطبه، وكلماته ما تفيض به على مستمعيها بألوان من الحكمة والموعظة الحسنة، وكان منها ما يقرع بها آذان الغافلين فيوقطهم من جديد للالتفات والانتباه من خطر الطريق الذي هم فيه غافلون، ومن ذلك قوله (عليه السلام): «إنكم لو عاينتم ما قد مات منكم، لجزعتم ووهلتكم وسمعتم وأطعتم، ولكن محجوب عنكم ما قد علموا، وقريب ما يطرح الحجاب. ولقد بصرتم إن أبصرتم، وأسمعتم إن سمعتم، وهديتم إن اهتديتم. بحق أقول لكم قد جاهرتكم العبر، وزجرتكم بما فيه مزدجر، وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر»^(١).

وعلى المستوى الاجتماعي، كان الإمام (عليه السلام) يحث أفراد المجتمع على التقوى، فيقول: «أيها الناس، اتقوا الله الذي إن قلتم سمع، وإن أضمرتم علم، وبادروا الموت الذي إن هربت منه أدرككم، وإن أقمتم أخذكم، وإن نسيتموه ذكركم»^(٢). ويتحدث عن الأخلاق الاجتماعية فيين آفة البخل وضررها على أصحابها، فيقول: عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب، ويفوته الغنى الذي إياه طلب، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء»^(٣).

وفي وصيته لابنه الحسن (عليه السلام) كان الإمام (عليه السلام) يقول له: «يابني! احفظ عندي أربعاً، وأربعاً لا يضرك ما عملت معهن: إن أغني الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الحسب

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٧٨-٧٩

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٧١

(٣) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٥٤

حسن الخلق، يا بني! إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتأفه، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد، ويبعد عليك القريب»^(١). وقال (عليه السلام) في وصية عامة يرشد الناس فيها لاكتساب الكمالات النفسية والخلقية: أوصيكم بخمس ولو ضربتم إليها آباط الإبل فكانت لذلك أهلا: لا يرجون أحد منكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحبن أحد منكم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول «لا أعلم»، ولا يستحبن أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلم، وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا في إيمان لا صبر معه»^(٢).

ومن حكمه الأخلاقية ما جاء عنه (عليه السلام) في قوله: «اتقو معاشي الله في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم»^(٣)، وقوله (عليه السلام): «احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك»^(٤). وحثه على التصدق: «إذا أملقتم فناجروا الله بالصدقة»^(٥). وحديثه عن العقل: «إذا تم العقل نقص الكلام»^(٦). وكلامه عن الذنوب: «أشد الذنوب ما استهان به صاحبه»^(٧).

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٣٥

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٤٣

(٣) الخرسان، أخلاق الإمام علي، ج ١، ص ٤٨

(٤) الخرسان، أخلاق الإمام علي، ج ١، ص ٥٤

(٥) الخرسان، أخلاق الإمام علي، ج ١، ص ٥٩

(٦) الخرسان، أخلاق الإمام علي، ج ١، ص ٦١

(٧) الخرسان، أخلاق الإمام علي، ج ١، ص ٧٩

٣- القيادة عملية روحية (الإعداد لليوم الآخر)

كان الرسول (صلى الله عليه وآله) يركز في صلب عمله على الجانب الروحي للإنسان، فلقد خلقه الله سبحانه روحًا وجسدًا، وهذا ما أوضحه البيان القرآني في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَّاً مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحٍ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسُ أَبِي أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾^(١). والروح لها خصائص و حاجات كما للجسد مثل ذلك، والرسول (صلى الله عليه وآله) في عمله القيادي كان يقود أرواح الجماعة المؤمنة إلى واحدة الإيمان ليشعّ جوعها ويروي عطشها للحقيقة الكبرى في هذه الحياة^(٢).

وسار على نهج أخيه النبي (صلى الله عليه وآله) في تزويد أتباعه بالمواعظ، والحكم، والنصائح التي تحرك مشاعرهم ووجданهم نحو العالم الآخر؛ ويرتبط هذا الجانب بتنمية التفكير فيما وراء العالم المادي والإعداد لليوم الآخر، وقد وفرت لنا خطب الإمام (عليه السلام) وتوصياته ما نستدل به على الاهتمام البالغ عند الإمام بهذا الجانب في حياة المسلمين، وذلك لأن الإمام (عليه السلام) كان يؤمن بأن القيم الروحية والتفكير في الآخرة يجب أن تشد المسلم في كل توجهاته حتى يأمن الانحراف عن طريق الحق فلا يمكن منه حب الدنيا فيفقد حرارة الإيمان والجهاد والعطاء في سبيل الله.

(١) سورة الحجر، الآيات ٣١-٢٨

(٢) محمد، القيادة المتسامية للرسول الأكرم، ص ١١٥-١١٦

وجاءه رجل يريد النصيحة فخاطبه بموعظة مطولة تتضمن إرشادات وتوجيهات تساعدك على التخلص من النفاق والرياء في طاعته وعبادته لله سبحانه وتعالى، وجاء في بعض ما قاله له: «لا تكون مِنْ يرجو الآخرة بغير عمل، ويرجو التوبة بطول الأمل يقول في الدنيا قوال الزاهدين، ويعمل فيه عمل الراغبين، إن أعطي منها لم يشبع وإن منع لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوصي ويتغيّر الزيادة فيما بقي، ينهي الناس ولا ينتهي، ويأمر الناس ما لا يأتي، يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم، ويبغض المسيئين وهو منهم. ويكره الموت لكثرة سيناته ولا يدعها في حياته، يقول: كم أعمل فأتعنى، ألا أجلس فأتمّن فهو يتمنى المغفرة ويدأب في المعصية»^(١). وقال (عليه السلام) مخاطباً الناس يذكرهم بالأخرة: عباد الله زروا أنفسكم قبل أن توزروا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا وتنفسوا قبل ضيق الخناق وانقادوا قبل عنف السياق وأعلموا أن من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ^(٢).

وقال (عليه السلام) في حديثه عن الطريق القويم لإصلاح الذات: «من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما فاته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن كابد الأمور عطب، ومن اقتحم اللحج غرق، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن كثر كلامه كثر خطاؤه، ومن كثر خطاؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه، قل ورعيه، ومن قل ورعيه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار، ومن نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمق بعينه، والقناعة مال لا ينفذ، ومن أكثر من

(١) الحراني، تحف العقول، ص ١١٠

(٢) جرداق، روائع نهج البلاغة، ص ١٧٦

ذكر الموت رضي من الدنيا باليسir، ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه
إلا في ما يعنيه^(١).

وأشار الإمام (عليه السلام) إلى أولياء الله وعلاقتهم بالدنيا، فقال: «إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذ نظر الناس إلى ظاهرها، واشتغلوا بأجلها إذا اشتغل الناس بعالجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً، ودركتهم لها فوتاً، أعداء ما سالم الناس، وسلم ما عادي الناس، بهم علم الكتاب وبه علموا، وبهم قام الكتاب وبه قاموا، لا يرون مرجوا فوق ما يرجون، ولا مخوفا فوق ما يخافون»^(٢).

٤- القيادة عملية تربوية (تعليم الأمة وتأديبها)

إن عملية التغيير الاجتماعي أو الإصلاح للمجتمع لابد من أن تتم عن طريق تحريك قوى اجتماعية فاعلة تملك الطاقة والقدرة لدفع عجلة المجتمع نحو المستقبل المنشود، وهذه القوى هي الأفراد والأعضاء في الجماعة المؤمنة^(٣)، وفي هذا الجانب، كان الإمام يوجه الأفراد عن طريق المواقف الاجتماعية، والمحوارات، والمواعظ، والتوصيات للعمل والالتزام بمجموعة من القيم السلوكية التي تبني فيهم الاتجاهات الإيجابية نحو التعلم والمعرفة، والالتزام الأخلاقيات العالية، والتسابق في عمل الخير، والسلوك الصالح في التعامل مع الآخرين.

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٠٤

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٢٢-٧٢٣

(٣) محمد، القيادة المتسامية للرسول الأكرم، ص ١١٤

وجاء في وصيته لابنه الحسن (عليه السلام) وهو يوجهه للإفادة من سبقوه في التجربة والعمل: «واعلم يابني: إن أحب ما أنت آخذ به إلى من وصيتي، تقوى الله، والاقتصار على ما فرضه الله عليك، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك، والصالحون من أهل بيتك، فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر، وفكروا كما أنت مفكر، ثم ردهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا، والإمساك عما لم يكفلوا، فإن أبنت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم، لا بسخاف الشبهات، وعلق الخصومات، وأبدأ قبل نظرك في ذلك الاستعانة بإلهك، والرغبة إليه في توفيقك، وترك كل شائبة أو لجتك في شبهة، أو أسلمتك إلى ضلاله»^(١).

وقال الإمام علي (عليه السلام) وهو يخاطب كميل بن زياد: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أدبه الله وهو (صلى الله عليه وآله) أدبني وأنا أؤدب المؤمنين وأورث الآداب المكرمين^(٢). وتحدث علي (عليه السلام) عن قيمة العلم وأهمية السعي لتحصيله واكتسابه، فقال: «اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به. وأن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، أن المال مقسم بينكم، مضمون لكم، قد قسمه عادل بينكم وضمنه سيفي لكم به، والعلم مخزون عليكم عند أهله قد أمرتم بطلب منه، فاطلبوه واعلموا أن كثرة المال مفسدة للدين مفسدة للقلوب، وأن كثرة العلم والعمل به مصلحة للدين، سبب إلى الجنة. والنفقات تنقص المال،

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٣٠

(٢) الحراني، تحف العقول، ص ١١٩

والعلم يزكي على إتفاق، فإنفاقه به إلى حفظته ورواته. واعلموا أن صحبة
العلم وتابعه دين يدان الله به^(١).

ومن المواقف التي ركز فيها على توجيه الأفراد وتعليمهم ما جاء في
عهده لمالك الأشتر حين ولاد مصر؛ إذ بسط له القول في فنون قواعد التدبير
والحكم والسياسات التي يجب عليه اتباعها وهو يتعامل مع شعب آخر لم
يألفه من قبل، فقال له (عليه السلام): «ثم أعلم يا مالك أني قد وجهتك
إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك، من عدل وجور، وأن الناس ينظرون
من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك، ويقولون فيك
ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السنة
عباده، فليكن أحباب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك،
وشح بنفسك عملا لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنفاق منها في ما أحبت
أو كرهت، وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا
تكونن عليهم سبعا ضاربا، تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين،
وإما نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، ويعرض عليهم العلل، ويأتي على
أيديهم في العمد والخطأ، فأعطيهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن
يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله
فوق من ولاك، وقد استكافاك أمرهم وابتلاك به، ولا تنصبن نفسك لحرب
الله، فإنه لا بد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته^(٢).

(١) الحراني، تحف العقول، ص ١٣٩

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٧٢ - ٥٧٣

وعن نوف البكالي قال: (رأيت أمير المؤمنين (عليه السلام) ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر في النجوم، فقال لي: «يا نوف: أرأقد أم رامق؟» فقلت: بل رامق يا أمير المؤمنين، قال: «يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن شعاراً، والدعاء دثاراً، ثم قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح. يا نوف! إن داود (عليه السلام) قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال: إنها ساعة لا يدع فيها عبد إلا استجيب له إلا أن يكون عشاراً، أو عريفاً، أو شرطياً، أو صاحب عرطبة، أو صاحب كوبية»^(١).

ويذكر الإمام علي (عليه السلام) هذا الموقف لآدم (عليه السلام) مع جبرائيل لبيان أهمية العقل في حياة الناس: «هبط جبرائيل على آدم، فقال: يا آدم، إني أمرت أن أخيرك واحدة من ثلاث، فاختر واحدة ودع اثنتين، فقال له آدم: وما الثالث يا جبرائيل؟ فقال: العقل والحياة والدين. قال آدم: فإني قد اخترت العقل. فقال جبرائيل للحياة والدين: انصرفا ودعاه! فقال: يا جبرائيل! إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان»^(٢).

وللإمام علي (عليه السلام) الكثير من الكلام في خطابه التربوي الذي لا يمكن استقصاؤه هنا، ونكتفي بعض الحكم التربوية التي تتضمن المفاهيم التربوية الأصلية التي يحتاجها كل متعلم، وعالم، وعارف، ومربي في هذا الزمان، ومن ذلك قول الإمام علي (عليه السلام): على العاقل أن يحصي على

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٤٧-٦٤٨

(٢) الحكيمى وأخرون، الحياة، ج ١، باب المعرفة، ص ٤٥

نفسه مساوئها في الدين والرأي والأخلاق والأدب، فيجمع ذلك في صدره أو في كتاب ويعمل في إزالتها^(١)، قوله (عليه السلام): على العالم أن يتعلم علم ما لم يكن يعلم ويعلم الناس ما قد علم^(٢).

ومن أقواله في هذا المجال، قوله (عليه السلام): «على المشير الاجتهد في الرأي وليس عليه ضمان النجح»^(٣)، قوله الإمام علي (عليه السلام): «على المتعلم أن يؤدب نفسه في طلب العلم ولا يمل من تعلمه ولا يستكثر ما عالم»^(٤). قوله الإمام علي (عليه السلام): «العامل بالعلم كالسائل على الطريق الواضح»^(٥)، قوله (عليه السلام): «العلم مقرن بالعمل فمن علم عمل»^(٦)، قوله الإمام علي (عليه السلام): «العلم يهتف بالعمل فإن أجبه وإلا ارتحل»^(٧).

٥- القيادة عملية اجتماعية (التواصل مع أفراد المجتمع)

القيادة كما هو متعارف عند أهل الخبرة والعلم إنما هي نشاط اجتماعي يتم في وسط الجماعة بين أعضائها^(٨)، وقد استخدم الإمام (عليه السلام) في هذا النوع من القيادة أساليب متنوعة كالموعظة والنصائح، والتبيه والتحذير،

(١) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ١٩٨

(٢) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ١٩٨

(٣) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ١٩٨

(٤) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ١٩٨

(٥) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ١٩٠

(٦) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ١٩٧

(٧) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ١٩٨-١٩٧

(٨) محمد، القيادة المتسامية للرسول الأكرم، ص ١١٤-١١٥

والتأكيد على الوفاء بحقوق الناس، وحسن التعامل مع الآخرين، والتعاون والتكافل بين أفراد المجتمع.

وكان المقصود الأساس لمواعظ الإمام (عليه السلام) هو: تزويد من حوله بالتوجيهات الالزامية للارتفاع بمستوياتهم الإدراكية والاجتماعية حتى لا يقعوا في الشبهات ويسقطوا في مكائد الشيطان، فيقول (عليه السلام) في ذلك: «شُغل من الجنة والنار أمامه ساعٍ سريعٍ نجا، وطالبٌ بطيءٍ رجا، ومقصّرٌ في النار هوى. اليمين والشّمال مضلة، والطريق الوسطى هي الحادة، عليها باقي الكتاب وأثار النبوة، ومنها منفذ السنة، وإليها مصير العاقبة. هلك من ادعى وخاب من افترى. من أبدى صفحته للحق هلك، وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره. لا يهلك على التقوى سنخ أصل، ولا يظمأ عليها زرع قوم. فاستتروا ببيوتكم، واصلحوا ذات بينكم، والتوبة من وراءكم، ولا يحمد حامد إلا ربه، ولا يلم لائم إلا نفسه»^(١).

وفي خطاب آخر يتقد (عليه السلام) جيشه لافتقارهم للحمية والروح القتالية، فيقول: «أف لكم! لقد سئمت عتابكم. أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً؟ وبالذل من العز خلفاً؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم، كأنكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة، يرتج عليكم حواري فتعمهون، فكأن قلوبكم مألوسة، فأنتم لا تعقلون، ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي، وما أنتم بركن يمال بكم، ولا زاهر عز يفتقر إليكم، ما أنتم إلا كأبل ضل رعاتها، فكلما جحّت من جانب، انتشرت من آخر. لبئس

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٧٠-٧٢

لعمر الله سعر نار الحرب أنتم، تُكادون ولا تَكيدون، وتنقص اطرافكم فلا تَتعضون، لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون»^(١).

ويحذر (عليه السلام) الجماعة من فتنة بنى أمية والتي ستقع عليهم كالليل المظلم نتيجة لتهاونهم وتخاذلهم عن نصرته، فيقول: «ألا إن أخواف الفتنة عندي عليكم فتنة بنى أمية، فإنها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها وخصت بليتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها. وأيم الله لتجد بنى أمية لكم بعدي أرباب سوء بعدي كالناب الضروس، تعذم بفيهما، وتخبط بيدهما، وتزيين برجلها، وتنزع درها. لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم نافعا لهم، أو غير ضائز لهم، ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كان تصار العبد من ربها، والصاحب من مستصحبه. ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية، وقطعا جاهلية»^(٢)!

ويرى الإمام علي (عليه السلام) أن القائد يجب أن لا يحتجب عن شعبه حتى يكون على وعي بالأمور التي تدور في مجتمعه، ويكون على اطلاع ودرایة بأحوال شعبه فيوصي مالكاً بقوله: «وأما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك، فإن احتجاب الولاية عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح، ويساب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشرٌ لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور،

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ١٠٥-١٠٦

(٢) جرداق، روائع نهج البلاغة، ص ١١٠-١١١

وليس على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب، وإنما أنت أحد رجلين إما أمرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق، ففيه احتجابك من واجب حق تعطيه، أو فعل كريم تسديه، أو مبتلي بالمنع، فما أسرع كف الناس عن مسألك إذا أيسوا من بذلك، مع أن أكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤونة فيه عليك، من شكاوة مظلمة، أو طلب إنصاف في معاملة»^(١).

٦- القيادة عملية إنسانية (إشباع حاجات الإنسان وتطلعاته)

١٦٤

القيادة هي عمل إنساني، يؤثر فيه القائد على مجموعة من الناس تجمعه معهم أهداف مشتركة أو يتطلعون بواسطته لتحقيق غاية معينة في نفوسهم، وتبذر الحاجة لأن يكون القائد - كما تقول النظرية التفاعلية - مدركاً وواعياً لحاجات ومشاعر وأعمال جماعته حتى يقوم بدوره القيادي المطلوب وينجح في تحقيق تطلعات جماعته^(٢). ويركز الإمام في هذا المجال على الجانب الذي يحتاجه كل الناس في حياتهم بمختلف انتهاطهم العقائدية أو تحزباتهم السياسية كما أشار في كلامه لمالك وهو يوصيه في عهده: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارباً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق»^(٣).

وقد كانت القصص - التي تم ذكرها في القسم السابق - نموذجاً حياً عن تعاطفه وتوافقه الإنساني مع رعيته وسعيه لحل مشاكلهم؛ فقد

(١) عبده نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٩٠-٥٩١

(٢) محمد، القيادة المتسامية للرسول الأكرم، ص ١١٧

(٣) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٧٢

ذهب بنفسه لتلك الأرملة وساعدها في طبخ الطعام وما خرج من عندها إلا وأولادها قد شبعوا وناموا مسرورين، وفي يوم صائف شديد الحرارة ذهب الإمام مع تلك الشابة التي روعها زوجها وأخافها وحل الخلاف بينهما، وهو الذي يقول عن نفسه عندما رأه أحد أصحابه يوماً ما في شدة الحر في فناء حائط فقال: يا أمير المؤمنين بهذه الساعة!! قال: «إلا أعين مظلوماً أو أغاث ملهوفاً»^(١).

١٦٥

والروح الإنسانية تظهر عند الإمام (عليه السلام) ولا تفارقها حتى وهو يحارب أعداءه، ويبلغ عليٌّ من الرفق بالناس وطلب العذر لهم عما يفعلون، أن حاربه أهل البصرة، وضربوا وجهه ووجهه أولاده بالسيوف وسبوه ولعنوه، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم وأدخلهم في أمانه^(٢).

ومن المظاهر التي يتميز بها الإمام المحافظة على حقوق الناس حتى ولو كانوا من خصومه، وكان يسعى إلى المقاضاة -مع إنه الحكم- ويقف بجانب المتخاصم معه على قدم المساواة عند القاضي! ولما مثل الإمام علي مع المسيحي أمام القاضي بخصوص الدرع المسروقة، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): إنها درعي ولم أبع ولم أحب! فسأل القاضي الرجل المسيحي: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال العربي المسيحي: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، وهنا التفت القاضي شريحاً إلى علي يسأله هل من بيته تشهد أن هذا الدرع لك؟ فضحك علي وقال: أصاب شريح ما

(١) المفید، الاختصاص، فضل أمیر المؤمنین، ص ١٥٧

(٢) جرداق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ج ١، ص ٧٢

لي بينة، فقضى شريح بالدرع للرجل المسيحي، فأخذها ومشى وأمير المؤمنين ينظر إليه، إلا أن الرجل لم يخط خطوات قلائل حتى عاد يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء، أمير المؤمنين يداني إلى قاض يقضي عليه! ثم قال: الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين وقد كنت كاذبا فيما ادعيت! وبعد زمن شهد الناس هذا الرجل وهو من أصدق الجنود، وأشد الأبطال بأسا وبلاء في قتال الخوارج يوم النهرawan إلى جانب الإمام علي (عليه السلام) ^(١)!

وفي وصيته لجنوده قبل بدء القتال في صفين، يؤكّد الإمام (عليه السلام) على ضرورة مراعاة الجانب الإنساني في حرب العدو، فيقول: لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدأوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبرا، وتصيبوا معورا، ولا تجهزوا على جريح. ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم، وسببن أمراءكم، فإنهن ضعيفات القوى، والأنفس، والعقول، إن كنا لنؤمر بالكاف عنهن، وإنهن لشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالقهر أو المراوة، فيغير بها وعقبه بعده ^(٢).

ولعل ما يشد النفس ويحير العقل هي تلك الروح الإنسانية العظيمة التي يمتلكها علي ابن أبي طالب تجاه قاتله، فلما ألقى القبض على المجرم ابن ملجم. أوصى الإمام (عليه السلام) ولده الحسن وبنيه، وأهل بيته أن يحسنو بأسيرةهم وقال: النفس بالنفس فإن أنا مت فاقتلوه كما قتلني، وإن أنا عشت

(١) جرداق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ج ١، ص ٧٢-٧٣

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٠٣

رأيت فيه رأيي^(١). وكأنه يشير سلام الله عليه أنه إن عاش فسوف يصفح عنه ويطلق سراحه!

٧- القيادة عملية سياسية (المحافظة على كرامة الإنسان وحقوقه)

القيادة ترتبط بالسياسة ارتباطاً وثيقاً خصوصاً في الحركات الاجتماعية أو الدينية الكبرى، فالقائد الديني أو المصلح الاجتماعي يحدد الكيفية التي يتعاطى بها مع السياسة وفقاً لحجم مشروعه وأهدافه وتطلعاته، ويتقلد ما يناسبه من دور كقائد سياسي لحركته^(٢). وفي هذا المجال فقد كانت للإمام (عليه السلام) مواقف وأقوال فيما يتصل بحقوق الإنسان وكرامته، والسعى لرفع ظلمات المحرومين، والاقتاصاص من الظالمين.

وقد باشر الإمام علي (عليه السلام) مهامه في أول أيام خلافته برد قطائع الخليفة الثالث، وقال عَمِّا فعله: «والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك الإمام لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق»^(٣).

ولما عותب الإمام من بعض أصحابه على التسوية في العطاء، خاطبهم بلسان قاطع عن موقفه المبدئي في هذه القضية، فقال: «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله ما أطور به ما سمر سمير، وما أُم نجم في النساء نجماً، لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله! ألا وإن

(١) لجنة التاريخ، تاريخ الإسلام، ج ١، ص ٤٨٨

(٢) محمد، القيادة المتسامية للرسول الأكرم، ص ١١٧

(٣) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٦٧

إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويكرمه عند الناس ويهينه عند الله»^(١).

وتحدث الإمام (عليه السلام) عن الحقوق والواجبات لكل من الوالي وأتباعه في رسالة بعثها إلى قادة التغور، فقال: «أما بعد، فإن حقا على الوالي أن لا يغيره على رعيته فضل ناله، ولا طول خص به، وأن يزيد ما قسم الله له من نعمه دنوا من عباده، وعطفا على إخوانه، ألا وإن لكم عندي أن لا احتجز دونكم سرا إلا في حرب، ولا أطوي دونكم أمرا إلا في حكم، ولا أؤخر لكم حقا عن محله، ولا أقف به دون مقطعة، وأن تكونوا عندي في الحق سواء، فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة،ولي عليكم الطاعة، وأن لا تنكسوا عن دعوة، ولا تفرطوا في صلاح، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق، فإن أنتم لم تستقيموا لي على ذلك، لم يكن أحد أهون علي من اعوج منكم، ثم أعظم له العقوبة، ولا يجد فيها عندي رخصة»^(٢).

ويكشف لنا هذا النص صلابة الإمام - كقائد ملتزم بقيمه ومبادئه - في مواقفه وتعامله مع كبار أعوانه؛ ففي الوقت الذي يمدهم بكل ما يحتاجونه من عون ونصيحة، وتوفير للمعاش، وتوضيح للمسائل والمشكلات، وتوفير حقوقهم غير منقوصة فإنه في الوقت ذاته يحملهم مسؤولياتهم في الطاعة والالتزام بأوامره، وتنفيذ توجيهاته وتوصياته ويخذرهم من الإهمال والتمرد والعصيان لأنهم لن يفلتوا من عقاب القانون ومحاسبة كل مقصر في عمله.

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٧١-٢٧٢

(٢) جرداق، روائع نهج البلاغة، ص ٩٨

وكان شغل علي الشاغل تحقيق العدالة في مجتمعه، فهو يتبرأ من الظلم وينفي نفيا قاطعا له أية رغبة في أن يتحكم في رقاب العباد بالظلم والعدوان، فيقول (عليه السلام): «والله لأن أبىت على حسك السعدان مسهدأ، وأجر في الأغالل مصفداً، أحب إلي من ألقى الله ورسوله يوم القيمة ظالما لبعض العباد، وغاصبا لشيء من الخطام كيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلي قفوها، ويطول في الشرى حلوها؟!!»^(١)

ويقول (عليه السلام) عن ذلك الأمر في موقف آخر: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الخطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيؤمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك»^(٢).

ويتحدث الإمام (عليه السلام) عن سياسته القائمة على الانتصار للمظلوم فيقول: «لم تكن بيعتم إيماني فلتة، وليس أمري وأمركم واحد، إني أريدكم الله وأنتم تريدوني لأنفسكم. أيها الناس، أعينوني على أنفسكم، وأيهم الله! لأنصافن المظلوم من ظالمه، ولأنقودن الظالم بخزامته، حتى أورده منهلا الحق وإن كان كارها»^(٣).

ويقول (عليه السلام) في حقوق الراعي والرعية: «أيها الناس، إن لي عليكم حقا، ولكم علي حق: فأما حكمكم علي فالنصيحة لكم، وتوفير

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٦٧

(٢) عبده نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٧٨

(٣) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٨٤

فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا. وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين أمركم»^(١).

وفي كتاب لأحد ولاته يتوعده بسبب ما نقل إليه عن تقسيمه غير العادل في العطاء، فقال له (عليه السلام): «بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته، فقد أخطت إهلك، وأغضبت إمامك، إنك تقسم في المسلمين الذي حازته رماحهم وخيوطهم، وأريقت عليه دمائهم، فيمن اعتماك من أعراب قومك، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لئن كان ذلك حقا، لتجدن لك على هوانا، ولتخفن عندي ميزانا، فلا تستهن بحق ربك، ولا تصلح دنياك بمحق دينك فنكرون من الأخرسرين أعلم لا»^(٢).

ويتبين مما سبق عرضه من خطابات الإمام (عليه السلام) أنه ركز قيادته في المجال السياسي على تحقيق العدالة الاجتماعية، والمساواة في العطاء، والدفاع عن المحرورين والمظلومين، ومحاسبة الولاة ورجال الدولة لكي تستقيم أمور البلاد، ويصلح بذلك العباد، وينتشر الأمان، فيعم الخير والسلام في كل مكان.

٨- القيادة عملية إنتاجية (تحقيق الأهداف)

تقوم القيادة بما تنجذه في الواقع من أعمال؛ ويستدل أهل الخبرة والعلم على كفاءة القيادة عن طريق ما حققته من نجاحات في عملها، أو ما أحدثته

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ١٠٦-١٠٧

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٥٦

من تغيير نوعي في المؤسسة وسياساتها وأهدافها وتطوراتها المستقبلية^(١). وفي هذا الجانب، يركز الإمام على أهمية تحقيق الأهداف، وتجلى هذا بوضوح في إصراره على تنفيذ قراره في الحرب أو السلم، أو المقاربات التي يستخدمها في تدبير شؤون الحكم والسياسة وتوزيع المال. وفي بداية خلافته ركز على تحقيق أهدافه الإصلاحية في إلغاء الامتيازات الطبقية، وإلغاء التفضيل في العطاء، واسترجاع جميع ما صرف من مال من بيت غير وجه حق، وخاطب الناس في ذلك لكي يصحح مفاهيمهم التي توارثوها عن الفضل وال منزلة الدينية بصحبتهم للرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فقال:

«أفضل الناس - أيها الناس - عند الله منزلة وأعظمهم عند الله خطراً
أطوعهم لأمر الله وأعلمهم بطاعة الله وأتبعهم لسنة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأحيائهم لكتاب الله فليس لأحد من خلق الله فضل إلا بطاعة الله
وطاعة رسوله واتباع كتابه وسنة نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ). هذا كتاب الله
بين أظهرنا وعهدنا ونبي الله وسيرته فينا، لا يجهلها إلا جاهل مخالف معاند عن
رسول الله عز وجل بقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا حَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُونًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ مِّنْ دُنْوِيَّةِ اللَّهِ أَتَقَاءِكُمْ﴾ فمن
اتقى الله فهو الشريف المكرم المحب، وكذلك أهل طاعته وطاعة رسول الله،
يقول الله في كتابه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلُّوْا
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

(١) محمد، القيادة المتسامية للرسول الأكرم، ص ١١٨

(٢) الحراني، تحف العقول، ص ١٢٩-١٢٨

وقد استطاع الإمام في فترة وجيزة أن يعيد للإسلام هيبته، ويسترجع الأموال التي أخذت بغير حق من بيت المال، ويخلص من الولاة الفاسدين، وأن يلغى الامتيازات الطبقية التي قسم عن طريقها مال الله بمبدأ التفضيل الذي سنه الخليفة الثاني، ومخاطبهم الإمام في هذا الأمر قائلاً:

«أيها الناس، إنما أنا رجل منكم، ولي مالكم، وعلى ما عليكم، إلا عن كل قطعة اقتطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال فإن الحق قد يم لا يطلعه شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء وملك الإماماء وفرق في البلدان لردهته. فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق. أيها الناس، إلا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنمار وركبوا الخيل واتخذوا الوسائل المرققة إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتـم إلى حقوقهم التي يعملون: حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا! ألا وأيـما رجل من المهاجرين والأنصار يرى أن الفضل له على سواه لصحبـته، فإن الفضل عند الله، فأنتـم عباد الله، والمـال مـال الله، يقسم بينـكم بالـسوية ولا فـضل فيـه لأحد على أحد»^(١).

ولفت أنظارـهم لأـهمية الرجـوع إلى كتاب الله وسـنة رسولـه في شأن التـفضـيل، وهو يـخاطـبـهم: «فـانظـروا يا مـعاشرـ المـهاجرـين والـأنـصارـ وـأهـلـ دـينـ اللهـ ماـ وـصـفـتـ بـهـ فيـ كـتـابـ اللهـ وـنـزـلـتـ بـهـ عـنـدـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ)ـ وـجـاهـدـتـ عـلـيـهـ فـيـمـاـ فـضـلـتـ بـهـ بـالـحـسـبـ وـالـنـسـبـ؟ أـمـ بـعـمـلـ وـطـاعـةـ؟ فـاسـتـتـمـواـ نـعـمـهـ عـلـيـكـمـ رـحـمـكـمـ اللهـ - بـالـصـبـرـ لـأـنـفـسـكـ وـالـمـحـافـظـةـ عـلـىـ مـنـ اـسـتـحـفـظـكـمـ

الله من كتابه. ألا وإنك لا يضركم تواضع شيء من دنياكم بعد حفظكم وصيحة الله والتقوى. ولا ينفعكم شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم بعد تضييع ما أمرتم به من التقوى، فعليكم عباد الله بالتسليم لأمره والرضا بقضاءه والصبر على بلائه»^(١).

وفي المجال العسكري أنجز تكليفه الشرعي الذي حمله إياه رسول الله صلى الله عليه وآله، فعن أبي أيوب الأنباري قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول لعلي بن أبي طالب (عليه السلام): تقاتل الناكثين والقاسطين بالطرق والنهروانات وبالسعفات. قال أبو أيوب: قلت: يا رسول الله مع من نقاتل هؤلاء القوم؟ قال: مع علي بن أبي طالب^(٢).

وفي ضوء هذه المهمة التي أوكلها رسول الله (صلى الله عليه وآله) إليه، قال لابن عباس: «ما ضعفت ولا جنت، وإن مسيري هذا لملتها فلأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه، ما لي ولقریش! والله لقد قاتلتهم كافرين، وأقاتلتهم مفتونين، وإني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم»^(٣).

وما يلفت الانتباه إلى أن عهد علي (عليه السلام) تميز عن غيره من الخلفاء السابقين بالحروب الداخلية المتنوعة المستمرة، مما دفع الكثير من الباحثين المخالفين لأهل البيت بأن يطعنوا في فترة حكمه بحجج أنها اصطدمت بالحروب والاقتتال بين المسلمين! ولكن غاب عن أذهانهم أنها معارك شرف

(١) الحراني، تحف العقول: ص ١٢٩

(٢) الفيروزآبادي، فضائل الحخمسة: ج ٢، ص ٣٥٨-٣٥٩

(٣) جرداق، روائع نهج البلاغة: ص ١٠٥

الله تعالى بها علياً (عليه السلام) بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد روى النسائي في خصائصه بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوساً ننتظر رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فخرج إلينا قد انقطع شمع نعله، فرمى به إلى علي (عليه السلام) فقال: إن منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، قال أبو بكر: أنا؟ قال عمر: أنا؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل^(١). وفي تاريخ بغداد بسنده عن خليد المصري قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول يوم النهرawan: «أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) بقتل الناكثين والقاسطين والمارقين»^(٢).

ونستطيع القول باطمئنان بأن علياً (عليه السلام) استطاع -رغم المخرب
المضادة التي أشعلها عليه أعداؤه في الداخل- أن يؤسس لعهد جديد تكون
فيه الحكومة الإسلامية حكومة للمحرومين والمستضعفين، يقاتل الحاكم
فيها بشجاعة النفاق الميطن عند المتنفذين والمستأثررين بالمال والسلطة
ويؤلمهم بسيف الحق والعدل، ويحارب التمردين في عقائدهم ودينهם ويبطل
أحدو شتهم بصورة شاملة. وزيادة على ما سبق، فإن الإمام علي (عليه
السلام) قام بعزل كل الولاية الفاسدين واستبدلهم بالصالحين، وجعل للرأي
العام حرية في النقد والتظلم من حكم الولاية، فيتم محاسبتهم إن أخطأوا،
وعزلهم إن أساءوا استخدام السلطة، وأما إذا سولت لأحدthem نفسه فانتهك
حقوق الناس أو ضيق عليهم بسياساته فإنه ينال القصاص العادل في الحال
دون مجاملة ولا رأفة.

(١) الفیروز آبادی، فضائل الخمسة، ج٢، ص ٣٤٩

(٢) الفيروز آبادی، فضائل الخمسة، ج ٢، ص ٣٧٩

وفي الجانب الإداري والمالي، ركز الإمام علي (عليه السلام) في عهده على اهتمام الحكومة بنشر العدل والمساواة بين الناس والاهتمام بحاجاتهم المادية والروحية على السواء عن طريق بيت المال، وفي الجانب الثقافي تم إحياء الثقافة الإسلامية من جديد بعد نشر أحاديث الرسول ضمن الضوابط الشرعية المطلوبة. وقام الإمام بدوره التربوي الكبير في تأديب وتعليم الأمة المفاهيم الدينية والمبادئ الأخلاقية وأحكام الإسلام عبر حواراته، وخطبه، وكتبه التي تواصل بها مع الآخرين. وقد ساهم تحرك الإمام العلمي ونشاطه المعرفي فيما بعد بخلقوعي رسالى كبير في الأمة، وتحفيز العلماء والأدباء للإفادة من نهجه ومدرسته في شتى المعارف القرآنية واللغوية والفقهية والكلامية من مختلف المذاهب الإسلامية كما جاء في كتاب النهج لابن أبي الحميد^(١).

٩- القيادة عملية استراتيجية (التطلع إلى المستقبل)

لم يكتف الإمام (عليه السلام) في فترة حكمته المباركة على مقاربة مشكلات الإنسان المسلم في عصره، بل رسم مساراً عالمياً لجميع المفكرين والمصلحين في العالم في كيفية التصدي للظلم والعدوان على الإنسان في كل زمان ومكان؛ حيث إن شعاراته ومبادئه وقيمته التي تضمنتها خطبه ومواعظه وحكمه أصبحت محل اهتمام عالمي وإنسانى من النخب العلمية والثقافية المسيحية في الشرق والغرب كما يقول هيفا في كتابه^(٢)، وأصبح مسيحيو العالم ينهلون من رشحات وفيوضات هذه الشخصية وخزائن علمها التي صاغها

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١١-١٣

(٢) هيفا، الإمام علي في الفكر المسيحي، ص ٢٠٩-٢٧٧

في كلمات وأحرف نورانية تسطع بالحكمة الخالدة والأدب الرفيع الذي لا يضارعه في جماله ونسقه إلا كتاب الله العزيز وكلام رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله).

ولقد كان علي في تطلعاته للمستقبل يجسد حاجات الإنسان وأماله في كل زمان ومكان وهو ما يعبر عنه بالظاهرة فوق الإنسانية^(١) Super-Human)، وهو أن الإمام قد جسد الإنسانية بمعانيها ومضامينها الروحية والأخلاقية والأدبية في حربه وسلمه، وتفاعلاته وموافقه الاجتماعية، وخطاباته وكلماته الخالدة عن العدل وإنصاف المظلوم وتحقيق المساواة بين البشر وتحريرهم من الفقر المادي والجهل المعرفي. وكان في حركته هذه يتطلع إلى بناء مجتمع إنساني يتساوى الناس فيه أمام القانون فيؤخذ للضعف حقه من القوي، وتقام فيه حدود الله وأحكامه للاحقة المفسدين والمستأثرين بالمال والجاه والسلطان، ويؤمن فيه الناس على أرواحهم وأرزاقهم وحياتهم من عبث العابثين وتعدي الظالمين وهو ما عبر عنه في كلمة جامعة، وهو يقول: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعامل من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فیأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك»^(٢).

وكان علي (عليه السلام) يتطلع إلى القضاء على الفقر والتفاوت الطبقي بكل أشكاله، ويعلن حربه على كل مظاهر الإسراف والترف عند الميسورين،

(١) هيفا، الإمام علي في الفكر المسيحي، ص ٢١٨

(٢) عبد نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٧٨

ويقرع التجار وأصحاب المهن بمواعظه ليلتزموا بالمعايير والإنصاف في المعاملة، وهو يقول: «أين خياراتكم وصلحاؤكم؟ وأين أحراحكم وسمحاؤكم؟ وأين المترعرعون في مكاسبهم، والمتزهرون في مذاهبهم؟! أليس قد ظعنوا جميعاً عن هذه الدنيا الدنية، والعاجلة المنغصة؟ وهل خلقت إلّا في حالة لا تلتقي إلّا بذمهم الشفتان، استصغروا القدر، وذهبوا عن ذكرهم، فإن الله وإنما إليه راجعون»^(١)!

وكان الإمام علي (عليه السلام) من أشد المحاربين للفقر بكل أشكاله المادية والفكرية والروحية، وقد خطاب (عليه السلام) ابنه محمد بن الحنفية مبيناً الآثار السلبية للفقر على الذات الإنسانية والكيان الاجتماعي، فقال: «يا بنى إني أخاف عليك الفقر، فاستعد بالله منه، فإن الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت»^(٢). وتحدث عن غربة الإنسان في وطنه لفقره وحاجته، فقال: الغنى في الغربة وطن، والفقير في الوطن غربة^(٣)، ووصف الفقر بالكارثة العظمى في هذه الحياة، فقال (عليه السلام): الفقر الموت الأكبر^(٤).

وكشف عن علة الفقر في المجتمعات في قوله (عليه السلام): «إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا ما متع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك»^(٥)، ولذلك كان (عليه السلام) في بداية

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٧٦

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٩٨

(٣) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٣٨

(٤) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٦٥

(٥) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٠٠-٧٠١

حكمه يسعى لتحقيق مبدأ المساواة بين الناس في حقهم العام بالنسبة إلى المال والثروة وإنه لم يفضل أحد على آخر، فالمال مال الله!

وبخصوص هذه السياسة الجديدة، خاطب الذين أنكروا عليه التسوية في الفيء، فقال: «فأما هذا الفيء، فليس لأحد فيه على أحد إثرة قد فرغ الله عز وجل من قسمه، فهو مال الله وأتتم عباد الله المسلمين، وهذا كتاب الله به أقررنا وعليه شهدنا وله أسلمنا وعهد نبينا بين أظهرنا فسلموا - رحمة الله - فمن لم يرض فليتول كيف شاء. فإن العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ﴾. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. ونسأله ربنا وإلينا أن يجعلنا وإياكم من أهل طاعته، وأن يجعل رغبتنا ورغبتكم فيما عنده. أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم^(١).

وأما ما كان يطمح إليه الإمام من نموذج في حكم الناس فقد كتبه في بيان مفصل في عهده للأشرتر (رض)، فقد تناول هذا العهد جميع ما يحتاجه الحاكم في تدبير أموره السياسية في المجتمع الذي يقع تحت سلطانه وتتضمن: صفات الحاكم العادل وأخلاقه، والتزاماته العبادية والاجتماعية والإنسانية، وكيفية إدارة الأمور وتعيين الموظفين في الدولة. كما بين للحاكم طرق التعامل المثلث مع طبقات المجتمع المختلفة من ولادة وجند وتجار وصناع ومزارعين وفقراء، وكيفية إقامة العدل والإنصاف في أحکامه، ومناهج اتباع القرآن والسنّة في سيرته مع أصحابه وأعدائه، وسبل المشاورة لأهل الرأي والحكمة، وأفضل الوسائل لتقريب العلماء والصالحين في مجتمعه. كما يوصي الحاكم

بالعمل الدائم على تلبية احتياجات المظلومين والفقراء في مجتمعه، والابتعاد عن بطانة السوء من تجار وغيرهم، والتفرغ لمشاكل وحاجات الطبقة السفلية من المؤمنين وغيرهم وعدم الاحتجاب عنهم، والعمل بما يرضي الله ورسوله في السر والعلن حتى تستقيم الأمور لديه ويزدهر العدل في مجتمعه^(١).

١٠- القيادة عملية تغيير (السعى لتحقيق المجتمع الصالح)

ركز الرسول في قيادته على إحداث التغيير الاجتماعي للنظام القائم باستبدال القيم والعادات والاتجاهات والأهداف والتطلعات القبلية أو الطائفية لدى الإنسان في المجتمع الجاهلي بنظام جديد يقوم على الوحدة الإنسانية، والتآخي الإنساني، والقبول بالتنوعية في ظل مجتمع يحترم حقوق الأفراد، ويحافظ على كرامة الإنسان، ويفكد على الحرية والعدل والمساواة بين جميع البشر^(٢).

وجاء علي (عليه السلام) ليكمل دور الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في إعادة الروح الإسلامية من جديد وإحياء القيم الإسلامية في التآخي والوحدة والبذل والجهاد في سبيل الله، فخاطب الناس في أول أيام بيته عما سيحدث لهم في الأيام المقبلة في حكمه من تغييرات فقال: «دعني بما أقول رهينة، وأنا به زعيم. إن من صرحت له العبر، عما بين يديه من المشات، حجزته التقوى عن تفحم الشبهات. ألا وأن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والذي بعثه بالحق لتبلبن بلبلة، ولتغربلن غربلة».

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٧١-٥٩٦

(٢) محمد، القيادة المتسامية، ص ١٠٩

ولتساطن سوط القدر، حتى يعود أسفلكم وأعلاكم أسفلكم،
وليسبقون سابقون كانوا قصروا، وليقصرن سباقون كانوا سبقو. والله ما
كتمت وشمة، ولا كذبت كذبة، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم. ألا وإن
الخطايا خيل شمس، حمل عليها أهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار.
ألا وإن التقوى مطايا ذلل، حمل عليها أهلها، وأعطوا أزمتها، فأوردتهم الجنة.
حق وباطل، ولكل أهل، فلئن أمر الباطل لقديماً فعل، ولئن قل الحق فربما
ولعل، وقلماً أدبر شيء فأقبل»^(١).

وكان إشارات الإمام واضحة في هذه الخطبة في أنه (عليه السلام)
سيقوم بإحداث سياسات جديدة مخالفة لما تعوده القوم في العهود السابقة،
وسينقسم صحابة رسول الله إلى فريقين بين مؤيد ومعارض لها، وسيكون
الصراع حتمياً بين الحق الذي يمثله علي وأتباعه وبين الباطل الذي يريد
الآخرون، وهو ما كشفته الأحداث بعد ذلك في حروبه التي وعد رسول الله
بها علياً في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وجاء بيان علي واضحاً وهو يخاطبهم بسياساته الجديدة ليقيم عليهم
الحججة ويكونوا على بينة من أمرهم مع العهد الجديد في حكمه، فقال (عليه
السلام): «أيها الناس، إنما أنا رجل منكم، ولي مالكم، وعلى ما عليكم، ألا
عن كل قطعة اقتطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت
المال فإن الحق قد يم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء وملك
الإماء وفرق في البلدان لرددته. فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل

(١) عبد، نهج البلاغة، ج ١، ص ٦٨ - ٧٠

فاجلور عليه أضيق. أيها الناس، ألا يقولون رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنمار وركبوا الخيل واتخذوا الوصائف المرقة إذا ما منعهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتْهم إلى حقوقهم التي يعملون: حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا! ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار يرى أن الفضل له على سواه لصحبه، فإن الفضل عند الله، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية ولا فضل فيه لأحد على أحد»^(١).

ويقول محمد عمارة عن الإجراءات التي قام بها عند توليه الحكم: (و عندما تحقق ما أراد، وبايده الناس بالخلافة، أعلن ما يمكن تسميته -بلغة عصرنا- الشورة الشاملة ضد الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي كانت محل نقده ومعارضته على عهد عثمان بن عفان)^(٢). وقد طالت هذه الإجراءات الثورية الجانب السياسي في عزل الولاية السابقين واستبدالهم بولاة آخرين، والتسوية في توزيع المال بين جميع فئات الشعب المختلفة، واسترداد القطائع والهبات التي وهبها عثمان لولاته وأعوانه وأهل بيته وضمها إلى بيت المال؛ فواجهه الإمام في سبيل ذلك معارضة شديدة من قبل المتنفذين والمنتفعين السابقين، وكان في مقدمتهم طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الله بن عمر، وسعيد بن العاص، ومرwan بن الحكم الذين جاؤوا له يشكون إليه شدة الأمر عليهم ثم ما لبשו أن انقلبوا على الإمام ونكثوا بيعتهم، فألبوا الناس وأعلنوا الحرب عليه^(٣).

(١) جرداق، روائع نهج البلاغة، ص ٩٥

(٢) عمارة، دائرة المعارف الشيعية، ج ١، ص ٢٢٠

(٣) عمارة، دائرة المعارف الشيعية، ج ١، ص ٢٢٢-٢٢٠

وقد بين الإمام (عليه السلام) موقفه من هذه الاعتراضات التي أثارها مناوئو سياساته الجديدة، فقال: «فَأَمَا هَذَا الْفِيءُ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ عَلَى أَحَدٍ إِثْرَةٌ قَدْ فَرَغَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَسْمِهِ، فَهُوَ مَالُ اللَّهِ وَأَنْتُمْ عِبَادُ اللَّهِ الْمُسْلِمُونَ، وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ بِهِ أَقْرَرْنَا وَعَلَيْهِ شَهَدْنَا وَلَهُ أَسْلَمْنَا وَعَاهَدْنَا بَيْنَ أَظْهَرْنَا فَسَلَمْوا - رَحْمَكُمُ اللَّهُ - فَمَنْ لَمْ يَرْضِ فَلِيَتُولِّ كِيفَ شَاءَ. فَإِنَّ الْعَامِلَ بِطَاعَةَ اللَّهِ وَالْحَاكِمَ بِحُكْمِ اللَّهِ لَا وَحْشَةَ عَلَيْهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَنُونَ﴾. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. وَنَسَأَ اللَّهُ رَبِّنَا وَإِلَهَنَا أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، وَأَنْ يَجْعَلْ رَغْبَتِنَا وَرَغْبَتِكُمْ فِيمَا عَنْهُ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ»^(١).

ولقد كان يستند الإمام علي (عليه السلام) في هذا النهج الشوري إلى رؤية إصلاحية عميقة تتصل بمبادئ العدل والمساواة في الإسلام كما جاء في كتاب الله وسيرة رسوله، والتي عبر عنها رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في قوله عند فتح مكة: كان يقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، أَلَا كُلُّ مَأْثُرَةٍ أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدَعَى فَهُوَ تَحْتَ قَدْمِي هَاتِينِ، إِلَّا سَدَانَةَ الْبَيْتِ وَسَقَائِيَّةَ الْحَاجَّ». ثُمَّ قال: يا معاشر قريش، إنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَظَّمَهَا بِالآباءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمَ مِنْ تَرَابٍ...، ثُمَّ تلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا حَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُورًا وَقَبَابِلَ لِتَعَارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَبِيرٌ﴾^(٢).

(١) الحراني، تحف العقول، ص ١٢٩-١٣٠

(٢) بلجنة التاريخ، تاريخ الإسلام، ج ١، ص ٢٢٣

وقد عبر هذه الرؤية في قوله لطحمة والزبير عن سياسته في توزيع العطاء، وهو يخاطبها:

«أَمَا مَا ذَكَرْتُ مِنْ أَمْرٍ أَسْوَةً فَإِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ فِيهِ بِرَأْيِيِّ، وَلَا
وَلِيَتِهِ هُوَ مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَتَّمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ) وَسَلَّمَ قَدْ فَرَغَ مِنْهُ، فَلَمْ احْتَجْ إِلَيْكُمَا فِي مَا فَرَغَ اللَّهُ مِنْ سَمْهِ، وَأَمْضَى
فِيهِ حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمَا وَاللَّهُ عَنِّي وَلَا لِغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عَتْبِيِّ، أَخْذُ اللَّهَ بِقُلُوبِنَا
وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَأَهْمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّابِرِ»^(١).

وكان (عليه السلام) يؤكّد في ممارسته السياسيّة على صيانة الحقوق وعدم التعدّي على الناس، ففي كتاب له إلى عماله على الخراج خاطبهم قائلاً: «فَانْصُفُوا النَّاسَ مِنْ أَنفُسِكُمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ، فَإِنَّكُمْ خَرَانُ الرُّعْيَةِ،
وَوَكَلَاءُ الْأَمَّةِ، وَسُفَرَاءُ الْأَئَمَّةِ، وَلَا تَحْسِمُوا أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ، وَلَا تَحْبِسُوهُ عَنْ
طَلْبِهِ، وَلَا تَبْيَعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كَسْوَةَ شَتَاءٍ وَلَا صَيفًا، وَلَا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ
عَلَيْهَا وَلَا عَبْدًا، وَلَا تَضْرِبُنَّ أَحَدًا سُوْطًا لِمَكَانِ دَرْهَمٍ، وَلَا تَمْسِنَ مَالَ أَحَدٍ
مِنَ النَّاسِ، مَصْلُ وَلَا مَعَاهِدَ»^(٢).

ويؤكّد الإمام علي (عليه السلام) على هذا المبدأ في مخاطبته لمالك وهو يوصيه: «وَإِيَّاكَ وَالاستِشَارَ بِهَا النَّاسُ فِيهِ أَسْوَةٌ، وَالْتَّغَابِيُّ عَمَّا تَعْنِي بِهِ مَا قَدْ
وَضَحَ لِلْعَيْنِ، فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ، وَعَمَّا قَلِيلٌ تَتَكَشَّفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ
الْأَمْورِ، وَيَنْصُفُ مِنْكَ الْمَظْلُومُ، أَمْلَكَ حَمِيَّةَ أَنْفُكَ، وَسُورَةَ حَدْكَ، وَسُطْوَةَ

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٣٧

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٦٩ - ٥٧٠

يذك، وغرب لسانك، واحترس من كل ذلك بكف البدارة، وتأخير السطوة، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار، ولن تحكم ذلك من نفسك، حتى تكشر همومك بذكر المعاد إلى ربك»^(١).

وبين الإمام علي (عليه السلام) أنه لم يك راغباً قط في الخلافة لنفسها، وإنما كان الدافع الأساسي لقيامه بأعبائها هو إقامة العدل وإنصاف المظلوم كما جاء في خطبة الشقشيقية، وهو يقول: «أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لأنقيت حبلها على غاربها. ولستقيت آخرها بكأس أو لها، ولألفيتكم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»^(٢).

وخلالص القول في هذه الشورة الاجتماعية التي قادها الإمام علي (عليه السلام) أنه قدم نموذجاً أخلاقياً وإنسانياً في الحكم والسياسة يقوم فيه الحاكم بنفسه على رعاية شعبه وتربيته، وتوفير ما يحتاجه من زاد ومال، وينفذ بصرامة القانون الذي يتتصف للمظلوم ويسترجع الحق من الظلم، ويتحسس آلامه وحاجاته ويشاركهم جشوبة العيش والفاقة كأحدهم دون أن يميز نفسه عنهم كأمير للمؤمنين كما جاء في قوله (عليه السلام): «أأقنع من نفسي بأن يقال: ((هذا أمير المؤمنين)), ولا أشاركهم مكاره الدهر، أو أكون لهم أسوة في جشوبة العيش»^(٣).

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٩٥

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٥٦-٥٧.

(٣) عبده نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٦١.

ويتحدث الإمام عن التزامه كقائد بالتفوي حتى لا يغلبه هواه، فيقول: «إنما هي نفسي أروضها بالتفوي، لتأتي آمنة يوم الفزع الأكبر، وتشتت على جوانب المزلق، ولو شئت لاحتديت إلى مصفي هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيئات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعى إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشعب»^(١).

وفي الوقت نفسه الذي كان علي (عليه السلام) يخوض معركته السياسية في التغيير، لم تغفل يقظته وعقله عن خوض المعركة الأشد ضراوة وقسوة وهي معركة النفس، التي قال عنها رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إنها الجهاد الأكبر، ففي رواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن رسول الله بعث سرية، فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس، ثم قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه^(٢).

وكان (عليه السلام) يؤكد على مجاهدة النفس وتحصيل التقوى بصورة مستمرة في معظم خطاباته القارعة للقلوب، ومن ذلك قوله: «أوصيكم - عباد الله - بتقوى الله، فإنها الزمام والقوام، فتمسكون بوثائقها، واعتصموا بحقائقها، تؤل بكم إلى أكنان الدعة، وأوطان السعة، ومعاقل الحرز، ومنازل العز، في يوم تشخص فيه الأبصار، وتظلم له الأقطار، وتعطل فيه صرور العشار، وينفح في الصور، فترهق كل مهجة، وتبك كل هجة، وتذل الشم

(١) عبد نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٦٠.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٥ / ٧٠، ص ٦١٣ - ٦١٤.

الشواخ، والصم الرواسخ، فيصير صلتها سرابا رقرا، وعهدها قاعا
سملقا، فلا شفيع يشفع، ولا حيم يدفع، ولا معذرة تنفع»^(١).

وقال عليه السلام، مخذلا من الانحراف عن طريق الحق: أيها الناس!

لا تستوحشو في طريق الهدى لقلة أهله، فإن الناس قد اجتمعوا على مائدة
شعبها قصير، وجوعها طويل. أيها الناس! إنما يجمع الناس الرضا والسطح،
وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عمده بالرضا، فقال
سبحانه: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِين﴾ فما كان إلا أن خارت أرضهم بالخسفة
خوار السكة المحماة في الأرض الخوارة^(٢).

وقال (عليه السلام): إنما أخشى عليكم اثنين: طول الأمل واتباع الهوى،
أما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى، فإنه يصد عن الحق^(٣).

وقد حشد أمير المؤمنين (عليه السلام) كل هذه الكلمات والمواعظ وهو
يخاطب الناس لكي يخفف عن النفوس هذا الإقبال المقيت على الدنيا الذي
ينسيهم الآخرة، ويقعدهم عن الجهاد في سبيل الله ونصرة الدين، كما قال في
إحدى خطبه: ظهر الفساد فلا منكر مغير، ولا زاجر مزدجر، أفهم هذا تريدون
أن تجاوروا الله في دار قدسه، وتكونوا أعز أوليائه عنده؟ فهيهات لا يخدع الله
عن جنته، ولا تناول مرضاته إلا بطاعته. لعن الله الآمرین بالمعروف التاركين
له. والناهين عن المنكر العاملين به^(٤).

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٢٢

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٣٣

(٣) الحراني، تحف العقول، ص ١٤٢

(٤) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٧٧

وخلاصة القول في نهج علي في تربية رعيته وتأديبهم، إنه (عليه السلام) تعامل معهم على مستويين: عام وخاص، ففي المستوى الأول كان يخاطب عامة الناس بما يتصل بشؤون حياتهم، ويقدم النصائح والوصايا الروحية والأخلاقية التي تبصرهم بأمور دنياهم وآخرتهم كما اتضح فيما عرضناه من النصوص السابقة؛ وأما في المستوى الثاني فقد خصّ به المقربين والتابعين المخلصين له، كما جاء في خطاباته لكل من كميل بزياد التخعي، ومالك الأشتر، وسهل بن حنيف، وأبي ذر الغفاري وغيرهم من رفقاء دربه ومناصريه.

ويمكن أن نوجز ما سبق من الحديث عن قيادة الإمام علي (عليه السلام) بالقول: إن قيادته بصورة عامة تتضمن مجموعة من الخصائص الأخلاقية، والاجتماعية، والسياسية، والروحية، والتربوية، والإنسانية، والاستراتيجية والتي تشكل الإطار العام للعمل القيادي وذلك على النحو التالي:

(١) **القيادة عملية إصلاحية:** لقد كانت الأولوية عند الإمام علي (عليه السلام) في بداية خلافته القيام بإصلاح أخطاء الحكومة السابقة، ومعالجة المشكلات التي نجمت عّن واجهه من التمايز الطبقي في المجتمع، ومبداً التفضيل في العطاء، واستئثار مجموعة من المتنفذين من بعض الصحابة والأمويين في ثروات الأمة.

(٢) **القيادة عملية أخلاقية:** اقتدى الإمام علي نهج الرسول في أخلاقه ومارسته في أحاديثه وتعاملاته وتفاعلاته اليومية مع أفراد شعبه، وكان من توجهات الإمام الثقافية الاهتمام بالجانب الأخلاقي في حياة المسلمين،

وكان خطبه، وكلماته ما تفيض به على مستمعيها بألوان من الحكمة والموعظة الحسنة، وكان منها ما يقرع بها آذان الغافلين فيوقطهم من جديد للالتفات والانتباه من خطر الطريق الذي هم فيه غافلون.

(٣) القيادة عملية روحية: سار عليٌّ على نهج أخيه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُ وَمَا بِهِ مِنْ حَيَّةٍ) في تزويد أتباعه بالمواعظ، والحكم، والنصائح التي تحرك مشاعرهم ووجهاتهم نحو العالم الآخر؛ ويرتبط هذا الجانب بتنمية التفكير فيما وراء العالم المادي والإعداد لليوم الآخر.

(٤) القيادة عملية تربوية: في هذا بعد القيادي، كان الإمام يوجه الأفراد عن طريق المواقف الاجتماعية، والحوارات، والمواعظ، والتوصيات للعمل والالتزام بمجموعة من القيم السلوكية التي تبني فيهم الاتجاهات الإيجابية نحو التعلم والمعرفة، والالتزام بالأخلاقيات العالية، والتسابق في عمل الخير، والسلوك الصالح في التعامل مع الآخرين.

(٥) القيادة عملية اجتماعية: قد استخدم الإمام (عليه السلام) في هذا النوع من القيادة أساليب متنوعة كالموعظة والنصائح، والتنبيه والتحذير، والتأكيد على الوفاء بحقوق الناس، وحسن التعامل مع الآخرين، والتعاون والتكافل بين أفراد المجتمع. وكان يهدف في مواضعه تزويد من حوله بالتوجيهات الالزامية للارتقاء بمستوياتهم الإدراكية والاجتماعية حتى لا يقعوا في الشبهات ويسقطوا في مكائد الشيطان.

(٦) القيادة عملية إنسانية: يركز الإمام في هذا المجال القيادي على الجانب الذي يحتاجه كل الناس في حياتهم بمختلف انتظاماتهم العقائدية أو تحزباتهم

السياسية، كما أشار في كلامه لمالك وهو يوصيه في عهده: وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكون عليهم سبعاً ضارباً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق.

(٧) القيادة عملية سياسية: فالقائد الديني أو المصلح الاجتماعي يحدد الكيفية التي يتعاطى بها مع السياسة وفقاً لحجم مشروعه وأهدافه وتطلعاته، ويتقىد ما يناسبه من دور كقائد سياسي لحركته. وفي هذا المجال كانت الإمام (عليه السلام) مواقف وأقوال فيها يتصل بحقوق الإنسان وكرامته، والسعى لرفع ظلامات المحرومين، والاقتصاص من الظالمين.

(٨) القيادة عملية إنتاجية: في هذا الجانب القيادي، يركز الإمام على أهمية تحقيق الأهداف، وتجلى هذا بوضوح في إصراره على تنفيذ قراره في الحرب أو السلم، أو المقاربـات التي استخدمها في تدبير شؤون الحكم والسياسة وتوزيع المال.

(٩) القيادة عملية إستراتيجية: لم يكتف الإمام (عليه السلام) في فترة حكمـته المباركة على مقاربة مشكلـات الإنسان المسلم في عصرـه، بل رسم مسارـاً عـالـياً لـجـمـيـعـ المـفـكـرـينـ والمـصـلـحـينـ فـيـ العـالـمـ فـيـ كـيـفـيـةـ التـصـدـيـ لـلـظـلـمـ وـالـعـدـوـانـ عـلـىـ الإـنـسـانـ فـيـ كـلـ زـمـانـ وـمـكـانـ؛ إـذـ إـنـ شـعـارـاتـهـ وـمـبـادـئـهـ وـقـيمـهـ التـيـ تـضـمـنـتـهاـ خـطـبـهـ وـمـوـاعـظـهـ وـحـكـمـهـ أـصـبـحـتـ مـحـلـ اـهـتـامـ عـالـيـ وـإـنـسـانـيـ مـنـ النـخبـ الـعـلـمـيـ وـالـقـاـفـيـةـ فـيـ كـلـ بـلـدـانـ الـعـالـمـ.

(١٠) القيادة عملية تغيير: في هذا الجانب القيادي، جاء على (عليه السلام) ليكمل دور الرسول (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ) فـيـ إـعـادـةـ الـروحـ الـإـسـلـامـيـةـ

من جديد وإحياء القيم الإسلامية في التأخي والوحدة والبذل والجهاد في سبيل الله، فخاطب الناس في أول أيام بيته عما سيحدث لهم في الأيام المقبلة في حكمه من تغييرات سياسية واقتصادية واجتماعية.

ثانياً- فلسفة القيادة وأهدافها

المتابع لسيرة الإمام علي (عليه السلام) والأحداث التي عصفت بحكمه ك الخليفة للMuslimين، يتضح له أن الإمام علي (عليه السلام) قد مارس أدواراً قيادية تتناسب والظروف السياسية للمجتمع في زمانه، ولكن الأساس الفلسفية الذي ترتكز عليه القيادة النبوية ظل ثابتاً يجسد التصورات والمنظفات الفكرية للإمام في فهم عملية القيادة، وتحديد هويته كقائد، وهويات من يتعامل معهم، والعلاقة المتبادلة بين القائد وأتباعه في عملية القيادة.

١- فلسفة القيادة

إن فلسفة القيادة عند الإمام (عليه السلام) ليست حديثاً شخصياً أو أقوالاً أخبرها الإمام لمحبيه وأنصاره، وإنما هي عملية استجلاء منا للمعنى المضمنة في خطاباته وأقواله ومراسلاته، وما ورد في سيرته المباركة من مواقف وأحداث وتفاعلات اجتماعية وسياسية. فحينما تتحدث عن فلسفة الإمام علي في القيادة، فإننا نقصد بوضوح تلك القيم والمثل والمبادئ التي كانت تحرك عملية القيادة عند الإمام في صورها المختلفة، وتحدد المركبات الأساسية التي تقوم عليها تلك القيادة في المواقف والأحداث المختلفة.

ونقول بدأة: إن فكرة الإمامة هي النيابة عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)

في تولي أمر المسلمين كما جاء بيانه عندما خاطب رسول الله عليه، فقال له: «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي، تقضي ديني وتنجز عدتي، وتقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل. يا علي حبك إيمان وبغضك نفاق وقد نبأني اللطيف الخبير أنه يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة معصومون مطهرون، ومنهم مهدي هذه الأمة الذي يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أوله»^(١).

والجانب الآخر في القيادة لدى الإمام (عليه السلام) يتمثل في نظرته لنفسه ومن حوله، وما هي موقعه وموقعية الآخرين في عمله كقائد؟ فالإمام (عليه السلام) ينظر إلى نفسه كواحد من بقية الناس، وعبد من عباده ولكن بحكم كونه ولیاً لأمر المسلمين -وفقاً للمعايير القرآنية- يجب على الأتباع طاعته والتقييد بأوامره كما أمر الله سبحانه المسلمين بذلك في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ حَيْرٌ وَأَحَسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٢). وقد أوضح (عليه السلام) ذلك الأمر في قوله: «أما بعد، فإن حقا على الوالي أن لا يغيره على رعيته فضل ناله، ولا طول خص به، وأن يزيد ما قسم الله له من نعمه دنوا من عباده، وعطفا على إخوانه، إلا وإن لكم عندي أن لا احتجز دونكم سراً إلا في حرب، ولا أطوي دونكم أمراً إلا في حكم، ولا أؤخر لكم حقا عن محله، ولا أقف به دون مقطعه، وأن تكونوا عندي في الحق سواء، فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة، ولي

(١) الحكيم، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، ص ٣٨٤

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

عليكم الطاعة، وأن لا تنكسوا عن دعوة، ولا تفرطوا في صلاح، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق، فإن أنتم لم تستقيموا على ذلك، لم يكن أحد أهون علي من اعوج منكم، ثم أعظم له العقوبة، ولا يجد فيها عندي رخصة»^(١).

وقد سار الإمام في الأمة بهدي القرآن وسنة رسوله، وجاء في وصف سيرته ما قاله الإمام الحسن (عليه السلام) في يوم استشهاده: «لقد قضى في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون، ولم يدركه الآخرون، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوجهه برأيته، فيكتنفه جبريل عن يمينه، وميكائيل عن شماليه، فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه. ولقد توفي في الليلة التي عرج فيها بيعيسى بن مريم، وفيها قبض يوشع بن نون، وما خلف صفراء ولا بيضاء، إلّا سبعمائة درهم فضلت من عطائه وأراد أن يبتاع بها خادماً لأهله»^(٢).

وقال عنه أحد أصحابه: «إنه والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، ينفجر العلم من جوانبه، يستوحش الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة، طويل الفكر، يقلب كفه ويخاطب نفسه، ويعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشب! كان والله كأحدنا يدلينا إذا أتيناه، ويحبينا إذا سألهنا، وكان مع تقربه إلينا وقربنا منه لا نكلمه هيبة له، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، كان يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله»^(٣).

(١) جرداق، روائع نهج البلاغة، ص ٩٨

(٢) الموسوي، خطب الإمام الحسن، خطبة ٨، ص ١٦

(٣) منفرد، قصة الكوفة، ص ٤٩٨

ونستخلص من ذلك أن فلسفة القيادة للإمام علي (عليه السلام) ترتكز على الأمانة وتحمل المسؤولية، والاهتمام والرعاية لأصحابه، وتبادل التعاطف والمحبة معهم، وإشباع حاجاتهم المادية والمعنوية، ومديد العون لهم فيما يختص بمشاكلهم الشخصية، والتواصل المستمر معهم لتعليمهم وتوجيههم، واستخدام القيادة المتوازنة التي تجمع بين الحزم واللين لإعطاء كل ذي حق حقه، ومحاسبة الظالم والمعتدي وتقويم سلوكه.

٢- أهداف القيادة

أما بالنسبة لأهداف القيادة عند الإمام علي (عليه السلام) فهي تمثل في مجموعة من المقصود التي كان يسعى لتحقيقها على مختلف الأصعدة الأخلاقية والاعتقادية، والاجتماعية، والسياسية على النحو التالي:

* إصلاح الوضع السياسي والاقتصادي في المجتمع الإسلامي عن طريق إعادة الروح الإسلامية من جديد وذلك بإلغاء التمييز الطبقي بين الأفراد، وتنفيذ الإجراءات الإدارية الصارمة بحق الهبات والقطاع التي تم توزيعها بغير وجه حق، ومحاسبة المفسدين والمتآمرين على الإسلام تحقيقاً لتوجيهات القرآن الكريم في إقامة المجتمع الصالح: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

* تحقيق العدل والإنصاف في الحكم عن طريق عزل الولاية الفاسدين واستبدالهم بالصالحين، وتوفير الحقوق والفيء لمختلف طبقات الشعب دون تفضيل أو تمييز، والتعامل الحسن مع المواطنين بمختلف انتسابهم الدينية

والاجتماعية تحقيقاً لمبدأ المساواة الذي نادى به الإسلام، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا هَلَقْنَاكُم مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًاٰ وَقَبَائلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَبِيبٌ﴾^(١).

* إعادة العمل بالحدود الشرعية والاقتصاص من الظالمين والمعتدين دون تمييز بين سيد أو عبد، وشريف أو وضعيف، وغني أو فقير تطبيقاً لسنة الرسول (صلى عليه وآله) الذي قال: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقُ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الْمُسْتَكْبِرُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ»^(٢)، والعمل بمبدأ المحاسبة والقصاص من المعتمدي، كما جاء في قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣).

* إعادة التواصل بين الحاكم والرعية عن طريق إنشاء ديوان للمظالم، ومتابعة عمل الولاية وأدائهم في بلدانهم، والاسترشاد بآراء الناس في تقويم عملهم، ومحاسبتهم أو معاقبتهم إذا جانبوا الحق والعدل في تعاملهم مع الناس بمختلف طبقاتهم الدينية والاجتماعية تحقيقاً لمبدأ الإحسان للرعاية والعدل في الحكم والذي ذكره الله سبحانه في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَاً يَعْظُمُ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٤).

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣

(٢) الأعلمي، حكم رسول الله، ص ١٠٠

(٣) سورة البقرة، الآية ١٩٤

(٤) سورة النساء، الآية ٥٨

* إحياء العمل بالكتاب والسنّة لترسيخ القيم الإسلامية ونشر الثقافة الفقهية والسياسية في جموع الناس عن طريق إزالة الموانع أمام نشر الأحاديث النبوية الصحيحة، وعقد الحلقات الدينية لقراءة القرآن وتدبر آياته والتبرك بالحديث عن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وسيرته الشريفة. وقيام الإمام (عليه السلام) بدوره التربوي والتعليمي في تثقيف الأمة وتربيّة أصحابه عن طريق أحاديثه وخطبه ووصاياه وحكمه الأخلاقية والاجتماعية المتنوعة من أجل بناء مجتمع رسالي منضبط في سلوكه وتعاملاته بأحكام الدين، وملتزم بمسؤولياته السياسية والدينية كما جاءت توجيهات السماء بهذا الخصوص في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ أُولَئِكَ سَيِّرُ حَمْمُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

ثالثاً. الأدوار القيادية للإمام علي (عليه السلام) في خلافته

برز الإمام (عليه السلام) في الأحداث كشخصية قيادية تطلع بأدوار متنوعة تجمع بين التدبير لأمور الحكم، والوعظ والإرشاد الديني، وإدارة توزيع المال العام، وقيادة العسكر لمحاربة المتمردين والباغين، والعمل على إحياء المفاهيم والمبادئ القرآنية في المجتمع، والإشراف والمراقبة على مختلف أجهزة الدولة في الداخل والخارج؛ وهذا يعني أن الإمام كان واعياً بمتطلبات الموقف القيادي في كل مرحلة مما مر عليه من الأحداث أثناء فترة خلافته، وإنه لم يكن ولم يعجز في إرادته وتصميمه على القضاء على

الفتن والمؤامرات في الشام وغيرها حتى آخر يوم من عمره الشريف
صلوات الله عليه وسلامه.

ولعل أهم الأدوار القيادية التي برزت في فترة حكمه هي تلك الأدوار التي تتصل بثورته الاجتماعية الشاملة على الواقع المعاش، والإصلاح السياسي الشامل في أجهزة الدولة والقضاء، وقيادة المعارك الشرسة ضد المتآمرين والتمردين في الداخل والخارج، وإحياءه العمل بالكتاب والسنّة كما كان على عهد رسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وسعيه الدائم للارتقاء بالأفراد في مدارج الكمالات المعنوية والأخلاقية، ونشره الثقافة الإسلامية الأصيلة التي ترسخ قيم الجهاد والتضحية في الدفاع عن الإسلام وحرماته دون تردد أو خوف منها بلغت التكاليف في هذا السبيل.

وخلاصة القول في هذا الجانب، أن الإمام (عليه السلام) قد أبصر الحق فعمل به كما قال عن نفسه: ما شकكت في الحق مذرأته^(١)، وهو من لا يبالي بمخالفيه مادام على الحق حيث يقول: لا يؤنسنك إلا الحق ولا يوحشنك إلا الباطل^(٢)؛ ولذلك قام بالإصلاحات المطلوبة وهو على بيته من أمره لا يخالجه الشك أو الظن في أنه يسير بهدي من الله وبصيرة إيمانية مدركة للأمور بأنه يقوم بواجبه كما يشير على ذلك في قوله: ألا وقد قطعتم قيد الإسلام، وعطلتم حدوده، وأتمتم أحکامه، ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض، فأما الناكثون فقد قاتلت، وأما القاسطون فقد جاهدت،

(١) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ٢٨٨

(٢) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ٢٦١

وأما المارقة فقد دوخت، وأما شيطان الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجة قلبه، ورجة صدره، وبقت بقية من أهل البغي، ولئن أذن الله في الكراة عليهم لأديلن منهم، إلا ما يتذر في أطراف البلاد تذرًا^(١).

١- التغيير الاجتماعي الجديد (القائد التحويلي)

لقد قاد الإمام ثورة اجتماعية شاملة على الأوضاع السابقة التي كانت تمتهن الإنسان وتحطط من كرامته وتبتعد عن روح الإسلام وتعاليمه، وتحول المجتمع إلى طبقات يتفاصل بعضها على بعض في الشروة والجاه والمنصب، وتمكّن جماعة من الولاة الفاسدين الحكم والسلطان؛ فما كان منه إلا أن أعلنها صرخة مدوية، فكان يقول: «دعني بما أقول رهينة، وأنا به زعيم. إن من صرحت له العبر، عما بين يديه من المثلات، حجزته التقوى عن ت quam الشبهات. ألا وأن بيتك قد عادت كهيئتها يوم بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) والذي بعثه بالحق لتبلبن بلبلة، ولتغربن غربلة، ولتساطن سوط القدر، حتى يعود أسفلكم وأعلاكم أسفلكم، وليس بقى سابقون كانوا قصروا، وليقصرن سباقون كانوا سبقوا»^(٢).

وقام في سبيل ذلك - كما ذكرنا آنفًا - بإصلاحات سياسية واقتصادية طالت جميع مفاصل الدولة، فقام بعزل الولاة السابقين، وساوى في العطاء بين المسلمين، واسترد ما اقتطع من هبات وأراض لبيت مال المسلمين، وقال في ذلك كلمته المشهورة: «والله لو وجدته قد تزوج به

(١) الصالح، نهج البلاغة، ص ٢٩٩-٣٠٠

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٦٨-٦٩

النساء وملك الإمام لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل
فابلجور عليه أضيق»^(١).

كما وأعلن سياسته الجديدة القائمة على الانتصاف للمظلوم ومحاسبة
الظالم وهو يقول: «لم تكن بيعتكم إياي فلتة، وليس أمري وأمركم واحد،
إني أريدكم الله وأنتم تريدوني لأنفسكم. أيها الناس!، أعينوني على أنفسكم،
وايم الله! لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامته، حتى أورده
منهل الحق وإن كان كارها»^(٢).

وكان يقوم بدوره في الوعظ والإرشاد لتزويد من حوله بالتوجيهات
الالزمة للارتقاء بمستوياتهم الإدراكية والاجتماعية حتى لا يقعوا في الشبهات
ويسقطوا في مكائد الشيطان، فيقول (عليه السلام) في ذلك: «شُغل من الجنة
والنار أمامه ساعٍ سريعٍ نجا، وطالب بطيء رجا، ومصر في النار هو.
اليمين والشمال مضلة، والطريق الوسطى هي الجادة، عليها باقي الكتاب
وآثار النبوة، ومنها منفذ السنة، وإليها مصير العاقبة»^(٣).

ويتبين من هذا النص وغيره من النصوص المتعددة في المجال التربوي
والأخلاقي للإمام (عليه السلام) سعيه المستمر بتوعية وإرشاد أتباعه حتى
لا يقعوا فريسة للأهواء والشكوك، ويسلكوا بجهلهم طرق أهل البدع
والفساد فيكونوا من حقت عليه الضلال، ويفقدوا دينهم وإيمانهم في مفترق

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٦٧

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٨٤

(٣) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٧٠-٧١

الطرق عندما يشتد الصراع بين الحق والباطل كما كان أمر كل من طلحة والزبير فأصبحوا حرباً على ولی الله ورسوله!

٢- البناء الروحي والأخلاقي للفرد المسلم (القائد المربى)

من الأدوار القيادية البارزة للإمام (عليه السلام) في فترة حكمه هو إعادة إحياء المفاهيم القرآنية وسنة الرسول في حياة المسلمين، وممارسة دوره التربوي كواعظ ومرشد للناس وأصحابه المقربين في مختلف المناسبات، والمواقف، والأحداث الاجتماعية، لتنمية مداركهـم وإمكانياتـهم الروحية والأخلاقية؛ وكانت خطبهـ، وأقوالـهـ، ومراسلاتـهـ تشكل جمعـها ثورة ثقافية وتعلـيمـية ترسم للمجتمع الطريق السالك إلى الله ورضوانـهـ، ومن ذلك قولهـ (عليه السلام): «أيـها الناس انظـروا إلى الدـنيـا نـظرـ الزـاهـديـنـ فيهاـ، الصـادـفـينـ عنـهاـ، فـإـنـهاـ وـالـلـهـ عـمـا قـلـيلـ تـرـبـيلـ الشـاويـ السـاكـنـ، وـتـفـجـعـ المـتـرفـ الآـمـنـ، لاـ يـرـجـعـ ما تـولـىـ مـنـهـ فـأـدـبـرـ، وـلـاـ يـدـرـىـ مـا هـوـ آـتـ مـنـهـ فـيـنـتـظـرـ، سـرـورـهـ مـشـوبـ بـالـحزـنـ، وـجـلدـ الرـجـالـ فـيـهـاـ إـلـىـ الـضـعـفـ وـالـوـهـنـ، فـلـاـ يـغـرـنـكـمـ كـثـرـةـ مـا يـعـجـبـكـمـ فـيـهـاـ، لـقـلـةـ مـا يـصـحـبـكـمـ مـنـهـ»^(١).

وقال (عليه السلام) مخاطباً الناس يذكرهم بالأخرة: «عبد الله زناوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تمحاسبوا وتنفسوا قبل ضيق الخناق وانقادوا قبل عنف السياق، واعلموا أن من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ»^(٢).

(١) عبدهـ، نـهجـ الـبـلـاغـةـ، جـ ١ـ، صـ ٢٢٥ـ

(٢) جـرـدـاقـ، روـائـعـ نـهجـ الـبـلـاغـةـ، صـ ١٧٦ـ

وخطاب الإمام علي (عليه السلام) ابنه الحسن (عليه السلام) وهو يوصيه بالتحلي بصفات العارف والمتذكر في أحوال الدنيا، فقال له: «أحيي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة، وقوه باليقين، ونوره بالحكمة، وذله بذكر الموت، وقرره بالفناء، وبصره فجائع الدنيا، وحذره صولة الدهر، وفحش تقلب الليالي والأيام، وأعرض عليه أخبار الماضين، وذكره بما أصاب من قبلك من الأولين، وسر في ديارهم وآثارهم، فانظر فيما فعلوا، وعما انتقلوا، وأين حلوا وزلوا، فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة، وحلوا دار الغربة، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم، فأصلاح مشواك، ولا تبع آخرتك بدنياك»^(١).

وقال (عليه السلام) عن محاسبة النفس: «من نظر في عيوب نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما فاته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن كابد الأمور عطبر، ومن اقتحم اللجج غرق، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن كثر كلامه كثر خطاؤه، ومن كثر خطاؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعيه، ومن قل ورعيه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار، ومن نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضي بها لنفسه فذلك الأحق بيئنه، والقناعة مال لا ينفذ، ومن أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسir، ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا في ما يعنيه»^(٢).

ومن كلام له (عليه السلام) مع كميل بن زياد في حوارات متعددة عن العلم وقيمة، ومنها قوله: «إن هذه القلوب أوعية فخيرها أو عاهـا. احفظ

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٢٧-٥٢٨

(٢) عبده نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٠٤

عني ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهم مج رعاع أتباع كل ناعق يمليون مع كل ريح، لم يستطعوا بنو العلم فيهتدوا ولم يلجموا إلى ركن وثيق فينجوا. يا كميل: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تفنيه النفقة، والعلم يزكي على الإنفاق، العلم حاكم، والمال محوم عليه»^(١).

وتشير كل النصوص السابقة إلى الاهتمام البالغ والرعاية من قبل الإمام (عليه السلام) للعلم، ونشر الثقافة الإسلامية الأصيلة، وتربيه أتباعه وتهذيبهم بمكارم الأخلاق والأداب الرفيعة، وقيامه بواجبه كقائد رباني في النصح والتأديب لأمته كما أشار لذلك الدور في قوله (عليه السلام): «أيها الناس! إن لي عليكم حقاً، لكم علي حق: فأما حقكم علي فالنصحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا. وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم»^(٢).

٣- إشباع تطلعات الإنسان في الحرية والمساواة (القائد الإنساني)

كان علي (عليه السلام) يتوق لخلق مجتمع حر يتمتع فيه الجميع بحقوقه دون نقصان، ولذلك شن حربه على كل أنواع الفقر الاقتصادي والمعرفي والاجتماعي، وواجه في سبيل ذلك المتفذين والولاة وأصحاب المال لكي يحرر الإنسان من عبودية الحاجة لآخرين، وقال قوله المشهورة: «لا تكونن

(١) الحراني، تحف العقول، ص ١١٧-١١٨

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ١٠٦-١٠٧

عبد غيرك وقد جعلك الله سبحانه حرّاً فما خير خير لا ينال إلا بشر ويسر لا ينال إلا بعسر»^(١).

وكان يشدد الإمام (عليه السلام) على التعامل بالعدل والرحمة والشفقة على الناس بمختلف مشاربهم وعقائدهم، وخاطب مالك الأشتر في عهده إليه، بقوله: «فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك، وشح بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنفاق منها فيما أحببت أو كرهت، وasurer قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاربا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق»^(٢).

ويعلمونا الإمام كيف يجب أن نتعامل مع الإنسان ولو كان مخالف لنا في الدين؛ وذات يوم شاهد الإمام علي (عليه السلام) رجلاً في طريقه وهو يقصد الكوفة. وبعد أن سأله الإمام عن اسمه وقبيلته تبين أنه ليس بمسلم بل هو ذمي، وكان الطريق مشتركاً، وحينما وصل إلى المفترق نحو طريق البصرة، ففوجئ بالإمام ينصرف معه في ذات الطريق. فقال للإمام -ولم يكن يعرفه بعد-: ألم تقل إنك تقصد الكوفة؟ قال الإمام: بلى. فقال الرجل: .. ولكن هذا طريق البصرة، فقال الإمام: قد عرفت. ولكن نبينا أمرنا أن نشيع أصحابنا أربعين خطوة. فقال الرجل: وهل أصبحت صاحبك؟ قال الإمام: نعم .. أنت صاحبي في هذا الطريق. فسأل الإمام عن اسمه فتبين أنه أمير

(١) الأدمي، حكم الإمام علي، ص ٢٥٣-٢٥٤

(٢) عبد نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٧٢

المؤمنين. فأسلم على يديه وقال: والله إنها أخلاق الأنبياء^(١).

وكان الإمام يتحسس آلام الفقراء والمحاجين في مختلف مناطق الدولة الإسلامية، فيقول بلغة وجداً مفعمة بالحب والرعاية الأبوية للجميع: «أَقْنَعْتُ نَفْسِي بِأَنْ يَقُولَ: ((هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ)), وَلَا أَشَارُكُهُمْ مَكَارِهِ الْدَّهْرِ، أَوْ أَكُونُ لَهُمْ أَسْوَةً فِي جَشْوَةِ الْعِيشِ»^(٢). ووصف فلسالته في القيادة قائلاً: «أَلَا وَإِنْ لَكُلَّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَقْتَدِيُ بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلَا وَإِنْ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَا بِطْمَرِيهِ، وَمِنْ طَعْمِهِ بِقَرْصِيهِ، أَلَا وَإِنْكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكُنْ أَعْيُنُنِي بُورْعَةُ وَاجْتِهَادِ، وَعَفَةُ وَسَدَادِ»^(٣).

وفي خطبة له يعبر عن بالغ حزنه وأسفه ل تعرض النساء المسلمات وغيرهن للأذى على أيدي المعتدين، فيقول: «ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعايدة في يتزع حجلها، وقلبها، ورعاها، ما تمنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرین مانال منهم كلام، ولا أريق لهم دم. فلو أن امرأً مسلماً مات من بعد هذا ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً»^(٤).

وفي هذا المجال نرى أن الإمام يجسد كل معاني الإنسانية وعظمتها في مشاعره وتفكيره، وهو الذي يتحرك في عبادته وأذكاره، وأعماله وجهاده، ومواعظه وإرشاداته، وأخلاقه وتعاملاته لكي يروي الفقراء واليتامى

(١) المدرسي، أخلاقيات الإمام علي، ج ١، ص ٦٤-٦٥

(٢) عبده نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٦١

(٣) عبده نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٥٩

(٤) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٩٠-٩١

والمحرومين بمحبته وعطفه وحنانه بل ويؤثرهم على نفسه فيقدم لهم خبز
البر واللحم المطبوخ ويكتفي هو بقرص شعير وشربة ماء!

٤- بناء المجتمع الرسالي (القائد المستقبلي)

كانت أحد أهم المقاصد للإمام (عليه السلام) في برنامج حكومته أن يعيد
للإسلام روحه كما كانت أيام رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بحيث ترتفع
النفوس لمستوى التحديات التي تواجه الإسلام في الداخل، ويتمكن كذلك
في تحقيق حكومة العدل التي توفر للناس حقوقهم فيnal كل ظالم جزاءه،
ويعم الخير والسلام في البلاد، ويعبد الله دون أن يشرك به خوفا من حاكم
ولا سلطانا! وأن يعيش جميع الناس آمنين مطمئنين في ظل القانون الإسلامي
كما وعد الله عباده بذلك في كتابه حيث جاء قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
أَمْنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيُسْتَخْلَفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيَمَكِّنَ لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي أرْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ
أَمَّا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

وكان الإمام يحرق رغبة وشوقا لتحقيق هذا الأمر في ليله ونهاره،
وتحمل في سبيل ذلك المشاق والأحوال، فهو لا ينام ليلاً إذا عرف بجوع
فقير، أو مظلمة محروم، أو حاجة لمعوز ولا يستطيع قضاءها حتى إذا أصبح
سعى مسرعا للقيام بخدمته لهؤلاء الناس دون أن يفرق بين مسلم أو ذمي،
أو موالي ومخالف، أو امرأة أو رجل، ولا يرتاح حتى يرى البسمة في وجهه

المحروميين المظلومين. ومن تلك الأخبار، ما جاء في خطاب سودة بنت عماره الهمданية بعد أن دخلت على معاوية وهي تتحدث عن عدل علي (عليه السلام). فقالت: لقد جئته في رجل ولاه على صدقاتنا، فجار علينا. فصادفته قائماً يصلي فلما رأي انقتل من صلاته ثم أقبل علي برأفة ورحمة ورفق وتعطف، وقال: ألاك حاجة؟ قلت نعم فأخبرته بالخبر، فبكى ثم قال: اللهم أنت الشاهد علي وعليهم وأني لم أمرهم بظلم خلقك، ثم أخرج قطعة من جلد فكتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم. قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل ولا تخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلك خير لكم إن كنتم مؤمنين. فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك، والسلام»^(١).

وكان شديداً في محاسبته لولاته، فقد كتب إلى أحد عماله بعدما ظهر من أمره أنه صدر منه ما يخدرش بأمانته ونزاهته، فقال له: أما بعد: «فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته، فقد سخطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك. بلغني أنك جردت الأرض، فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك، فأرفع إلي حسابك، وأعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس»^(٢).

وفي الجانب الآخر للخطاب العلوي، يتضح لنا عمق الأسى والحزن الذي يعانيه الإمام (عليه السلام) لما يحدث بين الحين والآخر من انتهاكات

(١) القزويني، الإمام علي من المهد إلى اللحد، ص ١٥٧

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٥٢

وتعدي على حقوق الناس في ظل حكومته، وكان الإمام (عليه السلام) يكابد تلك الحقيقة المرة التي تتصل بالطبيعة البشرية وهي: أن الأفراد منها كانوا مؤمنين وموالين، فلدى بعضهم ميل للانحراف والفساد عندما يتوافر له الجاه والمنصب والمال! وإن أكثر ما كان (عليه السلام) يغطيه هو إقبال بعض من يشق عليهم على الباطل وابتعادهم عن الحق، كما كشف عن ذلك في كتاب له وهو يخاطب أحد أقاربه بلغة المرتاب، فقال له: «أما بعد: فإني كنت أشركتك في أمانتي، وجعلتك شعاري وبطانتي، ولم يكن رجل من أهلي أوثق منك في نفسي، لمواساتي ومؤازرتني، وأداء الأمانة إلي، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب، والعدو قد حرب، وأمانة الناس قد خزت، وهذه الأمة قد فنكت وشغرت، قلبت لابن عمك ظهر المجن، ففارقته مع المفارقين، وخذلته مع الخاذلين، وختمه مع الخائنين، فلا ابن عمك واسيت، ولا الأمانة أديت»^(١).

وبتعبير أدق، نستطيع القول إن هذا القائد العظيم جاء بطنومحات سياسية واجتماعية تفوق مدارك أهل زمانه، وإنه ابتلي بأمة لا تعطي قيمة لأهل الحق ودعواتهم، وإنما في الغالب الأعم يكون أهلها عبيداً للدنيا وزيتها، كما جاء في وصف الإمام الحسين (عليه السلام) بقوله: «إن الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معاشهم فإذا محسوا بالبلاء قل الديانون»^(٢).

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٥٢-٥٥٣

(٢) الحراني، تحف العقول، ص ١٧٤

٥- قيادة معارك الإيمان ضد قوى التآمر والنفاق الإسلامي (القائد العسكري)

كانت حروب الإمام علي (عليه السلام) علامة فارقة في التاريخ الإسلامي، إذ كشفت عن بوطن الأمور، وسرائر النفوس، وأظهرت للعلن رأيات الصالل والبغى، وأوضحت من هم المؤمنون الثابتون على الحق وميزتهم عن أهل الدنيا وعيده المال والشهوات! وكان علي (عليه السلام) وفي لعنه مع رسول الله (صلى الله عليه وآلـهـ) بما أمره وبما سيحدث له في خلافته: فعن أبي أيوب الأنباري قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآلـهـ) يقول لعلي بن أبي طالب (عليه السلام): تقاتل الناكثين والقاسطين بالطرقات والنهروانات وبالسعفات. قال أبو أيوب: قلت: يا رسول الله مع من نقاتل هؤلاء القوم؟ قال: مع علي بن أبي طالب^(١).

وسائل علي (عليه السلام) بهذه البصيرة حيث يقول: إني لعلى بينة من ربى وبصيرة من ديني ويقين من أمري^(٢)، ولذلك كان عمله وقوله ينبعان من نفس مطمئنة إنه على الحق وغيره على الباطل كما يؤكـد ذلك بقوله: إني على جادة الحق وإنـهمـ لـعـلـيـ مـزـلـةـ الـبـاطـلـ^(٣). وفي ظل هذا اليقين الراسخ الذي يملأ جوانحـهـ، قال لـابـنـ عـبـاسـ: ما ضعفت ولا جـبـتـ، وإنـ مـسـيرـيـ هـذـاـ لـمـثـلـهـ فـلـأـنـقـبـنـ الـبـاطـلـ حتى يخرج الحق من جنبـهـ، ما لي ولـقـرـيـشـ! والله لقد قاتلـهـمـ كـافـرـيـنـ، ولـأـقـاتـلـهـمـ مـفـتوـنـيـنـ، وإنـ لـصـاحـبـهـمـ بـالـأـمـسـ كـمـ أـنـاـ صـاحـبـهـمـ الـيـوـمـ^(٤).

(١) الفيروز آبادي، فضائل الخمسة، ج ٢، ص ٣٥٨-٣٥٩

(٢) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ٨٥

(٣) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ٨٥

(٤) جرداق، روائع نهج البلاغة، ص ١٠٥

وكان معارك التأويل حتمية تاريخية وضرورة منطقية لإعادة الأمور لنصابها، وليرجع الإسلام غضاً جديداً كما جاء على يد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وقد خاطب أمير المؤمنين القوم بذلك الأمر وهو يقول: «ألا وإن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، والذي بعثه بالحق لتبلبن بلبلة، وتغربلن غربلة، ولتساطن سوط القدر، حتى يعود أسفلكم وأعلاكم أسفلكم، وليس بمن ساقون كانوا قصروا، وليقصرن سباقون كانوا سبقو. والله ما كتمت وشمة، ولا كذبت كذبة، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم»^(١).

وجاءت الأيام وتحققت كلمات الإمام فقد قامت الدنيا في وجه الإمام من كل حدب وصوب يريدون أن يصدوا الناس عن طريق الحق والإيمان بذرائع دينية وسياسية مختلفة، وكانت وسائلهم نافذة في نفوس المتعلمين والمترسلين واستطاعوا أن يحشدوا الآلاف من الرجال لقتال علي حتى يتسرى لهم الملك والأمر، ولكنهم اصطدموا مع رجل الحق العنيد الذي يقول بلغة القوي الثابت على خط الإيمان والتوحيد: ألا وإن الشيطان قد جمع حزبه، واستجلب خيله ورجله، وإن معي بصيري ما لبست على نفسي، ولا لبس على. وأيم والله لأفترطن لهم حوضاً أنا ماتحه لا يصدرون عنه ولا يعودون إليه^(٢).

لقد كانت الدنيا تموج بالفتنة في البصرة والشام وفي داخل جيش الإمام، وكان الإمام يكشف لأنصاره ومحبيه ما هو عليه من الحق، فقال: والله ما

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٦٨-٦٩

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٦٤

قتل أهل هذه الآية منذ نزلت: ﴿وَإِنْ نَكُثُوا إِيمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتَلُوا أَئِمَّةَ الْكُفَّارِ إِنَّهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَبَيَّنُونَ﴾، وقال: «عهد إلى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين»^(١). وفي كلام له عن صدق الحق الذي يطالب به، كان يقول: «ولقد
قبض رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وإن رأسه لعلى صدره، ولقد سالت
نفسه في كفي فأمرتها على وجهي، ولقد وليت غسله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)
والملائكة أعناني، فضجت الدار والأفنيه، ملأ يبط، وملأ يرجم، وما فارقت
سمعي هينمة منهم، يصلون عليه، حتى واريناه في ضريحه، فمن ذا أحق به
مني حياً وميتاً؟ فأنفذوا على بصائركم، ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم،
فو الذي لا إله إلا هو إني لعلى جادة الحق، وإنهم لعلى مزلة الباطل، أقول ما
تسمعون، واستغفر الله لي ولكم»^(٢).

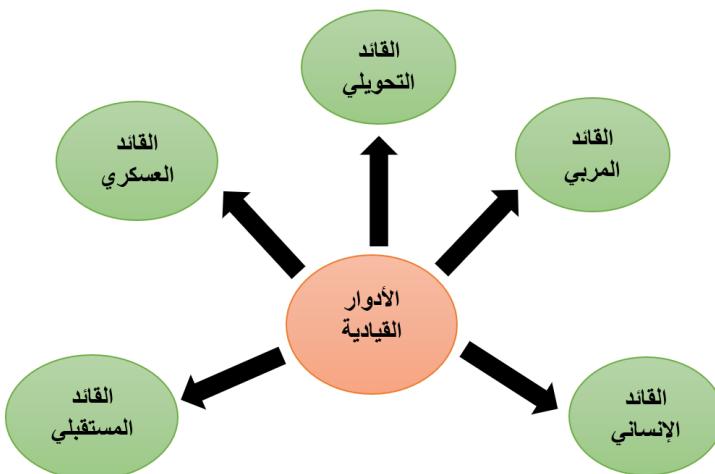
وفي معارك التأويل أدى الإمام علي (عليه السلام) تكليفه الإلهي على أتم
وجه وأقام الحجة على الجميع، ورسم بجهاده ومناهضته لأحزاب الفتنة
والضلال طريقة للحق قد أوصى الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عماراً وغيره
باتباعه، فقال له: «يا عمار تقتلك الفئة الباغية وأنت ذاك مع الحق والحق
معك، يا عمار إذا رأيت علياً سلك وادياً سلك الناس وادياً غيره فاسلك
مع علي، فإنه لن يدخلك في سدي ولن يخرجك من هدي»^(٣).

(١) أيوب، معلم الفتن، ج ١، ص ٥٣١

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٢٤ - ٤٢٥

(٣) الفيروزآبادي، ج ٢، ص ٣٩٨

والخلاصة في هذا الأمر، نستطيع القول بأن حروب الإمام علي (عليه السلام) الثلاثة كان لها دور تاريخي بارز في كشف خطوط المؤامرة التي تعرض إليها الإسلام منذ أحداث السقيفة، والتي أسست للفكر الاجتهادي مقابل النص، وفسحت المجال للطلقاء وال المسلمين الجدد منبني أمية للتمرکز في مفاصل الدولة، وشرعت لأمراء الحرب الجدد أن يصبحوا في الصفة الأمامية للسرقة والإثراء غير المشروع؛ فجاء علي (عليه السلام) ليneathض من جديد بالإصلاح وكانت المواجهة الحتمية مع الناكثين والقاسطين والمارقين والتي تحدث الإمام عنها في قوله: «فَلِمَ نهضت بالأُمر، نكثت طائفة ومرقت أخرى، وقسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: ﴿تُلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بل والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حللت الدنيا في أعينهم وراقبهم زبرجهما»^(١). ويمكن بيان الأدوار القيادية التي مارسها الإمام علي في فترة حكمه على النحو التالي:



شكل (٤) الأدوار القيادية للإمام علي (عليه السلام)

رابعاً. المقارنة بين أدوار القائد عند الإمام علي والنظريات الحديثة

كان الإمام (عليه السلام) كقائد يلتقي مع غيره من القيادات البشرية في بعض الخصائص، ولكنه يفارقها في الكثير من الجوانب؛ لكونه إماماً معصوماً يسدد بالإلهام من قبل الله سبحانه في كل صغيرة وكبيرة، ولا يقع في هفوات غيره من القادة أو ينتابه العجز والقصور في إدراك الأمور والحقائق فيقع فريسة للظنون والأهواء (إني لعلى بينة من ربِّي وبصيرة من ديني ويقين من أمري)^(١).

ومن تلك المواقفات بين الإمام (عليه السلام) وغيره من أصحاب النظريات الأخرى؛ فقد كان الإمام (عليه السلام) قائداً تحويلياً يمارس دوره في التأثير على أتباعه ويجتمعهم على رؤية مشتركة، ويوفر الرعاية والاهتمام باحتياجاتهم المختلفة، ويحفزهم على العمل ليسلك بهم الطريق لإنجاز مشروعه الإصلاحي الكبير في تأسيس المجتمع الإسلامي المثالى.

وكان الإمام (عليه السلام) قائداً قيمياً وهو يبحث عن المعانى الرفيعة في الحياة، ويمارس التأمل الذاتي، وينفتح على أصحابه ليشاركونه فيما يرآه ويعتقدونه في الأمور التي تتصل بأمور دنياهם، ويستمع إليهم ليعرف احتياجاتهم، ويقودهم إلى كل خير وكأنه واحد منهم، فلا يتميز عنهم في مجلسه كما يقول عنه أصحابه!

ومارس الإمام القيادة الأصليلة بمعانيها الواسعة وهو يسعى لزيادة وعيه بنفسه كقائد، وتقديم خدماته لآخرين، ومارسة تأثيره الشخصي في خلق عالم من القيم المحفزة على العمل والإنجاز. وأما في الجانب الروحي فنلمس السعي

(١) الأدمي، حكم الإمام علي، ص ٨٥

لتحقيق الخلاص الروحي للأصحاب عن طريق ربطهم بأهداف كبرى في حياتهم، وتكوين علاقات قائمة على أواصر المحبة والمودة، وتوفير الرعاية والاهتمام لمشكلاتهم وقضاء حاجاتهم، وتشجيعهم وتحفيزهم على التقوى والترحم والتكافل في جميع الأوقات. وكان الإمام (عليه السلام) كقائد خادم يهتم بقضاء حاجات أصحابه ويسعى لخدمتهم، ويحترم صغيرهم وكبيرهم، ويستمع لمختلف آرائهم، ويدفع كل حيف وتعذّر عن مظلومهم، ويبادر فوراً في حل مشكلاتهم.

وجه الاتفاق مع الممارسات العلوية في القيادة	النظرية
وجود القائد الذي يمتلك السلطة المعرفية، ولديه قوة التأثير الذاتي على الأتباع، فيستطيع أن يوجه مشاعرهم وعواطفهم وإرادتهم عن طريق التحفيز، والإقناع، والتعاطف نحو العمل معه باجتهاد وإخلاص لتحقيق الهدف المطلوب.	النظرية التحويلية
التأمل الذاتي، وتطبيق التوازن في الحياة بالتعرف على وجهات النظر الأخرى، والثقة العالية بالنفس، والبحث عن تحقيق غاية أسمى في حياته، والتمسك بالتواضع في عمله وعلاقاته مع الآخرين.	نظريّة القيادة بالقيم
تطوير وعيه لنفسه كقائد، وسعيه لخدمة الآخرين، والعمل على تطوير قدراته، وممارسة تأثيره على الآخرين وخلق عالم من القيم المحفزة على العمل والإنجاز.	نظريّة القيادة الأصلية
تلبية نداء الواجب، والتيقظ الروحي، والسعى للخلاص الروحي عن طريق الإيمان بأهداف كبرى في هذه الحياة، وتكوين رابطة بين القائد وأتباعه من أجل توفير الدعم الروحي للعمل معاً وتكوين علاقات المحبة والرعاية والاهتمام بعضهم بعض مما يعكس إيجابياً على أدائهم وسلوكهم في العمل.	النظرية الروحية في القيادة

التركيز على حاجات الآتى ومساعدتهم لكي يكونوا أكثر معرفة ووعيا، وحرية، واستقلالية، والاهتمام بالمحاجين من العاملين ورفع الحيف والظلم عنهم إن وجد، وإشراكهم في القيادة عن طريق الاستماع، والتعاطف، والقبول غير المشروط للآخرين.	نظريّة القيادة الخادمة
---	------------------------

جدول (٢) أدوار القائد عند علي (عليه السلام) والنظريات الوضعية

- الفصل الرابع -

نظريّة القيادة المسؤولّة عند
الإمام علي (عليه السلام)

يفترق الإمام علي (عليه السلام) في طبيعة عمله القيادي عن القادة العظماء من البشر في أنه قائد رباني مسدد من السماء، ويمتلك كل الكمالات الأخلاقية والعقلية والنفسية بما لا يقاس به أحد من القيادات البشرية الأخرى. ومن ثم يجب النظر لقيادته عليه الصلاة والسلام من منظور الأمانة والمسؤولية التي كلفه بها رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)-Responsibility، وهو أن القيادة عند الإمام (عليه السلام) تتضمن مجموعة من التكاليف والمسؤوليات الإلهية التي تتجاوز تحقيق الأغراض المادية الشخصية، أو تحقيق الانتصارات العسكرية، أو الحصول على المكاسب الاجتماعية والسياسية! بل كانت الأولويات الأساسية في حكم الإمام تتلخص في: إعادة إحياء القيم والمبادئ الإسلامية لمعالجة النواقص والأخطاء السابقة، والانتصار للمظلومين واسترجاع حقوقهم، وتحقيق الحاكمية للإسلام في كل جانب من حياة المسلمين؛ وهو ما عبر عنه الإمام (عليه السلام) في إحدى خطبه وهو يقول: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ولا التماس من فضول الخطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فیأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك»^(١).

أولاً- القيادة المسؤولة

وفي عصرنا الحاضر يطرح أهل العلم والخبرة مصطلح القيادة المسؤولة، والتي تعبر عن الالتزام والتعهد الأخلاقي والأدبي للقائد للقيام بأداء واجباته وتحمل مسؤولياته في عمله، والاطلاع بأدواره المتنوعة في قيادة المؤسسة عن

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٧٨

طريق التزامه بمجموعة من القيم والفضائل الخلقية فضلاً عن تمكّنه من إتقان الأساليب الإدارية والقيادية الفعالة التي تعكس على أداء العاملين معه وتشير الدافعية فيهم لتحقيق معدلات عالية في الإنجاز وتساهم في تحسين سمعة المؤسسة في السوق، وبناء الثقة بين المؤسسة وأصحاب المصلحة، وارتفاع نسبة المنافسة لديها في السوق المحلي أو العالمي.

١- التعريف اللغوي والاصطلاحي للمسؤولية

وُعرف مفردة المسؤولية لغويًا (Responsibility) (بوجه عام) حال أو صفة من يسأل، أمر تقع عليه تبعته، يقال: أنا بريء من مسؤولية هذا العمل، وتطلق أخلاقياً على التزام الشخص بما يصدر عنه قوله أو عملاً، وقانونياً على الالتزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقاً للقانون^(١). وأما في الاصطلاح فقد جاء في المعجم الفلسفى: المسؤولية هي التبعية، والمسؤول من الرجال هو المنوط به عمل تقع عليه تبعته ويشترط في المسؤولية الحقيقة أن يكون هناك قانون يأمر بالفعل أو الترک وأن تكون مخالفة المرء لما يأمر به القانون صادرة عن إرادته^(٢).

وتنقسم المسؤولية إلى ثلاثة أنواع: عامة (مدنية)، وأخلاقية، وقانونية؛ ففي الحالة الأولى يسأل المرء عن أمر صدر عنه بخصوص من تحت رعايته كالأسرة أو الإدارة أو الوزارة، أما النوع الثاني فهو يتعلق بشعور الإنسان بالتزامه أخلاقياً بنتائج أعماله فيحاسب عليها، وأما القانوني منها فهو يتعلق

(١) أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٤١١

(٢) صليلي، المعجم الفلسفى، ج ٢، ص ٣٦٩

بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقاً للقانون. ويقصد بالمسؤولية الأخلاقية: أهلية العاقل للجزاء على أفعاله الاختيارية، فهي تفترض القدرة على الاختيار، وعلى ذلك فالأفعال الضرورية أو القهريّة لا تستوجب أي مسؤولية حيث تفترض المسؤولية الأخلاقية العقل والروية فمن فقد هما فلا مسؤولية عليه^(١).

ويطلق بالتحديد اصطلاح الشعور بالمسؤولية Responsibility على إدراك الفاعل لقيمة عمله، وعزمّه على الإطلاع به، ولهذا الشعور جانبان: أحدهما متعلق بالماضي وهو شعور المرء بالأخطاء التي ارتكبها في بعض مراحل حياته، والآخر يتعلق بالمستقبل، وهو شعور المرء بوجوب اطلاعه بعض الأعمال المتطرفة وأقدامه على تحصيل بعض النتائج المرجوة^(٢).

٢- نظرية القيادة المسؤولة

يتم التركيز في القيادة المسؤولة في التغلب على الفجوات في نظرية القيادة وممارستها؛ إذ يتم توجيهه عمل القيادة نحو قضايا المسؤولية، وصناعة القرار الأخلاقي، وبناء الثقة. وتعرف المسؤولية في القيادة نظرياً على أنها ظاهرة أخلاقية، تنتج عن التفاعلات الاجتماعية بين الأشخاص الذين هم يمارسون القيادة والآخرين الذين يتاثرون بسلوك القيادة ويكون لهم بذلك نصيب في تشكيل الرؤية والغرض من العلاقات بين القائد ومن حوله^(٣). ويمكن

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفى، ص ١٨١-١٨٢

(٢) صليبا، المعجم الفلسفى، ج ٢، ص ٣٧٠

(٣) Pless & Maak, Responsible Leadership: Pathways to the Future, PP 4

أن نفهم أن القيادة المسؤولة هي القيادة التي ترتكز على مجموعة من القيم والمبادئ الأخلاقية التي ترتبط بعلاقات بين القائد والذين معه لتكوين معنى ومقصداً مشتركاً يساعد على رفع مستوى كفاءة بعضهم البعض والذى يؤدى بدوره إلى الالتزام بقيم جديدة وإحداث تغير اجتماعي نوعي في الكيان الاجتماعي الذي يضمهم^(١).

٣- القيادة المسؤولة في النظرية الغربية

من هنا، يمكن تعريف القائد المسؤول بأنه الشخص قادر على الجمع بين فكري الفعالية في الأداء مع تحمل مسؤولية الشراكة مع الآخرين عن طريق ممارسة التابعية النشطة وتفعيتها في داخل الجماعة وخارجها^(٢)، والقائد المسؤول هو من يستخدم السلطة من أجل تعريف الجماعة بالأهداف الأخلاقية التي يجب السعي إليها وتحديد السبل لتحقيقها، والتحفيز للعمل على الالتزام بالقيم المضمنة فيها^(٣). وأما بالنسبة للأبعاد التي تبرز القيادة المسؤولة في عملها فتتضمن:

* **القيم الشخصية للقيادة:** والتي تعبر عن التوجهات الشخصية لممارسات القائد في العمل، وال العلاقات، واتخاذ القرار.

* **تحمل القيادة المسؤولة:** وهو العمل بأركانها الأساسية في تحديد المسؤوليات، والشخص المسؤول، و موضوع المسؤولية، والأدوات والوسائل

Pless & Maak, Responsible Leadership: Pathways to the Future, PP 5 (١)

Pless & Maak, Responsible Leadership: Pathways to the Future, PP 5 (٢)

Stuckelberger, Responsible Leadership Handbook, PP 11 (٣)

المستخدمة للتنفيذ، والمدة التي يتم فيها ممارسة المسؤولية.

* **القيادة العادلة والمنصفة:** العدالة والمساواة لدى القيادة في توجيه الموارد، والإمكانات، واستخدام السلطة، والتعامل مع مختلف القضايا الفنية والإنسانية في داخل المؤسسة بروح العدالة والإنصاف مع الجميع وفي جميع المجالات دون استثناء.

* **التضامن مع الأتباع:** وهو التعاطف والترابط مع الآخرين، بحيث يشعر العاملون أن هناك من يهتم بأمورهم، ويستمع لتساؤلاتهم ومقترناتهم، ويسهم في حل مشكلاتهم الفنية والإنسانية.

* **الثقة المتبادلة:** يتم بناء الثقة بين القائد وأتباعه عن طريق سيرته وسلوكيه النزيه، وصدق وعوده، وتنفيذ شعاراته، والثبات على مبادئه وسياساته، وعدم تمييزه في تنفيذ القانون مع الأفراد، واتباع نهج واضح في إدارته و سياسته في التعامل مع القضايا داخل المؤسسة وخارجها.

* **الشفافية لدى القيادة:** وهي وضوح القائد في سياساته ومبادئه وتوقعاته، والابتعاد عن التكتم عن الحقائق التي تتصل بمصالح الأفراد في مؤسسته، ومصارحة المسؤولين والأفراد عن مستويات الأداء والجوانب التي تحتاج إلى تعديل أو تطوير، ومصارحة الجميع باهتماماته وتطلعاته المستقبلية بالنسبة إلى المؤسسة والعمل فيها.

* **الفضائل الخلقية:** تقوم القيادة المسؤولة على مجموعة من القيم والفضائل، والفضائل هي اتجاهات وسلوكيات شخصية وفقاً للسلم

القيمي الذي يلتزم به في تعاملاته مع الآخرين، وأما الفضائل التي تميز القائد المسؤول فإنها تتضمن: النزاهة، والتواضع، وخدمة الآخرين، والتعاضد والتكافل، والحلم والصفح، والتعاطف، والإخلاص، والتعقل، والشجاعة الأخلاقية.

* **القيادة الروحية:** ويتضمن هذا الجانب من القيادة التعامل مع المعتقدات والقيم الداخلية للإنسان والتي ترتبط بالبعد الغيبي في هذه الحياة والعلاقة مع الخالق، ويؤدي الجانب الروحي دوراً كبيراً في حياة الإنسان الشخصية وتعاملاته مع الآخرين كما وتنعكس المعتقدات الروحية على الأفراد في الالتزام الأخلاقي، والحماسة للتغيير، والقدرة على التسامح، وإقامة العلاقات الجيدة مع الآخرين في العمل^(١).

ونخلص مما سبق من حديث على القول بأن: القيادة المسؤولة هي تلك القيادة التي تتمتع بشخصية أخلاقية مؤثرة وتحمل مسؤولياتها في قيادة الجماعة لتحقيق أهدافها، وهي مرتكزة في ممارستها على مجموعة من القيم والمبادئ الأخلاقية التي تؤمن بها؛ ويبرز أثر هذه القيادة على سلوك الأفراد في تحقيق معدلات أفضل للأداء، والارتقاء بمستوى الالتزام الأخلاقي لكل فرد، والتعاون معاً في تثبيت نظام أخلاقي على أرض الواقع للجماعة تمييز به دون غيرها من الجماعات المنافسة.

ثانياً- نظرية القيادة المسؤولة عند الإمام علي (عليه السلام)

إذا أردنا أن نتحدث عن الإمام علي (عليه السلام) كقائد أخلاقي مسؤول،

فإن ما أوضحته الشواهد السابقة التي حفلت بها سيرته المباركة في أقواله، وأفعاله، وموافقه، وقراراته ما يؤكد على أن الإمام كان نموذجاً مثالياً للقيادة المسؤولة، وقد نمت قوah الجسدية والروحية والعقلية في هذا الاتجاه، فكان في كل معارك الإسلام هو من يتحمل المسؤولة ويبادر بتنفيذ المهام الصعبة أو مواجهة المقاتلين الأشداء، يقول (عليه السلام) عن ذلك الأمر: «ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، إني لم أرد على الله، ولا على رسوله، ساعة قط، ولقد واسيته بنفسه في المواطن التي تنقص فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام، نجدة أكرمني الله بها»^(١).

ولقد استوعب الإمام (عليه السلام) - كقائد مسؤول - بفكره المنفتح وروحه الشفافة الإسلام على أنه رسالة لخدمة الإنسان والارتقاء بعقله وعواطفه ومشاعره نحو الله، ففي الوقت الذي نرى فيه شخصية العابد والعاشق لله نشاهد في الوقت نفسه المحسن لآلام الناس و حاجاتهم، والقائم بدور الرعاية الأبوية للجميع حتى قبل أن تأتيه الخلافة! فكانت كلمات رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن المسؤولية الاجتماعية لا تفارقه ويسمع بها صدى حديثه لل المسلمين وهو يقول للMuslimين: ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالامير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم^(٢).

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٢٤

(٢) الريشهري، ميزان الحكم، ج ٤، ص ١٦٢٧

وإذا دققنا في سيرة الإمام (عليه السلام) لوجدنا أنها حياة لقائد تتجسد فيه كل معاني المسؤولية من الناحية المدنية، والأخلاقية، والقانونية، وإن هذا القائد كان في كل المواقف الاجتماعية والسياسية التي عاصرها يسجل بطولات وما ثر عن شجاعته، وعدله، وحكمته، وحلمه، وكرمه، ورعايته للأمة، ودفاعه عن حقوق المحرّمين والمستضعفين؛ وهذا بدوره يؤكّد الحقيقة الناصعة بأن الإمام علي (عليه السلام) كان فعلاً وقولاً أعظم قائد بعد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في تحمله للمسؤوليات الحسام، وتسخير وقته وطاقاته وإمكاناته في إعلاء كلمة الله في الأرض، ومحاربة كل أنواع الفساد والظلم الاجتماعي السياسي الذي كانت تعاني منه الأمة في ذلك الوقت.

ويمكن القول، بأن القيادة المسؤولة عند الإمام (عليه السلام) تتركز على مجموعة المبادئ والمثل الأخلاقية كالعدل والإنصاف، والتواضع والزهد، والشجاعة في الحق، والصفح والحلم، والتعاطف والمحبة، والاستقامة والثبات على الحق وغيرها من الفضائل الجمة والتي كانت توجه سلوكه القيادي؛ وكانت هذه المبادئ والمثل تحرك فيه الدوافع الروحية والأخلاقية للمبادرة في التصدي لكل أنواع الأخطاء والانحرافات السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في زمانه، وتدفعه للقيام بالتخاذل القرارات اللازمة للتعامل معها وفقاً لأخلاقيات القرآن والسنة، وتحفظه على تفيذهما في السلم أو الحرب دون تلاؤ أو تردد مراعياً في ذلك المصلحة العامة للإسلام وتحقيق الوحدة الإسلامية، وتميز القيادة المسؤولة عند الإمام علي (عليه السلام) بما يأتي:

تركز في الأساس على معالجة الأخطاء والتصدي للانحرافات السياسية والاجتماعية بمختلف مظاهرها وعنوانها، لأنه لا يمكن لأمة أن تنهض

ما لم يعالج الفساد الداخلي في أفرادها ومؤسساتها الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

تسعى لإقامة مجتمع رسالي يؤمن ويلتزم بقيم الإسلام ومبادئه وأحكامه، ويشارك مع قياداته في خوض معركة التغيير المطلوبة في ساحات الجهاد المختلفة: العسكرية والسياسية والاجتماعية حتى يمكن تطهير المجتمع من كل مظاهر الفساد، واستبداله بالمجتمع الإسلامي الأصيل الذي تحقق في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله.

تنمي في أتباعها روح الولاء والانتماء للقيادة الربانية على المستوى البعيد، وتعمل على تأصيل روابط المحبة والتآخي بين أفراد الجماعة المؤمنة بحيث يسعى كل فرد -مسؤول من الناحية الأخلاقية والاجتماعية- إلى حماية مشروع الخلافة الإسلامية، والعمل بإخلاص في أداء مهامه وتكاليفه الشرعية، والالتزام بمسؤولياته تجاه دينه وإمامه وجماعته.

ثالثاً- نموذج القيادة المسؤولة عند الإمام علي (عليه السلام)

يتضمن نموذج القيادة مجموعة من النظريات أو الأفكار في الكيفية التي تتم بها عملية القيادة بفعالية في الموقف أو الحدث الاجتماعي، ويقصد بذلك الطريقة التي يمكن أن يعمل بها القائد بصورة أفضل؛ ويمكن النظر إلى النموذج القيادي على أنه نسق أو نظام معين يشتمل على مجموعة من الأفعال، وأنه يتبع منطق خاص أو يستند لإطار مرجعي يمكن عن طريقه ممارسة القيادة أو تدريسها^(١).

وتصنف Simpson (٢٠١٢) في كتابها نماذج القيادة التي يعتمدتها القادة الإداريون والسياسيون وغيرهم في تدبير شؤون الجماعة على النحو التالي:

* **النموذج السلوكي:** والذي يتعلق بسلوكيات القائد وأثرها على أداء الجماعة كالشبكة الإدارية لبليك وموتن (١٩٦٤) من حيث اهتمام المدير بالناس أو الإنتاج والذي ينتج عنه أربعة أنواع من القادة: قائد الفريق، القائد الاجتماعي، القائد اللامبالي، القائد التقليدي، والقائد الدكتاتور.

* **النموذج الوظيفي:** ويتم التركيز في هذا النموذج على الوظائف التي يجب على القائد القيام بها لتحقيق نتائج نوعية على مستوى الأداء والعلاقات في مؤسسته، ويتضمن ذلك نموذج كوزسنس وبوسنر (٢٠٠٢) عن الممارسات الإدارية الخمس: رسم الطريق، وتمكين العاملين، والمخاطرة وتجريب الأفكار الجديدة، وتحفيز العاملين ومكافأتهم على الإنجاز، ونموذج جون أدير عن المهام الثلاث الأساسية للقائد وهي: إنجاز المهمة، وبناء الفريق، وتطوير الأفراد.

* **النموذج التكاملـي:** وينظر للقيادة في هذا النموذج على أنها تعمل على ثلاثة مستويات عامة، وخاصة، وشخصية؛ ففي المستوى الخارجي يقوم القائد بالتعامل مع الجماعة أو التعامل مع الأفراد بصورة خاصة. أو في المستوى الشخصي فيعمل القائد على تطوير مهاراته و المعارفه وتنمية اتجاهاته.

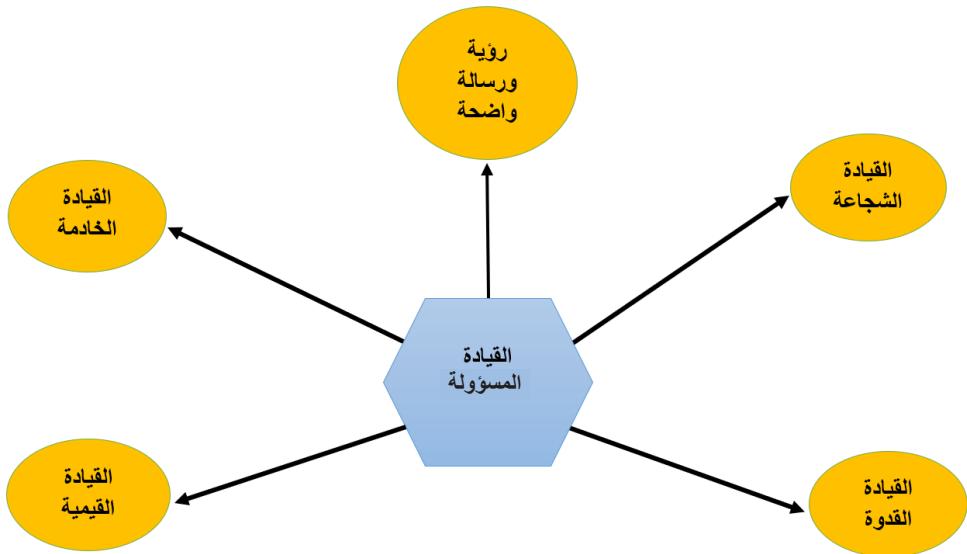
* **النموذج الموقفي:** يقوم القائد فيه على اختيار الأسلوب القيادي وفقاً لمتطلبات الموقف الذي يرتبط بالمهمة، والأفراد، وسلطته الإدارية. وتتنوع أدواره من حيث التوجيه، والمشاركة، أو التفويض؛ وكذلك من حيث ما يرتبط بعمله على المستوى التنظيمي، السياسي، والإنساني، والرمزي لعمله

كقائد. واستخدامه للأساليب المختلفة في اتخاذ القرار من حيث الاستقلالية أو مشاركة الآخرين أو الاستشارة.

* **النموذج الصفافي:** ويكون الحديث عن الصفات التي يمتلكها القائد والتي تساعد على انجاز مهماته بنجاح من النواحي العقلية، والأخلاقية، والاجتماعية، والإدارية كما جاء في نموذج كوزسنس وبوسنر (٢٠٠٢)، ونظرية جالتون، ونظرية ستوجدل.

وإذا دققنا النظر في هذه النماذج الوضعية، فسنرى أنها تعكس تجارب الإنسان وخبراته التي تراكمت عبر السنين فيما يصلح وما لا يصلح في أمر القيادة، أو أنها تمثل أحداً ومواقف منها أصحابها ففكروا فيها فأوصوا بهذا أو ذاك بخصوص العمل والتدبير في شؤون الحكم والإدارة كما جاء في كتاب ميكافيلي، أو أنها ملاحظات ومراقبات لعلماء متخصصين في علم الإدارة والقيادة فاستخلصوا لنا ما فقهوا عن هذا الأمر، ولذلك كانت أعمالهم هي من وحي بيتهم وما أملته عليهم نظرياتهم فيما يقولون عن صفات وسلوكيات القيادة؛ ولكن ما أبرزه الإمام (عليه السلام) في سيرته القيادية من حكمة، وفضيلة، وشجاعة وما جسده من مبادئ ومثل عليا تصلح أن تكون نموذجا عالميا في القيادة يلبي احتياجات البشرية اليوم للقيادة بالقيم والأخلاق في كل زمان ومكان.

ومن متابعتنا لسيرة الإمام (عليه السلام) القيادية والرسالية، وجدنا أن نموذجه في القيادة يرتكز على مجموعة من القيم، والأخلاقيات، والمبادئ التي ترسم للإمام طريقه ومنهجه في القيادة وهي على النحو التالي:



شكل (٥) النموذج الأخلاقي للقيادة المسؤولة عند الإمام علي (عليه السلام)

١- القيادة تمتلك رؤية ورسالة واضحة Leadership Vision & Mission

إن القيادات العظيمة التي تركت آثارها في التاريخ الإنساني واستطاعت أن تغير مجرى الأحداث من حولها هي تلك القيادات التي كانت تمتلك الغرض الأسماى لما ت يريد تحقيقه، والقناعة الفكرية التامة لمشروعية هذا المسعى، والرؤية الواضحة والمركزة لما يجب القيام به، والقدرة الخاصة على إلهام الآخرين الإيمان بدعوتها، ومارسة التأثير الشخصي عليهم وقادتهم نحو تحقيق الغاية المنشودة^(١)، وعن طريق قراءتنا المتدررة لسيرة الإمام وحياته الرسالية والقيادية نجد ما يؤكد على امتلاك الإمام لرؤية ورسالة واضحة في طريقة إدارته للأمور، وقادته لحروبها، وتعامله مع الآخرين.

فالإمام (عليه السلام) جاء في فترة خاصة قد التبس فيها الأمور، وكثرت فيها الاجتهادات والتأويلات لمفهوم الحكم الإسلامي، وصلاحيات الخليفة، وطرق توزيع المال، والوضع القانوني والحقوقي لمختلف فئات المجتمع؛ وكانت رؤية الإمام الإصلاحية واضحة ليس فيها لبس ولا غموض حيث أعلنتها صراحة ثم طبّقها وهو يقول: «أيها الناس، إنما رجل منكم، ولي ما لكم، وعلى ما عليكم، ألا عن كل قطعة اقتطعها عثمان، وكل مال أعطاهم من مال الله، فهو مردود في بيت المال فإن الحق قد لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء وملك الإماماء وفرق في البلدان لردهته. فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق. أيها الناس، ألا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيل واتخذوا الوصائف المرقة إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرّتْهم إلى حقوقهم التي يعملون: حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا! ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار يرى أن الفضل له على سواه لصاحبته، فإن الفضل عند الله، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية ولا فضل فيه لأحد على أحد»^(١).

وكانت رسالته في الحياة السعي الدائم لإعادة الإسلام الأصيل للحياة من جديد، لتكون كلمة الله هي العليا ويكون القول الفصل فيه للقرآن والسنة دون الاعتماد على الاجتهادات الشخصية أو ما ابتدعه بعضهم من طرق لإمساء حكمه. وقد كانت سيرة الإمام علي تطبقاً عملياً لهذه الرؤية قبل أن يباع بالخلافة كما جاء في موقفه مع عبد الرحمن بن عوف في مجلس

الشوري، وبعدهما بoyer بها في مخاطبته لطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وغيرهما حينما ناقشو في قضايا الحكم وتوزيع المال.

٢- القيادة تتمتع بالشجاعة Leadership Courage

لا يكفي عند الإمام أن يمتلك القائد رؤية إصلاحية ورسالة واضحة عن القيم والمبادئ التي يؤمن بها في قيادة الأمور، بل يجب أن يقرن ذلك بالشجاعة الأخلاقية والسياسية والعسكرية التي تمكّنه من تحويل تطلعاته وأهدافه إلى واقع عملي ينعم فيه الجميع بالعدل والإنصاف، ويكون الحاكم في المقدمة لمارعة أهل الظلم والعدوان، ويقوم هو شخصياً بتنفيذ القانون على نفسه وعلى أهله وذويه دون تردد ولا محاباة، ولنا في قصته مع أخيه عقيل ما يبين لنا ذلك في أوضح صورة لنموذج الحاكم العادل حتى في أبسط الأمور وأصغرها حيث يقول: والله لقد رأيت عقيلاً، وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً، ورأيت صبيانه شعت الشعور، غبر الألوان من فقرهم، كانوا سودت وجوههم بالظلم، وعاودني مؤكداً وكرر علي القول مردداً، فأصغيت له سمعي، فظن أني أبغى ديني، وأتبّع قياده مفارق طريقي، فأحmitt له حديدة، ثم أدنتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي ذنف من ألمها، وكاد يحترق من ميسماها، فقلت له: ثكلتك الشواكل يا عقيلاً! أتئن من حديدة أحماها إنساناً للعبه، وتجربني إلى نار سجراً جبار لغضبه؟! أتئن من الأدى ولا أتئن من لظى؟!^(١)

وفي المواقف التي يتزدّد فيها الأبطال عند المواجهة، يبرز على لمبارزة الأبطال كما حدث في معركة الخندق حين برز على لعمرو بن ود العامری

(١) عبده، نهج البلاغة، ح ٢، ص ٤٦٧ - ٤٦٨

فتغلب على عدوه وأرداه صريعا، حتى قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عن ذلك الموقف: لم يbarزه علي بن أبي طالب (عليه السلام) لعمرو بن ودي يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيمة^(١).

ومن مظاهر شجاعته تنفيذ حكم الإسلام في شارب الخمر حين امتنع باقي الصحابة عن معاقبته خشية من الخليفة؛ لأنَّه قريبه، وتقدم علي (عليه السلام) فقال له: دفعت الشهود وأبطلت الحدود. وأشار عليه الإمام باستدعائه ليحضر ويمثل أمام الشهود، فإن لم يدل بحجة يقام عليه الحد. ولما حضر الوليد وواجهه الشهود بأقوالهم لم يدفع عن نفسه بحجة، فتقدَّم علي (عليه السلام) لإقامة الحد عليه! ولما اعتراض عثمان على ذلك، قال له: يحق لي إقامة الحد، وشر من هذا إنَّه فسوق، وضيع حق الله أن يؤخذ منه^(٢).

وفي ميدان السياسة، استطاع الإمام علي (عليه السلام) بمبادرة الشجاعة أن يخلص المسلمين من فتنة الخوارج والتي قال عنها: «أما بعد أئها الناس، فإني فقلت عين الفتنة، ولم يكن ليجرؤ أحد غيري، بعد أن ماج غيهبها، واشتد كلبها، فأسألوني قبل أن تفقدوني، فو الذي نفسي بيده، لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا أنْباتكم بناعقها وقادها وسائقها، ومناخ ركابها ومحط راحها، ومن يقتل من أهلها قتلا، ومن يموت منهم موتا»^(٣).

(١) الفيروزآبادي، فضائل الخمسة، ص ٣٢٠-٣٢١

(٢) القرشي، موسوعة الإمام أمير المؤمنين، ج ٢، ص ٢٣٢-٢٣٤

(٣) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٢١٠

٣- القيادة بالقدوة Leading by Example

لقد كان الإمام علي (عليه السلام) يرى أن القائد يجب أن يكون مثلاً يقتدي به، فقال (عليه السلام): «من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، ولتكن تأدبه بسيرته، قبل تأدبه بسنته، ومعلم نفسه ومدبه، أحق بالإجلال من معلم الناس ومدبه»^(١). وخطب عثمان بن حنيف عامله على البصرة فقال له: «ألا وإن لكل مأمور إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بظمريه، ومن طعمه بقريصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد»^(٢).

٢٣٢

والإمام (عليه السلام) كان قدوة وأسوة لأصحابه والآخرين في أخلاقه، وشجاعته، وزهرده، وعلمه، وحكمته، وصبره وحلمه، وتحمله للأذى، وكان يقدم الدليل تلو الدليل، ويقيم الحجة بعد الحجة على أنه القائد الأمثل في كل مضمار وميدان من فنون القيادة التي عرفتها البشرية لحد الآن، ويوم اختار الناس من دونه خليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وقف كالطود الشامخ يتحدث عن سمو نفسه ونبيل أخلاقه فقال (عليه السلام): «أما والله لقد تقمصها فلان وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي، ينحدر عني السيل ولا يرقى إلى الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياً يهرم فيها

(١) عبد نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٤٠ - ٦٤١

(٢) عبد نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٥٩

الكبير. ويشيب فيها الصغير، ويکدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه. فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى»^(١).

وقال (عليه السلام) عن نفسه كمثال أعلى في الشجاعة: «ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، إني لم أرد على الله، ولا على رسوله، ساعة قط، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنقص فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام، نجدة أكرمني الله بها»^(٢). ويتحدث الإمام عن محاسبته لنفسه كحاكم مسؤول عن شعبه فيقول: « ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفي هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيئات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعيا إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليهادة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطانا وحولي بطعون غرثى وأكباد حرى»^(٣).

وضرب الإمام (عليه السلام) مثلاً أعلى في التضحية حين بات على فراش رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ليلة عندما قرر الهجرة إلى المدينة معرضاً نفسه للموت المحقق، وقد أنزل فيه الله سبحانه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَوُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٤).

وآخر الإمام التنازل عن حقه في الخلافة تحقيقاً للمصالح العليا للإسلام، وقال في ذلك قوله المشهورة عند مبايعة القوم لعثمان: «لقد علمتم أنّي أحق الناس بها

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٥١

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٢٤

(٣) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٦٠

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٠٧

من غيري، والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا على خاصة التماس لأجر ذلك وفضله، وزهدا فيها تناستموه من زخرفه وزبرجه»^(١).

وفي كل هذه المواقف والأحداث قدم لنا الإمام (عليه السلام) نموذجا عن الالتزام الأخلاقي والأدبي للقائد المضحي، والصبور، والشجاع، والمنضبط بأحكام الشرع، والساubi ل لتحقيق مصالح المسلمين، والمُجاهد في الصُّف الأمامي لنصرة الإسلام والمستضعفين في كل فترات حياته الشريفة.

٤- القيادة بالمبادئ

من الأمور التي تميز بها الإمام (عليه السلام) هي تلك الاستقامة والثبات على مبادئه وأخلاقه، فلم يتغير طيلة حياته ولم يختلف في طباعه وتعاملاته بتغيير الأحوال، وحينما أتته الدنيا بالخلافة مرغمة كان من أزهد الزاهدين فيها، ولم يكن له طمع في هذا الأمر سوى تحقيق مرضاة الله كما يقول: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافسا في سلطان ولا التماس من فضول الخطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فیأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك»^(٢).

وعندما بدأ إصلاحاته في العطاء، اقترح عليه بعض أصحابه بالتدريج في تطبيق هذه السياسة حتى لا يثير حفيظة الكبار في قومه، فكان رده عليهم حازما في أنه لا يجيد عن الحق والمعروف، وقال في ذلك: «والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك الإمام لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٥٢

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٧٨

العدل فالجور عليه أضيق»^(١). وعندما لمس الإمام من بعضهم الاعتراض على التسوية في العطاء، خاطب الناس فقال: «فأما هذا الفيء، فليس لأحد فيه على أحد إثرة قد فرغ الله عز وجل من قسمه فهو مال الله وأنتم عباد الله المسلمين، وهذا كتاب الله به أقررنا وعليه شهدنا وله أسلمنا وعهد نبينا بين أظهرنا فسلّموا - رحمة الله - فمن لم يرض فليتوسل كيف شاء. فإن العامل بطاقة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا حُوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ﴾. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. ونسأله ربنا وإلينا أن يجعلنا وإياكم من أهل طاعته أن يجعلنا من أهل طاعته، وأن يجعل رغبتنا ورغبتكم فيما عنده. أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم»^(٢).

وقد كانت له الفرصة سانحة في إنهاء أمره مع معاوية حين طلب معاوية بنفسه أن يقيمه الإمام واليها على الشام، فكان رده (عليه السلام): «فاما طلبك إلى الشام فإني لم أكن أعطيكاليوم ما منعتك أمس. وأما قولك: (إن الحرب قد أكلت العرب، إلا حشاشات أنفس بقيت) ألا ومن أكله الحق فإلى الجنة، ومن أكله الباطل فإلى النار»^(٣). وحينما نصحه بعض أصحابه بعدم التعرض لطلحة والزبير، أجاب بلغة الرجل المبدئي الذي لا يتاجر بأخلاقه في السياسة: «والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم، حتى يصل إليها طالبها وينتلتها راصدتها، ولكنني أضرب بالمقابل إلى الحق بالمدبر عنه، وبالسامع المطيع العاصي المريب أبدا»^(٤).

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٦٧

(٢) الحراني، تحف العقول، ص ١٢٩ - ١٣٠

(٣) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٠٥

(٤) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٦٢

وكان موقفه واضحًا مع الذين طالبوه بالتراث في تطبيق سياساته المالية الجديدة وعدم التصادم مع الأشراف والبارزين من القوم، فخاطبهم قائلًا: «أتامروني أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من أهل الإسلام، والله لا أطور به ما سمر به سمير، وما أنم نجم في السماء نجمًا لو كان ماهم مالي لسوت بينهم فكيف وإنما هي أمواهم»^(١).

وخلاله القول في هذا الأمر أن الإمام علي (عليه السلام) كان رجل مبادئ وقيم لا يحيد عنها قيد أنملة في سياسته وتعامله مع الناس حين يقول: «فأفضل الناس -أيها الناس- عند الله منزلة وأعظمهم عند الله خطراً أطوعهم لأمر الله وأعلمهم بطاعة الله وأتبعهم لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأحيائهم لكتاب الله فليس لأحد من خلق الله عند فضل إلا بطاعة الله وطاعة رسوله واتباع كتابة وسنة نبيه صلى الله عليه وآله»^(٢). وبين لأنتباعه إنه مختلف عن عدوه معاوية في سياسته المراوغة، فقال: «والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولو لا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة، والله ما استغفل بالمكيدة، ولا استغمز بالشديدة»^(٣).

٥- القيادة بخدمة الآخرين Servant Leadership

يتميز الإمام علي (عليه السلام) كقائد رباني بالوالدية في قيادته للأمة، فهو يضع نصب عينيه قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الناس كلهم عيال

(١) الحراني، تحف العقول، ص ١٣٠

(٢) الحراني، تحف العقول، ص ١٢٨

(٣) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٣٢-٤٣٣

الله فأحبهم إليه أنفعهم لعياله»^(١)، ومن ثم هو يسعى لأن يكون خادماً لهم مليباً حاجاتهم ومساهمة في حل مشكلاتهم، فهو كما يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): سيد القوم خادمهم وساقيهم آخرهم شرابة^(٢). وكما قلنا سابقاً إن فلسفة القيادة عند الإمام تقوم على الاهتمام والرعاية لجميع أفراد مجتمعه، وتبادل التعاطف والمحبة معهم، وإشباع حاجاتهم المادية والمعنوية، ومد يد العون لهم فيما يختص بمشاكلهم الشخصية، والتواصل المستمر معهم لتعليمهم وتوجيههم، واستخدام القيادة المتوازنة التي تجمع بين الحزم واللين لإعطاء كل ذي حق حقه، ومحاسبة الظالم والمعتدي وتقويم سلوكه.

ومن تلك القصص التي تُروى عن اهتمامه بالمستضعفين، أنه ذات يوم شاهد الإمام أمراً عجوزاً تحمل على كتفها قربة ماء تكاد لا تستطيع حملها، فتقدّم على (عليه السلام) إليها فأخذ منها القربة وحملها على كتفه، ثم سألاها عن بيتهما، وأثناء الطريق قال لها: من أنت؟ وماذا حدث؟ قالت: لقد قتل زوجي في حرب صفين، وليس لعلي عنا أي خبر. فقال (عليه السلام): وهل لك أولاد؟ قالت: عندي ثلاثة يتامى. فذهب إلى بيته وأحضر معه الطحين والتمر إلى بيت المرأة، ثم صنع الطعام بيديه المباركتين وخبز لهم الخبز في التنور^(٣).

ومن صور اهتمامه بالناس، أن أمير المؤمنين (عليه السلام) خرج يوماً من المسجد فشاهد على الباب رجلاً من المؤمنين حزيناً وكان مصيبة قد نزلت

(١) الأعلمي، حكم رسول الله، ص ٣٢٣

(٢) الأعلمي، حكم رسول الله، ص ١٩٤

(٣) الراشدي، القصص الأخلاقية، ص ١٠٠

به، فقال (عليه السلام): ماذا حدث؟ فقال: مصيبة يا أمير المؤمنين! لقد مات أبي، وأمي، وأخي في حادثة وأخاف أن أموت أنا أيضاً. فقال (عليه السلام): فلماذا لا ت慈悲؟ لقد ماتوا وأنت أيضاً ستموت، فهل هذه الدنيا مكان بقاء؟ أنت أيضاً ستموت، فهنا ليس مكان بقاء ولا حياة، فلو أتيت الله وصبرت تحصل غداً على الأجر، وأجرك على الله^(١).

وعندما علم الإمام (عليه السلام) عن مرض أحد أصحابه وهو العلاء بن زياد الحارثي ذهب لزيارتة، ودخل عليه يعوده فلما رأى سعة داره قال: ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا؟! أما أنت إليها في الآخرة كنت أحوج. وعاد يلطفه بالقول: وبلغت بها الآخرة: تقرى فيها الضيف، وتصل معها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة^(٢).

وورد في بحار الأنوار أنه في زمن خلافة عمر بن الخطاب أتى رجل إلى مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) وقال له: أنت خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقل لي ما معنى سبحان الله التي أمرنا بتكرارها في الصلاة؟ وأشار عمر وكالعادة إلى بيت أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: هناك رجل فيها يحييك عن كل ما تسأله؟ جاء الرجل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: لقد أرسلني عمر إليك كي تحييني على سؤالي؟ فأجابه في جملة مختصرة (تنزية الله عن قول كل مشرك)^(٣).

(١) الرشدي، القصص الأخلاقية، ص ٩٥

(٢) الرشدي، القصص الأخلاقية، ص ١٠٦

(٣) الرشدي، القصص الأخلاقية، ص ٩٣

وتخبرنا هذه القصص وغيرها عن الاهتمام البالغ الذي أولاه الإمام في السهر على راحة رعيته والاهتمام بأمورهم الكبيرة والصغيرة، وحسن ملطفته لهم واستجابته في رفع الظلم عنهم، أو حل مشكلاتهم المادية والروحية، وقد فصل ذلك المنهج في كتابه الذي بعث به إلى عثمان بن حنيف عامله على الكوفة^(١).

- الفصل الخامس -

أخلاقيات القيادة عند الإمام
علي (عليه السلام)

القيادة في أحد تعريفاتها، هي التأثير في الناس بحيث يشاركون بملء إرادتهم و اختيارهم في السعي نحو تحقيق أهداف مشتركة مفيدة لجميع الأطراف بكل قلوبهم و عقولهم، وإبداعهم، و تميزهم، وكل الموارد الأخرى التي يمتلكونها^(١). والقيادة من ناحية أخرى تتضمن التزاماً برسالة وأهداف ومهام ينبغي تحقيقها، والعمل على أدائها بأفضل صورة ممكنة وكل ذلك يتطلب توافقاً و انسجاماً بين القائد وأتباعه في القول والفعل، وتكون العلاقة المتبادلة بينهما تتضمن الاحترام والتقدير والمحافظة على كرامتهم الإنسانية بحيث تحفز و تنشط عناصر القوى العقلية والخلقية والفنية والروحية والاجتماعية فيهم ليقدموا أفضل ما عندهم في هذا السبيل. وكل ما ذكرناه يقوم على أساس التأثير الإيجابي الذي يتركه القائد في نفوس أتباعه، وهذا يتطلب أن يكون لدى القائد الشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقه، والقدرة على التعامل مع مختلف التحديات في العمل مع الأفراد والإمكانيات والموارد، والمهارة في إدارة دفة أمور الجماعة التي يرأسها نحو تحقيق الأهداف المشتركة دون إفراط ولا تفريط.

أولاً- الأخلاق في الإسلام و عند الفلاسفة

ولعل أبرز الأمور حساسية في مسألة القيادة هو الفضائل التي تميز بها القيادة وهي تقوم بـأداء مهامها، وإصدار قراراتها، وتعامل مع مختلف الأفراد في مؤسستها وهو ما يعبر عنه بـأخلاقيات القيادة، ونعني بذلك المبادئ والقيم التي يؤمن بها القائد وتنعكس على سلوكه وأدائه في العمل

(١) هانتر، مبدا القيادة الأكثر فعالية في العالم، ص ٤٦

وعلاقاته مع الآخرين. وهذا بدوره يقودنا إلى التساؤل: ما العلاقة بين القيادة والأخلاق؟ وما التأثير الذي تركه أخلاقيات القائد على أتباعه في العمل؟ وما هي أفضل الشروط التي يمكن بها أن تسهم أخلاقيات القائد في رفع مستوى الكفاءة الإنتاجية في مؤسسته؟

وللإجابة عن الأسئلة السابقة لا بد لنا من مقدمات تساعدنا على فهم طبيعة علاقة الأخلاق بالقيادة وأثرها على كل من القائد وأتباعه في العمل. وموضوع الأخلاق يرجع في أصوله إلى الحضارات السابقة للإسلام في الشرق والغرب، ولم يختلف أحد من الفلاسفة في اليونان، أو الهند، أو الصين على أهمية الأخلاق في حياة الإنسان وضرورة اكتسابها، وإنما كانت اختلافاتهم في المنشأ والدوافع للأخلاق ولهم في ذلك نظريات متضاربة بعضها يقترب من الإسلام بينما بعضها الآخر يبتعد عنه بل يخالفه تماماً!

١- التعريف اللغوي والاصطلاحي للأخلاق Definition of Ethics

ويميز أهل اللغة بين الخلق (فتح الخاء) والخلق (بضم الخاء) فيقولون تختص الأولى بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر ﴿خُلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، بينما تختص الثانية بالقوى والسمجايا المدركة بالبصيرة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١). والخلق بالضم تعني السجية والطبع والمروعة والدين، وجمع الخلق أخلاق وهي مجموعة صفات نفسية، وأعمال الإنسان توصف بالحسن أو القبح كقولنا سمو وكرم الأخلاق، فلان دمت الأخلاق، والحلם سيد الأخلاق^(٢)،

(١) الزين، مجمع البيان الحديث، ص ٣٠١

(٢) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ص ٦٨٨

وهي حالة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر أو رؤية^(١).

وفي الاصطلاح يُعدُّ الخُلُقُ هيئةً للنفس راسخةً تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسراً من غير حاجة إلى فكرٍ ورؤيه، فإن كانت هذه الهيئة تصدر عنها الأفعال الجميلة عقولاً وشرعًا وبسهولة سميت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً. وإنما قلنا بأنه هيئه راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على النذور بحالة عارضة لا يقال عنه خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه^(٢).

وزاد صليباً في معجمه إلى ما سبق، بأن الخلقي هو المنسوب إلى الخلق، ويطلق على ما كان مطابقاً لنظريات الأخلاق، أو لقواعد السلوك في عصر من العصور، ويراد به الأدبي، والروحي، والمعنوي، وهو نقىض المادي، والجسماني. ويطلق الخلقي عند بعض الفلاسفة على جميع الأفعال التي يمكن وصفها بالخيرية أو الشرية، كالواقع الأخلاقي، فهو جنس واحد تندرج تحته الفضائل والرذائل شريطة أن تكون هذه الأفعال قصدية، فإذا كانت غير قصدية كإيالام الخلق بغير قصد لم توصف بالخلقية^(٣).

والملصود بالأخلاق - كما جاء في معجم الشواهد الفلسفية - هي معرفة الفضائل وكيفية اكتسابها لتزكوهما النفس ومعرفة الرذائل والتزه عنها، وأما علم الأخلاق فهو النظر في أحکام القيم والمبادئ الأخلاقية وما يجب على

(١) أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج ١، ص ٢٥٢

(٢) الجرجاني، معجم التعريفات، ص ٨٩

(٣) صليباً، المعجم الفلسفى، ج ١، ص ٥٤٢

الإنسان فعله. وعلم الأخلاق يعود في الأصل إلى العصر اليوناني، حيث بحث الفلاسفة ما يجب على الإنسان فعله لبلوغ السعادة. وتحدث الفلاسفة عن طبيعة الوجدان والضمير والواجب والخير، وبنوا جميع المفاهيم الخلقية التي تصوروها على الأسس المستمدة من مبادئهم الفلسفية؛ وتكون الأخلاق إما نسبية وهي مجموعة قواعد السلوك الخاصة بمجتمع معين وفي زمان معين، أو مطلقة وهي مجموعة قواعد السلوك الثابتة التي تصلح لكل زمان ومكان^(١).

٢- نظريات الفلسفه حول الأخلاق

لقد سلك الفلاسفة طريقهم في تفسير البواعث المحركة على الأخلاق عند الإنسان سبلًا مختلفة، فأصحاب نظرية اللذة يرون أن معيار خيرية الأفعال هو درجة اللذة يتحققها أصحابها؛ وذلك لأن الأفعال الخيرية هي تلك التي تتجيء متوافقة مع ما تقتضي به طبيعة البشر، إذن فالقيم الطبيعية هي الكفيلة بضمان خيرية السلوك، وذلك يجعل اللذة مظهراً من مظاهر الصحة النفسية بوصف النفس العاجزة عن الاستمتاع باللذة هي نفس مريضة^(٢)!

ويتجه فريق آخر لتصور أن السعادة هي الخير الأسمى أو الخير المطلق الذي تتحققه الأخلاق باكتساب الفضائل وليس اللذائذ الجزئية المرتبطة بما يرتبط بحاجات الجسم، وذلك لأن السعادة أمر كلي وهو يعبر عن حالة نفسية، فالخير الأسمى عند أرسطو هو بلوغ المرء الحكمة وتحقيق ذاته، وتبعه الرواقيون في ذلك المنحى فقالوا بأن الخير الأسمى يتمثل فيما يحصل عليه

(١) سعيد، معجم المصطلحات والشوادر الفلسفية، ص ٢٣-٢٤

(٢) عبده، فلسفة الأخلاق، ص ٥٠

الإنسان من كمال عقله، وإن السعادة تتحقق حينما تكون نشاطاتنا في انسجام تام مع قوانين الطبيعة^(١). وأما أصحاب مذهب المفعة فيرون أن في طلب المرء السعادة قد تخلق في الفرد نوعاً من الأنانية فيسعى لتحصيل مفعته على حساب الآخرين، وإنما تتحقق السعادة حين يتم مراعاة المصلحة العامة ويتم تحقيق أكبر قدر من السعادة للجميع فيتفع الكل بهذه السعادة، وهذا ما يذهب إليه كل من بنتام وجون ستيوارت مل في مذهبها الأخلاقي^(٢).

ويفترق كانتي في نظرية الواجب الأخلاقي عن التصورات السابقة، إذ يرى أن السلوك الإنساني لا تحركه بواعث خارجية، بل إن هناك نداءً باطنياً يلزم منه بالقيام بالفعل الأخلاقي، ولذلك يجب التركيز على دراسة طبيعة التكليف وليس التائج والآثار، فالالتزام الأخلاقي يقوم على العلاقات المتضمنة في صميم الفعل الأخلاقي، فأخلاقية الفعل تقاس عند كانتي بأخلاقية صاحب الفعل، فالذي لا يسرق خوفاً من القانون لا يعد صاحب أخلاق، وأما الذي لا يسرق احتراماً للواجب أو العقل فهذا يعد فاعلاً أخلاقياً^(٣).

وناقش العلامة المطهرى النظريات الأخلاقية المختلفة وفقاً لتصنيفاته: النظرية العاطفية (ال فعل الأخلاقي النابع من العاطفة)، ونظرية الإرادة (القائمة على العقل والتدبر)، ونظرية الوجودان (الواجب الأخلاقي لكانط)، ونظرية الجمال (القائمة على إدراك جمال القيم)، ونظرية العبادة (التمجيل والتقديس للأفعال الشريفة)، وخلص في النهاية إلى أن كل واحدة من هذه

(١) عبده، فلسفة الأخلاق، ص ٥٤-٥٦

(٢) عبده، فلسفة الأخلاق، ص ٥٩

(٣) عبده، فلسفة الأخلاق، ص ٦١-٦٣

النظريات عالجت جانباً من الجوانب المتعددة من ميول، وعواطف، وشعور بالمسؤولية، والانجذاب إلى جمال القيم والأفعال الخيرة والتي تسهم جميعاً في تحفيزه للتمسك بالفضائل الأخلاقية المختلفة، وأن الأخلاق تطبق بصورة أوضح على مقوله إن الأخلاق من العبادة^(١).

٣. النظرية الأخلاقية في الإسلام

تقوم النظرية الأخلاقية في الإسلام على مجموعة من المبادئ العقلية والجسدية والروحية والنفسية التي تتوافق مع طبيعة الإنسان والهدف من خلقه في هذه الحياة على النحو الآتي:

* الإنسان كائن مكون من بُعدين: ماديٌّ وروحيٌّ، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالقُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَّا مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾^(٢)، ومن ثم كان الرسول كمربي يراعي في عمله التربوي خاصية التوازن بين حاجات الروح والجسد، فكان (صلى الله عليه وآله) بعد أن يفرغ من أدائه لصلاة الجمعة يتفرق المسلمون للقيام بأنشطتهم الحياتية والتجارية، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَإِذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣).

(١) مطهري، سلوك وأخلاق الإسلام، ص ١٧-٧٠

(٢) سورة الحجر، الآيات ٢٨-٣١

(٣) سورة الجمعة، الآية ١٠

* يؤكد القرآن على أن الله تعالى زود الإنسان بأدوات الإدراك والقوى والطاقات المختلفة للقيام بدوره الاستخلافي على الأرض في تعمير الأرض وبناء الحضارة الإلهية على الأرض، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْنَدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَمَ الْقُرْآنَ حَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٢)، وقوله تعالى أيضاً: ﴿أَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي حَلَقَ حَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ أَقْرَأَ وَرَبِّكَ الْأَكْرَمَ الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَرِ عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٣)، وقد خاطب الرسول (صلى الله عليه وآله) عقل الإنسان، وحواسه، ووجدانه متبعاً الأساليب التعليمية المتنوعة التي تراعي حاجات المتعلم وخصوصية الموقف التعليمي.

* إن الله سبحانه وتعالى سخر الكون وما فيه من طاقاتٍ وقوى وهياها ليستخدمة الإنسان في أغراضه، وي Shirley بها حاجاته، وي Shirley بها مصالحه، وفي هذا المجال يحتاج الإنسان للتوجيه الصحيح لكيفية استخدام هذه النعم وشكرها كما أشار القرآن الكريم لذلك، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ الَّذِي حَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَرَ لَكُمُ الْفُلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَاهِيَنِ وَسَخَرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَاتَّاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(٤)، وكان الرسول (صلى الله عليه

(١) سورة الملك، آية ٢٣

(٢) سورة الرحمن، الآيات ٤-١

(٣) سورة العلق، الآيات ٥-١

(٤) سورة إبراهيم، الآيات ٣٢-٣٤

وآلـهـ) يركـز في خطـابـاتهـ التـربـويـةـ عـلـىـ هـذـاـ الجـانـبـ،ـ كـمـاـ جـاءـ فـيـ مـخـاطـبـتـهـ لـأـبـيـ ذـرـ:ـ «ـيـاـ أـبـاـ ذـرـ اـغـتـنـمـ خـمـسـاـ قـبـلـ خـمـسـ:ـ شـبـابـكـ قـبـلـ هـرـمـكـ،ـ وـصـحتـكـ قـبـلـ سـقـمـكـ،ـ وـغـنـاكـ قـبـلـ فـقـرـكـ،ـ وـفـرـاغـكـ قـبـلـ شـغـلـكـ،ـ وـحـيـاتـكـ قـبـلـ مـوـتـكـ»ـ^(١)ـ.

* الإنسان قابل للتربية وتحصيل الملائكة النفسيّة العالية التي تؤهله لأن يكون سيد نفسه وصاحب القرار في مواجهة نداء غرائز الشهوات والظلم والعدوان، والتحلي بالصفات الكمالية، فالقرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا﴾ * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاهَا * وَقَدْ حَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٢)، وهذا يحتم أن يتضمن المنهج التربويِّ التّزكية المستمرة للنفس كما أشار القرآن الكريم لذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَنْذُرُهُمْ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٣)، وهذا ما كان يرمي إليه الرّسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في قوله: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَنَّمِ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ»^(٤).

* إن الغاية القصوى ل التربية الإنسان في المفهوم القرآني هو أن يكون إلهياً متخلقاً بأخلاق الله - كما ورد في الحديث -، وهي الوصول إلى درجة العبودية الحالصة لله التي وصف بها القرآن الرّسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعِبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي

(١) الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ٤٥٩

(٢) سورة الشمس، الآيات ١٠-٧

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٦٤

(٤) الأعلمي، حكم رسول الله، ص ١٠٠

بَارِكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ^(١)، وقد جاء في الأخبار أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال عن ذلك: «أفضل الناس من عشق العبادة فعائقها وأحبها بقلبه وبasherها بجسده وتفرغ لها فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر»^(٢)، ويبيّن حفيده الصادق (عليه السلام) حقيقة هذه العبادة فيقول: «إن العباد ثلاثة: قوم عبدوا الله عز وجل خوفا فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الشواب، فتلك عبادة الأجراء، وقسم عبدوا الله حبا له فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة»^(٣). وهذا ما يميز التربية النبوية - القائمة على الحب والعبادة والتعلق بالله - عن التجارب البشرية الوضعية القديمة والمعاصرة.

ومن ثم، يمكن القول في النهاية بأن نظرية العبادة الوعائية - التي أشار إليها العلامة المطهرى - هي التي تجمع بين جميع النظريات الأخلاقية السابقة والتي تتجلّى فيها علاقة الحب والعشق بين العابد والمعبود، فتكون أخلاقه معبرة عن محبته العاطفية العميقه لعشوقه وهو الله، وهي أخلاق تقوم على العقل والتدبر في سلوك العبد كما أمره ربه بذلك، ويتم بناء هذه الأخلاق عن طريق تزكية النفس وجهادها حتى يكون العبد مستعداً لتلبية نداء الواجب الأخلاقي دون تردد، كما ويدعوه حبه لله وعبادته الخالصة له للتزيين بأفضل الأخلاق كما جاء في التوصيات الأخلاقية في القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة.

(١) سورة الإسراء، الآية ١

(٢) المشكيني، مسلكنا، العبادة، ص ٢٣١-٢٣٠

(٣) المشكيني، مسلكنا، العبادة، ص ٢٣١

وفي الجانب الآخر، تقوم النظرية الإسلامية بمعالجة جميع النواقص التي تضمنتها النظريات السابقة، فهي لا تنفي وجود دوافع مادية وحسية في حياة الإنسان، وأن لها دوراً كبيراً في سلوكه الاجتماعي، ولكنها تعمل على تهذيبها والارتقاء بها في سلم الكمالات الأخلاقية والمعنوية التي جاءت بها تشرعيات الإسلام في العبادات والمعاملات؛ إذ يقول الحق تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقْتَنَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدُهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾^(١). كما تعالج النظرية الإسلامية مفهوم السعادة الدنيوية المؤقتة بطرح البديل الآخروي والذي تتحقق فيه الصورة المثلثة للسعادة الأبدية التي لا يشوبها ألم ولا حزن ولا خوف، كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٢).

وقد حلَّ الإسلام الإشكال القائم بين المصلحة الجماعية والاستئثار الفردي لدى الإنسان، وذلك بتتأمين المقابل لعطاء الفرد وتضحياته الذي يمنحه رب العالمين للمؤمن في دنياه وأخرته، فيقول سبحانه وتعالى عن الإنفاق في سبيل الله: ﴿مَثُلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثُلَ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبْلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾^(٣)، وأما عن ثمن تضحياته وجهاده، فقد قال الله عز وجل عن ذلك: ﴿وَلَا تَحْسِنَ

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤

(٢) سورة فصلت، الآية ٣٠

(٣) سورة البقرة، الآية، ٢٦١

الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرَحِينَ بِمَا أَتاهمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبِشُرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يُلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ حَلْفِهِمُ الْأَحْوَافُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ * يَسْتَبِشُرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

وتتفق النظرية الإسلامية مع أصحاب نظرية الواجب الأخلاقي بأن الإنسان بكماله العقلي والوجداني يمكن أن يكون أخلاقياً فاضلاً و يؤدي واجباته على أكمل وجه؛ فقد أودع الله سبحانه في الإنسان الوجدان الأخلاقي الذي يحرك فيه القيام بواجباته تجاه الآخرين، ولكن الإسلام لا يرى في إمكانية العقل لوحده القدرة - وإن كان هو الحجة الباطنة على الإنسان - على تحفيز الإنسان للالتزام بالمبادئ الأخلاقية من دون أن يكون لديه واعظ من عقيدة أو دين يدفعه لذلك الأمر. ويزداد على ذلك فإن الإسلام يقر بوجود صراع داخلي في الإنسان بين عقله وعاطفته، وشهواته واستقامته، وخيره وشره ولكنه في الوقت نفسه رسم له طريق النجاة بتزكية وجihad النفس والذي قال عنه تعالى في سورة الشمس: ﴿وَوَقْفٌ وَمَا سَوَاهَا * فَالْهَمَّهَا فُجُورُهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ حَابَ مَنْ دَسَاهَا﴾^(٢)، كما وعد سبحانه العبد بتسلية وتأييده في هذا الجهاد، وذلك في قوله سبحانه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبْلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٩-١٧١

(٢) سورة الشمس، الآيات ١٠-٧

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٦٩

ثانياً- أخلاقيات القيادة في النظريات الغربية Leadership Ethics Theories

ترجع أصول علم الأخلاق ومفاهيمه في العالم الغربي إلى الحضارة اليونانية التي نقلت من التراث الفلسفي الخاص بأفلاطون وأرسطو، حيث ترجع كلمة أخلاق ethics في أصلها اللاتيني إلى ethos والتي تعني «customs» تقاليد أو «conduct» سلوك أو «character» خلق. ويتم البحث في علم الأخلاق عن القيم والأخلاق المرغوبة في حياة الأفراد أو المجتمعات. فضلاً عن ذلك، فإن هذا العلم يختص بالفضائل الأخلاقية للأفراد ودوافعهم في السلوك، وأما النظرية الأخلاقية فإنها تقدم نظماً من القواعد والمبادئ التي تساعد على التمييز بين «الصواب» و«الخطأ» في حالة اتخاذ القرار في أي موقف عملي يصادف المرء، وهي بمعنى آخر تساعده كيف يتصرف كإنسان أخلاقي نزيه في المواقف المختلفة^(١).

وفيما يختص بالقيادة، فإن الأخلاق تتعلق بما يصدر من القادة من أفعال وما يتعلق بهوياتهم وصفاتهم، ويكون الاهتمام بطبيعة السلوك القيادي لديهم وصفاتهم الأخلاقية. وتبرز القضايا الأخلاقية بصورة مستترة أو واضحة في المواقف التي تتطلب صناعة القرار، فالخيارات التي يتخذها القائد أو يتصرف بها في مثل هذه المواقف تكون عادة تحت توجيه أخلاقه وتأثيرها^(٢).

ويخلص Northouse (٢٠٠٤) في كتابه بأن النظريات الأخلاقية التي تتعلق بالقيادة تقع ضمن ثلات مجموعات رئيسة هي: النظريات الغائية -Te-

Deontological Theories، ونظريات الواجب الأخلاقي. Virtue-based Theories، ونظريات الفضائل الخلقية. ولتقييم دور النظرية الأخلاقية في عملية اتخاذ القرار، فهناك ثلاثة اتجاهات في هذا الأمر؛ فقد يتخذ القائد قراراته وفقاً لمصالحه الذاتية Egoism وهو ما يقابل في الميدان نظرية القيادة التعاقدية، أو يراعي مصالحه ومصالح الأخيرة Utilitarianism بناءً على الرأي الذي يقول بأن السلوك الأخلاقي الصحيح هو الذي يقلل من المنافع الاجتماعية وفي الوقت نفسه يوفر النفقات، وهو ما يقابل القيادة المترادفة حين تعمل على تحقيق مصالح الأفراد والمؤسسة معاً في وقت واحد. وأما الطريق الآخر، فقد يكون القائد مضحياً بمصالحه في سبيل تحقيق النفع لآخرين وهو ما يسمى بالغيرة Altruism كما هو التوجه في القيادة الخدمية^(١)، وما يذكر في تراثنا الإسلامي عن سير الأنبياء والأولياء والصالحين.

وبخلاف ما سبق فإن نظرية الواجب الأخلاقي Moral Obligation - كما جاء في كتابات كانت عن العقل النظري والعقل العملي - تؤكد على أهمية المسار الذي يسلكه القائد في إدارته للأمور هل هو يتفق مع الصواب والحكمة أو لا؟ فمحافظة القائد على وعوده، والتزامه بالصدق في أقواله، وتعامله بإنصاف مع الجميع هي أمثلة عن الالتزام الأخلاقي لقيام القائد بواجباته ومسؤولياته تجاه الآخرين. وأما فيما يتعلق بنظريات الفضائل الخلقية Virtue-based Theories فإنها ترجع في أصولها إلى

الفكر الأفلاطوني والأرسطي عن الأخلاق، وقد حدد أرسطو مجموعة من الفضائل التي يتصف بها الشخص الأخلاقي والتي تتضمن الشجاعة، والاعتدال، والسخاء، وضبط النفس، والأمانة، والمؤانسة، والتواضع، والإنصاف، والعدالة^(١).

ويؤكد Taylor (٢٠٠٧) أن على القائد الذي يعتمد نموذج القيادة بالقيم Value-based Leadership أن يظهر الالتزام بمجموعة من القيم: كإيمانه بالتواضع والالتزام به أمام الآخرين، وسعيه لتحقيق أهداف كبرى في حياته، وتمسكه بقواعد أخلاقية تحكم تصرفاته، وعدم رضاه التام عن الأوضاع الحالية، ورسمه لصورة المستقبل الذي يتطلع إليه والحديث عنه مع الآخرين، ومساهماته في خلق بيئة عمل تحقق أفضل الأداء والتائج، والقيام بقيادة الآخرين ليصلوا إلى طريق النجاح والاستعداد لخدمتهم على الدوام وبأي ثمن^(٢).

ويقترح Steven Covey (١٩٩٠) في نموذجه للقيادة سبع استراتيجيات لتحصيل الفعالية المطلوبة في العمل مع الآخرين والتي تتضمن: المبادرة، وبيان الرسالة الشخصية، وإدارة الأولويات، وبدأ المنفعة المشتركة، وتمكن الأفراد، والتفوق في بلوغ الأهداف، وتجديد الذات في العمل وتطويرها. ويطلق عليها Steven Covey «العادات»؛ لأنها مع مرور الوقت تصبح برنامجاً أخلاقياً يلتزم به القائد في تصريف شؤون عمله بصورة مستمرة.

Northouse, Leadership, PP 305-306 (١)

Taylor, The Imperfect Leader, PP 141 (٢)

ومن خلال دراسته لخالق القادة في العالم، يوصي Heifetz (١٩٩٤) بأن يقوم القائد باستخدام السلطة لتحرير الأفراد من أجل مواجهة القضايا الصعبة؛ فالقائد الحقيقي يوفر بيئة متماضكة يشعر فيها أتباعه بالثقة، وتلقي التنشئة والرعاية الالزمه، والتعاطف مع قضياتهم. وفي ظل هذه البيئة الداعمة يستطيع الأتباع بأمان أن يواجهوا ويتعاملوا مع الصعوبات الشديدة خصوصاً إذا قام القائد بدوره في تبنيهم وتزويدهم بالمعلومات الالزمه التي تسهل لهم الطريق للقيام بواجباتهم في هذا المجال^(١).

وعلى المنوال نفسه، يؤكّد Burns (١٩٧٨) أهمية قيام القائد بدوره في فتح الحوار مع أتباعه لمناقشة مواقفهم في تعاملهم مع المواقف القيمية المتضاربة مما يساعد على رفع المستوى الأخلاقي للأتباع والقائد في الوقت نفسه. وتكون مسؤولية القائد في هذا المجال مساعدة أتباعه في تقييم قيمهم وحاجاتهم لكي يرفع من مستوى أدائهم إلى المستوى الذي تتحقق فيه القيم الأخلاقية الكبرى كالحرية، والعدالة، والمساواة^(٢).

وأما Greenleaf (١٩٧٧) فإنه يرى أن القيادة تمنح من هو بطبعته خادم الآخرين، وفي الحقيقة يبرز الشخص كقائد عن طريق كونه خادماً لأتباعه. والقائد الخادم هو من يركز على حاجات أتباعه ويساعد them لكي يكونوا أكثر معرفة، وحرية، واستقلالية، وخدمتين لأنفسهم وهو بذلك يشرى حياتهم. وزيادة على ما تقدم فإن القائد الخادم لديه مسؤولية اجتماعية للاهتمام

بالفقراء من العاملين واعتبارهم شركاء أساسيين في حياة المؤسسة، وحين يختل ميزان القيم وتتعدم العدالة والمساواة يكون دور القائد في إزالتها^(١).

ويوضح مما سبق أن النظريات الأخلاقية والتوصيات العملية كلها قد أجمعـت على أمر واحد وهو الحاجة إلى قائد أخلاقي يتتحمل المسؤولية وعلى قدر عال من الكفاءة والأمانة لكي يقود جماعته بفعالية ونجاح في مختلف الظروف والأزمـات، وهذا يقودنا إلى أهمية التعرف على المسار الأخلاقي للإمام علي (عليه السلام) في قيادـته لاستخلاص المعايير الأخلاقية البارزة في حياته القيادية وتعاملـه مع مختلف القضايا التي واجهـته في حكمـه وهو خليفة للمسلمـين.

ثالثـاً. أخلاقيات القيادة عند الإمام علي of Imam Ali Leadership Ethics

إن أخـلـاق القـائـد هي الواجهـة التي يمكنـنا منها النـفوـذ إلى عـالم الـقيـم والمـثلـ التي تـحرـكـه في حـيـاته، وذـلـك لأنـ شخصـيـة القـائـد تـتجـسـدـ في سـلـوكـه الحـقـيقـيـ أثناءـ المـوـاقـفـ، والأـزمـاتـ، والـمـحـنـ، وماـ يـجـسـدـهـ منـ قـدوـةـ وـنـموـذـجـ لـلـآخـرـينـ، وـكـلـماـ تـمـكـنـ القـائـدـ منـ تـحـقـيقـ التـطـابـقـ بـيـنـ الصـورـتـيـنـ الـوـاقـعـيـةـ وـالـمـاثـالـيـةـ فيـ حـيـاتهـ وـفيـ عـلـاقـاتـهـ مـعـ الآـخـرـينـ اـزـدـادـ النـاسـ تـعلـقاـ بـهـ وـإـيمـانـاـ بـقـدرـتـهـ عـلـىـ التـغـيـيرـ وـتـصـحـيـحـ الـأـوضـاعـ. وـعـلـيـ بنـ أـبـيـ طـالـبـ (عليـهـ السـلامـ) كانـ نـموـذـجـاـ أـخـلـاقـيـاـ رـائـعـاـ فيـ كـلـ موـاقـفـهـ وـمـفـاـصـلـ حـيـاتـهـ، وـلـمـ تـكـنـ أـخـلـاقـهـ أـمـورـاـ طـارـئـةـ عـلـيـهـ بلـ كـانـ جـزـءـاـ أـصـيـلاـ مـنـ تـكـوـيـنـ شـخـصـيـتـهـ حتـىـ وـهـ طـفـلـ صـغـيرـ يـتـلقـىـ تـعـالـيمـهـ مـنـ مـعـلـمـهـ وـمـربـيـهـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ) كـمـاـ يـقـولـ عـنـ ذـلـكـ: «ـوـلـقـدـ كـنـتـ أـتـبعـهـ إـتـبـاعـ الفـصـيـلـ إـثـرـ أـمـهـ، يـرـفـعـ لـيـ فـيـ كـلـ يـوـمـ مـنـ

أخلاقه على، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يحاور في كل سنة بحراء فأراه لا يره غري، ولم يجمع بيت واحد في الإسلام غير رسول الله، صلى الله عليه وآله، وخدجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة»^(١).

وعن طريق تتبعنا لمسيرة الإمام في الفصول السابقة، نجد أن الإمام علي (عليه السلام) قد جسد في أخلاقه قيماً ومثلاً علينا جديرة بأن نفرد لها هذه الصفحات ونتعرف عن طريقها على «المعايير الأخلاقية» للقيادة الصالحة عند الإمام علي عليه السلام، ويمكن تلخيص الخصائص الأخلاقية التي تميز بها الإمام علي (عليه السلام) في قيادته على النحو الآتي:

(١) مبدأ التقوى في العمل: تمثل التقوى رأس الهرم في القيادة عند الإمام، حيث إنه ألم نفسه بالعمل على ترويض نفسه على طاعة الله وخشيته، ومحاسبة نفسه بشدة، وضرب المثل في العبادة والالتزام بأحكام الله، والسعى لمرضاته وهذا ما عبر عنه وهو يقول: «إنما هي نفسي أرورضها بالتقوى، لتأتي آمنة يوم الفزع الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق، ولو شئت لاحتدىت إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيئات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعياً إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليهادة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع»^(٢).

(٢) مبدأ المراقبة والمحاسبة: يمثل هذا المبدأ نهج علي في الحكم، والسياسة، والإدارة فهو يخضع نفسه أولاً كقائد للمحاسبة والمساءلة حتى

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤١١

(٢) عبده نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٦٠

في أكله وملبسه، قال عبد الله بن أبي رافع: دخلت إليه يوم عيد، فقدم جرابا مختوما، فوجدنا فيه خبز شعير مرضوضا، فقدم فأكل، فقلت: يا أمير المؤمنين، فكيف تختمه؟ قال: خفت هذين الولدين أن يلتهما سمن أو زيت^(١). ويعمل على مراقبة ومحاسبة العاملين في جهاز الدولة بل ويشدد عليهم حين يتجاوزون العدل في معاملتهم، فقد خاطب المنذر بن الجارود العبدي بعد خيانته في عمله: أما بعد: «فإن صلاح أبيك غرني منك، وظننت أنك تتبع هديه، وتسلك سبيله، فإذا أنت فيها رقي إلى عنك، لا تدع لهواك انقيادا، ولا تبقي لآخرتك عتادا، تعمر دنياك وتخرب آخرتك، وتصل عشيرتك بقطيعة دينك، ولئن كان ما بلغني عنك حقا لجمل أهلك، وشسع نعلك، خير منك، ومن كان بصفتك، فليس بأهل أن يسد به ثغر، أو ينفذ به أمر، أو يعلى له قدر، أو يشرك فيأمانة، أو يؤمن على جباية، فأقبل إلى حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله»^(٢).

(٣) مبدأ تحمل المسؤولية: وهو ما ميز الإمام علي طيلة حياته، فقد كان في مقدمة البارزين للتصدي للمسؤوليات التي يعجز عن تحملها الآخرون في السلم والحرب، وقد صدح بالحق حين تولى أمر الخلافة وقال بلغة حازمة عن سياسته في استرداد قطائع عثمان: «والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك الإمام لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق»^(٣). وفي معركة ذات السلاسل وبعد أن أخفق عدد من الصحابة في

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج ١، ص ١٧

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٦١٨

(٣) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٦٧

إنجاز أي تقدم في حربهم ضد الأعراب المتآمرين كلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً للقيام بدوره في تحقيق النصر المطلوب، وسار علي بن معاذ يكمن بالنهار ويسير بالليل حتى اقترب من القوم وانتظر، ومع تبشير الصباح انقضى بمن معه على القوم حين غفلة منهم وأمعنوا بهم قتلاً وأسرًا حتى استسلما له وتم الفتح على يده ونزلت على النبي (صلى الله عليه وآله) سورة العاديات بهذه المناسبة، وأمر الرسول (صلى الله عليه وآله) المسلمين بعد ذلك أن يخرجوا الاستقبال علي ومن معه حين قدومه^(١).

(٤) مبدأ الاستقامة والنزاهة: لقد حفلت سيرته (عليه السلام) بالمواقف المشرفة التي برز فيها في السلم والحرب، والأمن والخطر، والوحدة والجماعة؛ والاستقامة والنزاهة لم تفارقها علياً في محنته قبل الخلافة وبعدها، فهو ليس بالسياسي الذي يتنهز الفرص ولا بالطامع في الحكم فيجري لاهثاً وراء سلطان لا يدوم ومقام سيزول؛ وجاءته الفرصة سانحة حين خاطبه العباس وأبو سفيان بمبایعاته له ولكنها ترفع أن يستخدم هذا الأسلوب في استرداد حقه، حيث قال: «أيها الناس شقوا أمواج الفتنة بسفن النجاة، ورجعوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة. أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح. هذاماء آجن، ولقمة يغص بها آكلها، ومجتنبي الشمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه»^(٢). ولم يحدثنا التاريخ بنزاهة حاكم واستقامته على مبادئه كما كان علي في حياته وحكمه، فهو ساوي نفسه بالفقراء والمحاجين، وقال عن ذلك: «أأقنع من نفسي بأن يقال: ((هذا أمير المؤمنين))، ولا

(١) الحسني، سيرة الأئمة الإثنى عشر، ج ١، ص ٢٦٢

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ١، ص ٦٠

أشار كهم مكاره الدهر، أو أكون لهم أسوة في جشوبة العيش»^(١). وكان (عليه السلام) يلزم نفسه بأمور شديدة في المأكل والملبس حتى لا يتميز عن بقية أفراد شعبيه بشيء، ومخاطب أحد ولاته وهو يقول له: «ألا وإن لكل مأمور إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد»^(٢).

(٥) مبدأ العدل والإنصاف: وكان نهج علي في عمله كقائد هو ترجمان لما ردهه من مقولاته عن العدل: «العدل أقوى أساس»^(٣) و«العدل رأس الإيمان وجماع الإحسان»^(٤)، و«العدل حياة والجحود محاة»^(٥)، و«العدل قوام الرعية وجمال الولاية»^(٦)، و«عدل السلطان حياة الرعية وصلاح البرية»^(٧)، فكان بنفسه يتفقد الأسواق ويتفحص الباعة ويدركهم بالآخرة، قائلاً: «قدموا الاستخارة، وتركتوا بالسهولة، واقتربوا من المبعدين، وتزيروا بالحلل، وتناهوا عن اليمين، وجانبوا الكذب، وتجافوا عن الظلم، وأنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا، وأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعشو في الأرض مفسدين»^(٨). وعلى أعلى بنفسه تبرؤه من الظلم واغتصاب حقوق

(١) عبده نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٦١

(٢) عبده نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٥٩

(٣) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ١٩٣

(٤) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ١٩٣

(٥) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ١٩٣

(٦) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ١٩٣

(٧) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ١٩٣

(٨) العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٧، كتاب التجارة، ص ٣٨٣

العبد، وهو يقول في هذا الأمر: «والله لأن أبىت على حسك السعدان مسها، وأجر في الأغلال مصفدا، أحب إلى من ألقى الله ورسوله يوم القيمة ظالما بعض العباد، وغاصبا لشيء من الطعام! وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفوها، ويطول في الشرى حلوها»^(١). ويدرك في الخطبة نفسها موقفه الصارم مع أخيه عقيل الذي جاء يستجديه أن يزيده صاعاً من الطعام، ومع علم علي بصدق أخيه والوضع البائس لأولاده إلا أنه أراد أن يعلم عقila وغيره من الناس أن عليا لا يفرق في المعاملة بين قريب وغريب عندما تمس المسألة المال العام للمسلمين أو مصالحهم!

(٦) مبدأ الصدق والشفافية: إن ما يعطى القائد القوة والمكانة في جماعته أو أفراد شعبه هو صدقه وشفافيته في عرض الحقائق، ولقد اتضح لنا فيما تقدم ذكره كيفية تعامل الإمام (عليه السلام) مع من حوله ومكاشفته لهم بسياساته وتوجهاته الإصلاحية، فكان يقرن القول بالعمل فهو يقول عن الكذب: «لا يجد عبدٌ طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده»^(٢). وقرن الإيمان بالصدق، فقال: «الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك، وأن لا يكون في حديثك فضل عن عملك، وأن تتقى الله في حديث غيرك»^(٣). وحينما ولـي أمر الخلافة، خاطب القوم بقوله بصرامة تامة عن منهجه في الحكم فقال: «لم تكن بيعتم إبـايـي فـلـتـةـ، وليـسـ أـمـرـيـ وـأـمـرـكـ واحدـ، إـيـ أـرـيـدـكـمـ لـلـهـ وـأـنـتـمـ تـرـيـدـوـنـيـ لـأـنـفـسـكـمـ. أـيـهـاـ النـاسـ!ـ، أـعـيـنـوـنـيـ عـلـىـ

(١) الصالح، نهج البلاغة، خ ٢٤٦، ص ٣٤٦

(٢) الحراني، تحف العقول، ص ١٥٣

(٣) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٢٧

أنفسكم، وايم الله! لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامته، حتى أورده منهل الحق وإن كان كارها»^(١).

(٧) مبدأ الشرعية (الكتاب والسنّة): الشرعية عند الإمام (عليه السلام) هي تحقيق ما فرضه الله على عباده من إقامة القسط كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولُ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَإِنَّا هُنَّا حَذِيرَةٌ فِيْهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يُنْصُرُهُ وَرَسُلُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٢). وفي الحكم يعني القسط أن تكون أفعال القائد وأقواله تبعًا لميزان الشرع، ولقد بين الإمام مفهوم الشرعية في قوله: «إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمُ الْفَرَائِضَ فَلَا تُضِيِّعُوهَا، وَحَدَّ لَكُمْ حَدَّوْدًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَنَهَاكُمْ عَنِ الْأَشْيَاءِ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتْ لَكُمْ عَنِ الْأَشْيَاءِ وَلَمْ يَدْعُهَا نَسِيَانًا فَلَا تَتَكَلَّفُوهَا»^(٣). ومخاطب مالك الأشتر في كتابه إليه قائلاً: «أَمْرُهُ بِتَقْوِيَ اللَّهِ، وَإِيَّاشَ طَاعَتْهُ، وَاتِّبَاعُ مَا أَمْرَبْهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضَهُ وَسَنَنِهِ الَّتِي لَا يُسَعِدُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِتَابَاهَا، وَلَا يُشْقِي إِلَّا مَعْ جَحودِهَا وَاضْعافِهَا»^(٤)، ويقول له في موضع آخر من هذا الكتاب: «واردد إلى الله ورسوله ما يضلك من الخطوب، ويشتبه عليك من الأمور، فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾. فالرد

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٨٤

(٢) سورة الحديد، الآية ٢٥

(٣) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٤٨ - ٦٤٩

(٤) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٧١ - ٥٧٢

إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بسته الجامعة غير المفرقة^(١).

(٨) مبدأ حرية الإنسان وكرامته: حرية الإنسان وكرامته هي من الركائز العقائدية والاجتماعية والسياسية في الدين الإسلامي، فقد جاء في القرآن الكريم ما يؤكد هذا المعنى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمَّى الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التُّورَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَاثَ وَيَضْعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢). وركز الإسلام على المساواة وإذابة الفوارق بين أفراد المجتمع ووضع التقوى كمعيار للتفاضل بين الناس كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائلَ لِتَعَاوَرُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنَّقَارَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَبِيرٌ﴾^(٣). والإمام (عليه السلام) يرى أن تكون الحرية للإنسان في كل مجالات الحياة الروحية والعقلية والاجتماعية والأخلاقية، ومن ذلك قوله (عليه السلام): «إن قوماً عبدوا الله سبحانه رغبة فتلك عبادة التجار وقوماً عبدوه رهبة فتلك عبادة العبيد وقوماً عبدوه شكرًا فتلك عبادة الأحرار»^(٤). وفي الجانب الفكري يقول الإمام (عليه السلام): «لا تكون عبد غيرك وقد جعلك الله سبحانه حرافها خيراً

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٨١

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٧

(٣) لجنة التاريخ، تاريخ الإسلام، ج ١، ص ٢٢٣

(٤) الأدمي، حكم الإمام علي، ص ٧٠

خيراً لا ينال إلا بشر ويسراً لا ينال إلا بعسر^(١). ويحض المرء للمحافظة على كرامته فيقول: «فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها»^(٢). وللحفاظ على كرامة الإنسان في المجتمع يوجه الغني والفقير للعمل بهذه الحكمة: «ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله»^(٣). وإنه (عليه السلام) لا يرى تفاوتاً بين الخلق إلا بما ورد في الكتاب والسنة وهو يقول: «فأفضل الناس -أيها الناس- عند الله منزلة وأعظمهم عند الله خطراً أطوعهم لأمر الله وأعلمهم بطاعة الله وأتباعهم لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأحيائهم لكتاب الله فليس لأحد من خلق الله عند فضل إلا بطاعة الله وطاعة رسوله واتباع كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله»^(٤).

(٩) مبدأ الزهد والقناعة: ضرب الإمام علي المثل الأعلى في زهده في هذه الدنيا وقناعته باليسير منها، فقال عنه ابن أبي الحديد: وأما الزهد في الدنيا فهو سيد الرهاد، وبدل الأبدال، وإليه تشد الرحال، وعنده تنفس الأحلاس، ما شبع من طعام قط. وكان أخشن الناس مأكلًا وملبساً، قال عبد الله بن أبي رافع: دخلت إليه يوم عيد، فقدم جراباً مختوماً، فوجدنا فيه خبز شعير مرضوضاً، فقدم فأكل، فقلت: يا أمير المؤمنين، فكيف تختمه؟ قال: خفت هذين الولدين أن يلتاه بسمن أو زيت^(٥). وقال (عليه السلام)

(١) الأَمْدِي، حُكْمُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ، ص ٢٥٣-٢٥٤

(٢) عَبْدُهُ، نَهْجُ الْبَلَاغَةِ، ج ٤، ص ٦٣٩

(٣) عَبْدُهُ، نَهْجُ الْبَلَاغَةِ، ج ٤، ص ٧١٧

(٤) الْحَرَانِي، تَحْفَ الْعُقُولِ، ص ١٢٨

(٥) ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ، شَرْحُ النَّهْجِ، ج ١، ص ١٧

عن الزهد: الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه: ﴿لَكِ لَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفه^(١). ويوضح (عليه السلام) الزهد في جوانبه الفكرية والأخلاقية، فيقول: «الزهد أن لا تطلب المفقود حتى يعدم الموجود»^(٢)، و«الزهد تقصير الآمال وإخلاص الأعمال»^(٣) و«زهد المرء فيما يفني على قدر يقينه بما يبقى»^(٤). ويتحدث عن نفسه كقائد زاهد في هذه الدنيا، فيقول: «ألا وإن لكل مأمور إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بظمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد»^(٥).

(١٠) **مبدأ الإخلاص في العمل:** لقد كان الإمام علي (عليه السلام) سباقاً للعمل بما يعظ به الآخرون، ونموذجًا يحتذى به في العبادة والطاعة لله ولرسوله، وعلى هادياً في علمه وأخلاقه وشجاعته، وكان الإخلاص لله هو المنطلق لما كان يقوم به في كل عمل لتحصيل مرضاته، فقد قال عن أمر الخلافة: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ولا التماس من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك»^(٦). وتحدث

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٢٤

(٢) الأدمي، حكم الإمام علي، ص ١٥٦

(٣) الأدمي، حكم الإمام علي، ص ١٥٦

(٤) الأدمي، حكم الإمام علي، ص ١٥٦

(٥) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٥٩

(٦) عبده، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٧٨

عن الإخلاص فقال: «إخلاص العمل من قوة اليقين وصلاح النية»^(١)، و«الإخلاص خير العمل»^(٢)، و«أخلصوا إذا عملتم»^(٣). ويتحدث الإمام عن الإخلاص كمنهج في الحياة فيقول: «طوبى لمن أخلص الله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناته، ولم يحزن صدره بما أعطى غيره»^(٤).

(١١) مبدأ الرعاية والخدمة: مرت علينا شواهد كثيرة من اهتمام الإمام البالغ برعيته وأنه كان يقوم بنفسه بقضاء حوائجه وحل مشكلاتهم، وروى سعيد بن القيس الهمداني أنه رأه في شدة الحر في فناء حائط، فقال له: يا أمير المؤمنين بهذه الساعة؟ قال: ما خرجت إلا لأعین مظلوماً أو أغاث ملهوفاً^(٥)، ويشير (عليه السلام) إلى الخيرية في قضاء حوائج الناس فيقول: «خير الإخوان من لا يحوج إخوانه إلى سواه»^(٦)، و«خير إخوانك من واساك بخيره وخير منه من أغناك عن غيره»^(٧)، و«خير الناس من تحمل مؤونة الناس»^(٨). ويوصي الإمام (عليه السلام) مالكاً بخدمة المحرومين، فيقول: «واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه للذي خلقك، وتقدّم عليهم جندك وأعوانك،

(١) الأَمْدِيُّ، حُكْمُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ، ص ٢٠

(٢) الأَمْدِيُّ، حُكْمُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ، ص ٢٠

(٣) الأَمْدِيُّ، حُكْمُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ، ص ٢٠

(٤) المُشْكِنِيُّ، مُسْلِكُنَا، ص ٢٣٣-٢٣٢

(٥) المُفِيدُ، الْاِخْتِصَاصُ، ص ١٥٧

(٦) الأَمْدِيُّ، حُكْمُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ، ص ١٣٧

(٧) الأَمْدِيُّ، حُكْمُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ، ص ١٣٨

(٨) الأَمْدِيُّ، حُكْمُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ، ص ١٣٩

من أحراسك وشرطك، حتى يكلمك متكلّمهم غير متعنّع، فإني سمعت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول في غير موطن: لَنْ تَقْدِسْ أَمَةً لَا يُؤْخَذُ لِلْفَسَادِ فِيهَا حَقَّهُ مَنْ الْقَوِيُّ غَير متعنّع»^(١).

(١٢) مبدأ العلم والمعرفة: العلم فيما يتصل بالقيادة عند الإمام علي (عليه السلام) يكمن في الاعتماد على الإحاطة بالكتاب والسنّة والعقل كأساس في إصدار الأحكام واتخاذ القرارات، وفي هذا الجانب يطرح الإمام آراءه حول ضرورة الوعي وأهمية العلم وهو يخاطب كميل بن زياد النخعي: «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا». احفظ عنّي ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستطعوا بنور العلم فيهتدوا ولم يلجهؤوا إلى ركن وثيق فينجووا»^(٢). ويؤكد الإمام علي (عليه السلام) أيضاً على أهمية الإمام بالتاريخ ومعرفة الشعوب وحضارتها، فيقول لابنه الحسن: «أَحَبِّي قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمْتَهُ بِالْزَّهَادَةِ، وَقَوْهُ بِالْيَقِينِ، وَنُورُهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلْلَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرْرَهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصَرُهُ فِجَائِعُ الدُّنْيَا، وَحَذْرُهُ صُولَةُ الدَّهْرِ، وَفَحْشُ تَقْلِبِ الْلَّيَالِيِّ وَالْأَيَّامِ، وَأَعْرَضُ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكْرُهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْأَوْلَى، وَسَرَّ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانظُرْ فِيمَا فَعَلُوا، وَعِمَّا انتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُوا وَنَزَلُوا، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدْ انتَقَلُوا عَنِ الْأَحَبَةِ، وَحَلُوا دَارَ الْغَرْبَةِ، وَكَأْنَكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صَرَّتْ كَأَحَدِهِمْ»^(٣)، ويقول عن التدبر في الأمور: «مَنْ اسْتَقْبَلَ وَجْهَ الْأَرَاءِ عَرَفَ

(١) عَبْدَهُ، نَهْجُ الْبَلَاغَةِ، ج٣، ص٥٨٨-٥٨٩

(٢) الْحَرَانِيُّ، تَحْفَ الْعُقُولِ، ص١١٧-١١٨

(٣) عَبْدَهُ، نَهْجُ الْبَلَاغَةِ، ج٣، ص٥٢٧-٥٢٨

موقع الخطأ^(١)، و«الفكر مرآة صافية، والاعتبار منذر ناصح، وكفى أدبا لنفسك تجنبك ما كرهته لغيرك»^(٢). ويقول (عليه السلام): «الظفر بالحزم والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحصين الأسرار»^(٣)، ويتحدث عن عدة القائد في الحكم فيقول: «لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالأدب، ولا ظهير كالمشاورة»^(٤).

(١٣) مبدأ النصح والمشورة: لقد وجه الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا المبدأ في قوله: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِتَنْتَ لَهُمْ وَلَوْكُنْتَ فَنَّا غَلِيلَ الْقُلُوبِ لَأَنَّفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ»^(٥)، كما كان عليه الصلاة والسلام يستشير أصحابه في تصريف بعض الأمور في الحرب وغيرها لا لنقص أو قصور في المعرفة لديه، بل ليكون القدوة في ترسیخ مبدأ المشورة في الحكم والإدارة حتى يقتدي الآخرون به في هذا المجال، وسار عليه على خطى الرسول فأكمل في أحاديثه وخطبه على النصح والمشاورة، فقال (عليه السلام): «ما حار من استخار، ولا ندم من استشار»^(٦)، و«من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقوتها»^(٧)، و«من استرشد العلم أرشده»^(٨)، و«من استعان

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٦٦

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٠٧

(٣) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٣٧

(٤) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٣٧

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٥٩

(٦) الحراني، تحف العقول، ص ١٤٦

(٧) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٦٥

(٨) الأمدي، حكم الإمام علي، ص ٣٠٤

بذوي الألباب سلك سبيل الرشاد^(١)، و«من استشار ذوي النهى والألباب فاز بالحزم والسداد»^(٢). وقال (عليه السلام) عن النصح: «مناصحك شفيف عليك محسن إليك ناظر في عوائقك مستدرك فوارطك طاعته رشادك وفي خالفته فسادك»^(٣)، وقال عن الموعظة: «من وعظك أحسن إليك»^(٤) و«من وعظك فلا توحشه»^(٥). ومخاطب الإمام مالكا بخصوص اختيار العمال الناصحين في الحكومة فقال: «وتوجه منهم أهل التجربة والحياة، من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة، فأئمهم أكرم أخلاقاً، وأصح أغراضها، وأقل في المطامع إشراقاً، وأبلغ في عوائب الأمور نظراً»^(٦).

(١٤) مبدأ التواصل مع الآخرين: تعد عملية التواصل بين القائد وأتباعه من الأركان الأساسية في عملية القيادة، ويعبر عنه بالخلق الاجتماعي للقائد وهو: اهتمام شخصي بحاجات وهموم الآخرين، ورغبة في تكوين علاقات إنسانية معهم، واهتمام خاص برعايتهم وإظهار المودة والمحبة لهم، وتوفير المناخ العاطفي والإيجابي الذي يشجعهم على الاقتراب منه والتواصل معه بصورة مباشرة^(٧). والإمام علي (عليه السلام) كقائد للأمة الإسلامية لم يتجنب عن رعيته في النساء والضراء، وكان على اتصال دائم بالصغير

(١) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ٣٠٤

(٢) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ٣٠٤

(٣) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ٣٥١

(٤) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ٣٥٠

(٥) الآمدي، حكم الإمام علي، ص ٣٥٠

(٦) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٨٣.

(٧) Northouse, Leadership. PP 20

والكبير، والمرأة والرجل، والمسلم والذمي يسمع كلامهم، وينصت لظلماتهم، ويعرف حاجاتهم ومشكلاتهم، ويسعى بنفسه لسد النقص أو إصلاح الخطأ فيما وقع عليهم. وكان لا يدخل عليهم بجواب في مسألة أو يزيف عنهم شك وارتياب أو يصر لهم بنصح وموعظة، وللإمام (عليه السلام) في ذلك أقوال ومواقف وأفعال ذكرنا بعضها في الجانب القيادي لمسيرته، فيخاطب الحارث الهمداني ناصحاً: «واحدر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه، ويُكره لعامة المسلمين، واحدر كل عمل يعمل به في السر، ويستحي منه في العلانية، واحدر كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره، أو اعتذر منه، ولا تجعل عرضك غرضاً لنبال القوم»^(١). ووجه الإمام (عليه السلام) كتاباً إلى أمراء البلاد في الإيتان بفرضية الصلاة فقال: «أما بعد: فصلوا بالناس الظهر حتى تفيء الشمس من مربض العنز، وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء حية في عضو من النهار، حين يسار فيها فرسخان، وصلوا بهم المغرب حين يفتر الصائم، ويدفع الحاج إلى مني، وصلوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق إلى ثلث الليل، وصلوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه، وصلوا بهم صلاة أضعفهم، ولا تكونوا افتانين»^(٢).

ومن مظاهر الاهتمام البارزة والتواصل الإنساني للإمام مع شعبه ما جاء في خطاب سودة بنت عمارة الهمدانية بعد أن دخلت على معاوية وهي تتحدث عن عدل علي (عليه السلام). فقالت: لقد جئته في رجل ولاه على صدقاتنا، فجأر علينا. فصادفته قائماً يصلي فلما رأي انقتل من صلاته ثم أقبل

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٦١٥

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٧٠-٥٧١

علي برأفة ورحمة ورفق وتعطف، وقال: ألم حاجة؟ قلت نعم فأخبرته بالخبر، فبكى ثم قال: اللهم أنت الشاهد علي وعليهم وأني لم أمرهم بظلم خلقك، ثم أخرج قطعة من جلد فكتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم. قد جاءكم بيضة من ربكم فأوفوا الكيل ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلك خير لكم إن كتم مؤمنين. فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك، والسلام^(١).»

٢٧٣

(١٥) **مبدأ الشجاعة الأخلاقية:** الشجاعة الأخلاقية جزء أصيل في شخصية الإمام (عليه السلام)، وعندما تتصرف مسيرته تقف على ما يحير الألباب والعقول من المواقف في سلوك هذا القائد العظيم! وشجاعة علي الأخلاقية ليست فيما أعطاه الله من قوة في جسده فقط بل هي نفحة وهبها الله إياه في روحه وخلقه الذي يتميز بضبط النفس، والحلم، وطول الأنفة وهو قادر على البطش، والصفح عن أعدائه. ويظهر ذلك الأمر بوضوح تام في مواقف نصرة المظلومين والمستضعفين كما جاء في وداعه لأبي ذر (رضوان الله عليه)، ونراه متجلياً في مواقفه المشرفة مع أصحاب الجمل الذين ناصبوه العداء وشتموه على رؤوس الأشهاد كيف عفا عنهم جميعاً حينما ظفر بهم وتركهم يختارون طريقهم دون أن يكرههم على أن يبايعوه أو يقرروا له بالخلافة! وكان بذلك الإمام يطبق عملياً مقولته: «إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكر اللقدرة عليه»^(٢). وأوصى الإمام علي ابنه الحسن (عليه السلام) بكظم

(١) القزويني، الإمام علي من المهد إلى اللحد، ص ١٥٧

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٣٨

الغيط وهو يقول له: «وتجرع الغيظ فإني لم أرج رحمة أحل منها عاقبة، ولا أذى مغبة. ولن من غالطك فإنه يوشك أن يلين لك، وخذ على عدوك بالفضل فإنه إحدى الظفرتين»^(١).

وكانت الشواهد والأدلة العملية مصاديق لأقواله ووصاياته كما حدث في المواقف الآتية:

* كان الإمام علي (عليه السلام) جالساً في أصحابه، فمرت بهم امرأة جميلة، فرمقها القوم بأبصارهم، فقال (عليه السلام): إن أبصار هذه الفحول طوامح، وإن ذلك سبب هياها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهلها، فإنها هي امرأة كامرأة. فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه! فوثب القوم ليقتلوه، فقال: رويداً إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب^(٢).

* وفي معركة صفين عندما تحول الموقف لصالح علي وجيشه بعد ساعات من الاقتتال، وحين سيطر جيش علي على مورد الماء أراد الجنود أن يمنعوهم الماء انتقاماً منهم! ولكن علي (عليه السلام) الذي يحمل أخلاق النبوة أبى إلا أن يعلم أصحابه وأعداءه درساً في العفو عند المقدرة، ومخاطب رسول معاوية الذين كانوا يتسلون للحصول على قطرة ماء: خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلى معسكركم وخلوا عنهم، فإن الله عز وجل نصركم عليهم لظلمهم وبغيهم^(٣).

(١) عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٤٠

(٢) عبده، نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٢٠

(٣) العقاد، عبرية الإمام، ص ٢٠

* كان ابن الكواه وهو من المعارضين يؤذى الإمام بأقواله، وكان من سعة حلم الإمام (عليه السلام) وعظيم أخلاقه أن يفسح المجال لهذا المتجرس عليه، ولم يتّخذ معه الإجراءات الصارمة فيعتقله أو ينفيه، وقد آل أمر هذا المنحرف أن صار من عيون الخوارج، فكان يجاه الإمام بالكلمات القاسية فيقول له: (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ)، فيجيبه الإمام المتحسن بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفْنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(١).

وخلال هذه القول في أخلاقيات القيادة المسؤولة عند الإمام علي (عليه السلام) إنما تقدم للعالم صورة للحاكم النموذجي الذي استطاع أن يحكم العالم الإسلامي، الذي يضم عدة دولٍ في المشرق والمغرب في ذلك الوقت، بعدله ونزاهته واستقامته وصدقه وإخلاصه في سبيل خدمة رعاياه وتوفير حقوقهم، وأن يؤسس الحكومة الصالحة التي يكون فيها الحاكم العدو الأكبر للظلم والعدوان والطبيقة، واستعباد الناس واستغلال ثرواتهم في تحقيق المصالح الشخصية أو القبلية أو المذهبية. وخاض هذا الحاكم بنفسه ثلاثة حروب طاحنة لتحقيق ذلك المجتمع الفاضل الذي تحكمه القيم والأخلاق، ويتساوى فيه كل البشر بمختلف أعرافهم ومذاهبهم ورجائهم ونسائهم أمام القانون ولا يتميز أحدهم على الآخر إلا بتقواه وإيمانه وطاعته لله ورسوله.

وكان هذا الحاكم العادل يقوم بنفسه بخدمة شعبه واستيفاء حقوقهم، ومحاسبة المسؤولين على تقديرهم وأخطائهم، ويلاحق أصحاب المال والثروات في تنفيذ التزاماتهم تجاه الفقراء والمساكين، ويلزم نفسه باتباع

(١) القرشي، موسوعة الإمام علي، ج ٨، ص ١٤٤

منهج صارم في الزهد والقناعة والاكتفاء بأبسط مظاهر العيش أسوة بالمساكين والمحرومين، ويجسد في سلوكياته الأخلاقية والاجتماعية والعبادية أعظم نموذج قيادي في العالم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. وهو الحاكم المسلم الذي تعيش معه معارضوه دون أن ينالهم أذى من أتباعه أو يحرموا من عطائهم من بيت المال نتيجة لواقفهم المعادية للإمام ما داموا لم يعرضوا الأمان الاجتماعي للخطر أو يتعدوا على الآخرين!

وجدير بكل حكام العالم اليوم أن يقرؤوا سيرته، ويتفعلوا بأقواله ووصاياته، ويسترشدوا بمقوماته وسلوكياته في السلم والحرب وتدبير شؤون الحكم؛ وخلافاً لما جاء في كتاب ميكافيللي عن السياسة فإن الإمام يطرح في عهده للأشرتر المعالم الأساسية للحكومة العادلة التي توفر الأمان والأمان، والحياة الكريمة ل مختلف طبقات الشعب، وتجعل من الحاكم خادماً للشعب ومسئولاً[ً] بصورة مباشرة عن استيفاء حقوقهم ورد الظلم والعدوان عنهم، ومحاسبة كل منحرف وفاسد في الدولة دون اعتبار منزلته الاجتماعية أو السياسية أو الدينية.

الخاتمة

هدفت هذه الدراسة التعرف على خصوصية القيادة العلوية مقارنة بالنظريات الوضعية في القيادة، عن طريق استقراء الجانب القيادي في سيرة الإمام، إذ تم استخلاص النظرية التي تجلت بوضوح في الممارسات القيادية للإمام علي (عليه السلام) والنموذج التطبيقي لها والذي كان يوجه عمله كقائد للأمة الإسلامية في فترة خلافته، وذلك عن طريق دراسة نشأته القيادية، والاستعانة بعدد من النماذج لأقوال الإمام ووصاياته، وتوجيهاته الشريفة، والأحداث التاريخية والعسكرية، والمواقف الاجتماعية التي كان الإمام (عليه السلام) طرفاً مباشراً فيها وهو يقوم بأداء المهام والتکالیف التي كلف بإنجازها بعد وفاة رسول الله (صلی الله علیه وآلہ).

وقد استعرضنا في الفصل الأول الجوانب التكوينية والاجتماعية لشخصية الإمام منذ نشأته حتى بلوغه المراحل المتقدمة في عمره الشريف، حيث برز في هذا المجال الجانب الأسري وما يمثله من مكانة اجتماعية وسياسية في ذلك العصر، وكذلك الرعاية النبوية الخاصة التي أولاها رسول الله (صلی الله علیه وآلہ) للإمام منذ نعومة أظفاره حتى بداية شبابه واستمرت معه حتى وفاته، واستخلصنا عن طريق دراسة سيرته المباركة الخصائص الرسالية، والسمات القيادية للإمام (عليه السلام)، كما أوضحنا بتفصيل واف طبيعة العمل القيادي الذي مارسه الإمام علي أثناء فترة حكمه. وخلصنا إلى أن الإمام يمتلك خصائص رسالية يتميز بها عن بقية الصحابة في المجالات المعرفية، والعبادية، والأخلاقية، والتربيوية، والإنسانية كما أن الإمام لديه استعدادات

ومواهب بارزة في القيادة، كبعد النظر، وقوة الشخصية، والشجاعة، والتزاهة، والاستقامة، وغيرها من الصفات الرفيعة واللازمة لقيادة الأمة بواسطة قائد من طراز علي (عليه السلام).

وفي الفصل الثاني تم التطرق لتطور مفهوم القيادة في التاريخ الإنساني، والمفاهيم اللغوية والاصطلاحية للقيادة ونظرياتها وما أنتجته من تصورات ورؤى حول القيادة وفاعليتها في الواقع الموضوعي، وطرحنا بجانب ذلك الرؤية الإسلامية للقيادة والتي تختلف تماماً عما هو متعارف في مدارس الفكر القيادي؛ وخلصنا إلى إن قيادة الإمام علي (عليه السلام) تستمدّ أصالتها وشرعيتها من النظرية القرآنية للخلافة والإمامية، وهي جعل إلهي في الجانب الديني والرسالي، وأن خط القيادة الإلهية يستمر في الأئمة الهادين من بعد الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كما جاء في الروايات الواضحة والمؤكدة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وللتعرف على القيادة العلوية في الأحداث قمنا في الفصل الثالث بتحليل العملية القيادية عند الإمام علي (عليه السلام) وفلسفتها وأهدافها، والأدوار القيادية التي اطلع بها في فترة خلافته، وقمنا بعقد مقارنة بين أدوار القائد عند الإمام والنظريات الحديثة في القيادة، حيث اتضح لنا أن هناك الكثير من القواسم المشتركة بين هذه النظريات والقيادة العلوية، وأن علياً (عليه السلام) يفترق عنها في أنه إمام ووصي مسدّد من السماء فلا يعتريه التقص أو الخطأ في التصور أو التفكير بالرأي، وإن قيادته (عليه السلام) ترتبط بالتوكيل الإلهي الذي عهد به رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إليه في القتال

على التأويل وتصحيح مسيرة الإسلام في فترة حكمه.

وفي الفصل الرابع، قادنا هذا التحليل للاستنتاج بأن مفهوم «القيادة المسئولة» هو الأقرب لتفسير نظرية القيادة عند الإمام. وتؤكد الأحداث التاريخية والمارسات الإصلاحية التي قام بها الإمام في فترة حكمه على صحة ما ذهبنا إليه، وتجلى هذا الأمر بوضوح فيما قام به من أدوار متنوعة ترتبط بحاجات الأفراد والمجتمع في مجالات الإصلاح السياسي، والتربية التهذيبية، والتغيير الاجتماعي، والقيادة العسكرية، والتخطيط الإستراتيجي. وخلصنا إلى أن نظرية القيادة المسئولة عند الإمام (عليه السلام) ترتكز على مجموعة من المبادئ والمثل الأخلاقية كالعدل والإنصاف، والتواضع والزهد، والشجاعة في الحق، والصفح والحلم، والتعاطف والمحبة، والاستقامة والثبات على الحق، وغيرها من الفضائل الجمة التي كانت توجه سلوكه القيادي. وفي ضوء هذه النظرية قدمنا النموذج العلوي للقيادة الأخلاقية الذي يتضمن سيرورة عملية القيادة في الواقع الاجتماعي في مكوناته الخمس: الرؤية والرسالة الواضحة، والقيادة الشجاعية، والقيادة القدوة، والقيادة القيمية، والقيادة الخادمة إلى عملية تفاعل وتبادل بين القائد وأتباعه في مختلف المجالات الروحية، والأخلاقية، والتربيوية، والإنسانية..

وفي نهاية الكتاب تناولنا في الفصل الخامس الحديث عن أخلاقيات القيادة في النظرية الغربية والنظرية الإسلامية، حيث اتضح لنا أن النظرية الإسلامية في الأخلاق تتضمن الأبعاد المختلفة للمسألة الأخلاقية وتقدمها في صورة متكاملة عن ربط الأخلاق بالعبادة، ومن استقرائنا لمسيرة الإمام الرسالية

والقيادة تم استخلاص خمسة عشر مبدأً في القيادة الأخلاقية لدى الإمام علي (عليه السلام)، ومن هذه المبادئ اقترحنا خمسة عشرة معياراً للقيادة الصالحة وكيفية رصدها ومتابعتها في السلوك القيادي لدى القائد كما هو مبين في الملحق الخاص بالمعايير الخاصة بالقيادة الصالحة.

((المصادر والمراجع العربية))

- القرآن الكريم.
١. ابن الجوزي، سبط (٢٠١٢). تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة، (ج ١). قم المقدسة: المجمع العالمي لأهل البيت.
 ٢. ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد (١٩٩١). مناقب آل أبي طالب، (ج) ٢. بيروت: دار الأضواء للنشر والتوزيع.
 ٣. ابن منظور، جمال الدين (٢٠٠٩). لسان العرب، بيروت: دار صادر
 ٤. الأصفهاني، أحمد (١٩٩٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
 ٥. الأعلمي، علاء الدين (٢٠٠٢). حكم رسول الله. بيروت: مؤسسة الأعلمي.
 ٦. الأميني، عبد الحسين (١٩٩٤). موسوعة الغدير، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
 ٧. الأamideي، عبد الواحد (٢٠٠٢). حكم الإمام علي. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
 ٨. الترمذى، محمد (٢٠١٥). سنن الترمذى. الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع.

٩. الجرجاني، علي (بدون تاريخ). معجم التعريفات. القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
١٠. الحجاج، مسلم (٢٠٠٦). صحيح مسلم. الرياض: دار طيبة.
١١. الحراني، الحسن (١٩٩٦). تحف العقول عن آل الرّسول، ط٦. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
١٢. الحسني، هاشم (١٩٧٨). سيرة المصطفى نظرة جديدة، ط٢. بيروت: دار القلم.
١٣. الحسني، هاشم (١٩٧٨). سيرة الائمة الإثنى عشر(ج١). بيروت: دار القلم
١٤. الحكيم، محمد (٢٠٠٣). المجتمع الإنساني في القرآن الكريم. بيروت: المركز الإسلامي المعاصر.
١٥. الحكيم، محمد (٢٠٠٤). الإمامة وأهل البيت. بيروت: المركز الإسلامي المعاصر.
١٦. الحكيمي، محمد وآخرون (١٩٨٠). الحياة. طهران: مكتب نشر الثقافة الإسلامية.
١٧. الخرسان، محمد (٢٠١٥). أخلاق الإمام علي (عليه السلام). النجف الأشرف: دار المرتضى.
١٨. الراشدي، لطيف (٢٠٠٤). القصص الأخلاقية عند الشّهيد دستغيب.

بيروت: دار الكتاب العربي.

١٩. الريشهري، محمد (٢٠٠١). ميزان الحكمة. قم: دار الحديث.

٢٠. الزين، سميح عاطف (١٩٨٠). مجمع البيان الحديث. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

٢١. السبزاوي، محمد (١٩٩٣). جامع الأخبار. بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

٢٢. الشرقاوي، عبد الرحمن (بدون تاريخ). على إمام المتدين. [WWW.Kotobarbia.Com](http://Kotobarbia.Com)

٢٣. الشريدة، عبد الله (٢٠٠٨). الإمام علي القائد السياسي الأمثل. بيروت: دار المحجة البيضاء.

٢٤. الشيرازي، ناصر (٢٠١٠). تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل. قم: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢٥. الصالح، صبحي (٢٠٠٤). نهج البلاغة. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

٢٦. الصدر، محمد باقر (١٩٧٩). بحث حول الولاية. بيروت: دار التعارف للمطبوعات.

٢٧. الصدوق، محمد (١٩٨٢). الخصال. قم المقدسة: جماعة المدرسین في الحوزة العلمية.

٢٨. الصفار، محمد (٢٠٠٥). بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد. قم: المكتبة الحيدرية
٢٩. الطبرسي، رضي الدين (١٩٧٢). مكارم الأخلاق. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٣٠. العاملي، محمد (٢٠٠٨). وسائل الشيعة في تحصيل مسائل الشريعة (ج١٧). بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
٣١. العقاد، عباس (١٩٦٧). عقيرية الإمام علي. بيروت: دار الكتاب العربي.
٣٢. الفكيكي، توفيق (١٩٦٢). الراعي والرعية. بغداد: مطبعة أسعد.
٣٣. الفيروزآبادي، مرتضى (١٩٧٣). فضائل الخمسة من الصاحب ستة. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٣٤. القرشي، باقر (٢٠٠٢). موسوعة أمير المؤمنين علي (عليه السلام). دار الهدى للطباعة والنشر.
٣٥. القزويني، محمد (١٩٩٣). علي من المهد إلى اللحد. بيروت: مؤسسة النور للمطبوعات.
٣٦. القطب الدين الرواندي، سعيد (٢٠٠٩). مكارم أخلاق النبي والأئمة. كربلاء المقدسة: العتبة العباسية المقدسة.
٣٧. المجلسي، محمد باقر (١٩٨٣). بحار الأنوار الجامعية لدرر أخبار الأئمة الأطهار. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣٨. المدرسي، هادي (٢٠١٠). أخلاقيات الإمام علي، (ج ١). بيروت: دار العلوم

٣٩. المسعودي، أبو الحسن (٢٠٠٥). مروج الذهب ومعادن الجوهر. بيروت: المكتبة العصرية.

٤٠. الموسوي، السيد مصطفى (١٩٧٥). الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن. طهران: دار المعلم للطباعة.

٤١. المشكيني، علي (١٩٩١). مسلكنا في الأخلاق والأصول والفروع. بيروت: دار الهادي.

٤٢. المصطفوي، حسن (١٩٧٣). التحقيق في كلمات القرآن الكريم. طهران: مركز نشر آثار العالمة المصطفوي.

٤٣. الغازلي، علي (١٩٨٢). مناقب علي بن أبي طالب. طهران: المكتبة الإسلامية .

٤٤. المفید، محمد (٢٠٠٨). الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد (ج ٢). بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

٤٥. المفید، محمد (٢٠٠٩). الاختصاص. بيروت: مؤسسة الأعلمی للمطبوعات.

٤٦. ابن أبي الحديد، عبد الحميد (٢٠٠٧). شرح نهج البلاغة، ج ١. بغداد: دار الكتاب العربي.

٤٧. أسبر، محمد (١٩٩٩). علي في القرآن والسنّة. سوريا: دار الأصالة للطباعة والنشر والتوزيع
٤٨. أنيس، إبراهيم، وأخرون (١٩٧٣). المعجم الوسيط. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٤٩. أيوب، سعيد (١٩٩٥). معالم الفتنة، (ج ١). قم المقدسة: جمع إحياء الثقافة الإسلامية.
٥٠. بدوي، أحمد (١٩٨٢). معجم المصطلحات الاجتماعية. بيروت: مكتبة لبنان
٥١. جرداق، جورج (٢٠٠٤). الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، (ح ١). قم المقدسة: طليعة النور
٥٢. جرداق، جورج (٢٠٠٥). روائع نهج البلاغة. قم المقدسة: مؤسسة معارف الفقه الإسلامي.
٥٣. جولمان، دانيال (٢٠٠٨). الذكاء العاطفي. الرياض: مكتبة جرير.
٥٤. حنبل، أحمد (٢٠١٣). مسند الإمام أحمد. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع.
٥٥. خالد، محمد (٢٠١٤). خلفاء الرسول. القاهرة: دار المقطم للنشر والتوزيع.
٥٦. رشوان، حسين (٢٠١٠). القيادة: دراسة في علم الاجتماع النفسي

- و والإداري والتنظيمي. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
٥٧. زهران، حامد (١٩٧٧). علم النفس الاجتماعي. القاهرة: عالم الكتب.
٥٨. سعيد، جلال الدين (٢٠٠٤). معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية. تونس: دار الجنوب للنشر.
٥٩. سلوب، نصري (١٩٧٣). في خطى علي. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
٦٠. سويدان، طارق (٢٠٠٠). القائد الفعال (الجزء الثاني). الرياض: قرطبة للإنتاج الفني.
٦١. شريعتي، علي (٢٠٠٧). علي في مخنه الثلاث. بيروت: دار الأمير.
٦٢. صليبا، جميل (١٩٨٢). المعجم الفلسفي (الجزء الثاني). بيروت: دار الكتاب اللبناني.
٦٣. عبد الفتاح، سيف (٢٠١٨). أسس الفكر السياسي الإسلامي (الجزء الثاني): مداخل الفكر السياسي الإسلامي. دراسات إسلامية، ص ١-٢٣.
٦٤. عبده، محمد (٢٠٠٣). نهج البلاغة. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٦٥. عبده، مصطفى (١٩٩٩). فلسفة الأخلاق. القاهرة: مكتبة مدبولي.
٦٦. عمارة، محمد (٢٠٠١). الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب. في حسن الأمين (محرر)، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية (ص ٢١١-٢٢٧). بيروت:

- دار التعارف للمطبوعات.
٦٧. عمر، أحمد (٢٠٠٨). معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتب.
٦٨. لجنة التاريخ (٢٠٠٦). تاريخ الإسلام (ج ١). قم: المنظمة العالمية للحو زات والمدارس العلمية.
٦٩. مجمع اللغة العربية (١٩٨٣). المعجم الفلسفـي. القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطبعـ والأميرـية.
٧٠. محمد، عبد الأمير ضاحـي (٢٠٢٠). الخطاب التربوي للرسول الأـكرـم. البحرين: دار رؤـى للنشر.
٧١. محمد، عبد الأمير ضاحـي (٢٠٢٠). القيادة المتسامـية للرسـول الأـكرـم. البحرين: دار رؤـى للنشر.
٧٢. مرعيـ، توفـيقـ وبـلـقـيسـ، أـحمدـ (١٩٨٤). المـيسـرـ في علمـ النـفـسـ الـاجـتمـاعـيـ. عـمانـ: دارـ العـرفـانـ.
٧٣. منفردـ، عـليـ (٢٠٠٦). قـصـةـ الـكـوـفـةـ. الـكـوـيـتـ: مـكـتـبةـ الـفـقـيـهـ.
٧٤. مـيكـافـيلـيـ، نـقـولاـ (٢٠٠٤). كـتابـ الـأـمـيرـ (ترجمـةـ أـكـرمـ مؤـمنـ). الـرـيـاضـ: مـكـتبـةـ السـاعـيـ للـنـشـرـ وـالتـوزـيعـ.
٧٥. هـانـترـ، جـيـسـ سـيـ (٢٠٠٦). مـبـدـأـ الـقـيـادـةـ الـأـكـثـرـ فـعـالـيـةـ فـيـ الـعـالـمـ. الـرـيـاضـ: مـكـتبـةـ جـرـيرـ.

٧٦. هشام، عبد الملك (١٩٩٥). سيرة النبي محمد (صلى الله عليه وآله). طنطا: دار الصحابة للتراث.
٧٧. هيفا، راجي (٢٠٠٧). الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر. بيروت: دار العلوم.

(المراجع الأجنبية)

Bass, B. (1990). From Transactional to Transformational Leadership: Learning to Share the Vision. *Organizational Dynamics*, .18(3), 19-31

Bass, B, M, & Stogdill, R. M. (1990). *Handbook of Leadership Theory, Research, & Managerial Applications*. New York: The .Free Press

Copeland, M. (2014). The Emerging Significance of Values-Based Leadership: Literature Review. *International Journal of Leadership Studies*, 8(2), 105-135

Covey, S. (1990). *The Seven Habits of Highly Effective People*. .New York: Rockefeller Center

Cashman, K. (2008). *Leadership from the Inside Out*. San Francis-co: Berrett-Koehler Publishers Inc

Fry, L, W. (2003). Toward a theory of spiritual leadership. *The Leadership Quarterly*, (14), 603-727

.Gardner, J. (1990). *On Leadership*. New York: Free Press

George, B. (2015). *Discover Your True North*. New Jersey: Johan .Wiley & Sons

Goleman, D. (2000). Leadership that Gets Results. *Harvard Re-view (March/April)*, 79-90



Jenson Kraemer, H, M. (2011). *From Values to Actions: The Four Principles of Values-Based Leadership*. San Francisco: Jossey-Bass Publishers

Kolzow, D. (2014) *Leading from Within: Building Organizational Leadership Capacity* (Electronic Copy)

Kouzes, J, & Posner, Barry. (2003). *Leadership Challenge*. San Francisco: Jossey-Bass Publishers

Munroe, M. (2004). *Spirit of Leadership*. New Kensington, PA: Whitaker House

Northouse, P. (2004). *Leadership: Theory and Practice*. Thousand Oaks, California: Sage Publications

Pless, N, M. & Maak, T. (2011). Responsible Leadership: Pathways to the Future. *Journal of Business Ethics*, (98), 3-13

Pockell, L., & Avila, A (Eds). (2007). *The 100 Greatest Leadership Principles of all time*. New York: Warner Business Books

Simpson, S. (2012). Styles, Models & Philosophy of Leadership. bookboon.com

Smith, G., Minor, M., & Brashen, H. (2018). Spiritual Leadership: A Guide to Leadership Style that Embraces Multiple Perspectives. *Journal of Instructional Research*, (7), 80-89

Stuckelberger, C. (2014). *Responsible Leadership Handbook*. WWW.Globethics



Taylor, D. H. (2007). *The Imperfect Leader*. Bloomington, IN: Author House

Yammarino, F. (2013). Leadership: Past, Present, and Future. *Journal of Leadership & Organizational Studies*, 20(2), 149-155



الملاحق:

معايير اختيار القيادة الصالحة وفقاً لرؤية الإمام علي (عليه السلام)

في تصورنا، إنه قد اتضح عن طريق ما تقدم من الشواهد والبيانات على تكامل الجوانب القيادية في شخصية الإمام علي (عليه السلام)، وما اجتمع لنا من معلومات ومعطيات حول مبادئه الأخلاقية في القيادة أن نقدم تصوراً للمعايير القيادة الصالحة على النحو الآتي:

المعيار الأول: شخصية القائد الإسلامي وخشائه لله سبحانه.

المعيار الثاني: مراقبة القائد ومحاسبته للعاملين في أجهزة الدولة.

المعيار الثالث: قيام القائد بواجباته ومسؤولياته الإدارية والقيادية في الدولة.

المعيار الرابع: استقامة القائد ونزاهته في سيرته وعمله أثناء حكمه.

المعيار الخامس: اتباع القائد لقواعد العدل والإنصاف في تعامله مع الجميع.

المعيار السادس: صدق القائد وشفافيته مع أفراد شعبه فيما يرتبط بمصالحهم وشأنون حياتهم.

المعيار السابع: عمل القائد بأحكام الإسلام الواردة في القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة.

المعيار الثامن: حفظة القائد على حریات الأفراد وصون كرامتهم في ظل حكمته.

المعيار التاسع: القائد يعيش حياة بسيطة وخلالية من كل ألوان الترف والبذخ الزائف.

المعيار العاشر: القائد يعمل بإخلاص في تطوير مجتمع متقدم يسعد فيه الناس جميعا.

المعيار الحادي عشر: القائد يوفر الرعاية والخدمات المتنوعة التي يحتاجها شعبه.

المعيار الثاني عشر: القائد يمتلك المعارف والعلوم التي تؤهله للقيادة وتدبر شؤون الحكم.

المعيار الثالث عشر: القائد يستثمر نصائح ومشورة العلماء والمتخصصين لبناء دولة علمية متقدمة.

المعيار الرابع عشر: القائد يتواصل مع أفراد شعبه ب مختلف الوسائل لحل مشكلاتهم وإزالة كل أنواع التمييز والظلم ضدهم.

المعيار الخامس عشر: القائد يمتلك الشجاعة الأخلاقية لاتخاذ القرارات لحل المشكلات والتعامل مع الأزمات في السلم والحرب.

الرقم	عناصر القيادة
المعيار الأول	<p>القوى: يتحقق هذا المعيار عندما يكون لدى القائد التزامات دينية واضحة في العبادات والطاعات وتصريف شؤون الحكم، ويكون قدوة لهم في العمل بتعاليم الإسلام في كل صغيرة وكبيرة في حياته العامة وخاصة، وأن يحارب كل أنواع الفساد والظلم الأخلاقي والاجتماعي في بلده. وفي وصيته لمالك يقول (عليه السلام): «أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقي إلا مع جحودها وإضاعتها».</p>

الرراقبة والمحاسبة: يتحقق هذا المعيار عندما يكون لدى القائد جهاز مراقبة وتفتيش يتم فيه تقييم الإدارات والهيئات الحكومية في عملها بصورة مستمرة، ويتم عن طريق هذا الجهاز رصد الأخطاء والتجاوزات فيها، ومحاسبة ومعاقبة الرؤساء والعمال المتسببين في وقوعها في الأجهزة الإدارية، أو المدنية، أو العسكرية. يقول (عليه السلام) مالك: «ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم، حدوة لهم على استعمال الأمانة، والرفق بالرعاية، وتحفظ من الأعوان».

المعيار الثاني

تحمل المسؤولية: يتحقق هذا المعيار عندما تتوافر في القائد السمات والقدرات العلمية والفنية والإنسانية والأخلاقية للقيام بواجباته ومسؤولياته في التخطيط والتنفيذ لإصلاح البلاد وتطويرها في جميع المجالات العلمية والاقتصادية والخدماتية والثقافية، والعمل على التنظيم والإدارة للدولة وتدبير شؤونها المالية والقانونية والعسكرية، والتعامل بحذافة مع مختلف طبقات المجتمع وقضاياها ومشكلاتها المختلفة، والقدرة على حسم الأمور واتخاذ القرارات المصيرية التي تمس مصالح البلاد في السلم أو الحرب. يقول الإمام مالك: «واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا بعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخارج من أهل الذمة و المسلمون الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها من ذوي الحاجة والمسكنة، وكلا قد سمي الله سمه، ووضع على حده فريضته في كتابه، أو سنة نبيه صلى الله عليه وآلـه، عهداً منه عندنا محفوظاً».

المعيار الثالث

المعيار
الرابع

الاستقامة والنزاهة: يتحقق هذا المعيار عن طريق مراجعة ومراقبة لبيئة مستقلة لسلوكيات القائد في استخدامه للسلطة، والتصرف في المال العام، وطرق اختياره للولاية والموظفين في الدولة، ونقاء جيده من الرشوّات والهدايا الخاصة، وعدم استغلال مكانته في إقامة العلاقات الخاصة مع النافذين في الدولة، أو تقريب أهله وذويه وتقليلهم للمناصب والماركز الإدارية والمالية والسياسية في الدولة. يقول الإمام (عليه السلام) مالك: «ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا توهم مخاباة وأثرة، فإنها جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياة، من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إشراقاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً».

المعيار
الخامس

العدل والإنصاف: يتحقق هذا المعيار حين يخضع الجميع سواسية أمام القانون بما فيهم القائد للمساءلة والمحاسبة، وتكون سلطة القانون تطال جميع الوجهاء والتجار والمتنفذين، ويتم تصريف القانون لحماية الضعيف واسترداد حقوقه من القوي بحيث يمنع كل صور احتكار السلطة والموارد المالية أو ابتزاز الأفراد من قبل الحكومة، كما ويفرض القانون عقوبات رادعة للمفسدين والظلمة وال مجرمين فيأمن الناس على حياتهم وأرزاقهم ومعيشتهم في الوطن. يقول الإمام (عليه السلام) مالك: أُنْصَفَ اللَّهُ، وَأَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمِنْ لَكَ فِيهِ هُوَى مِنْ رَعِيْتَكَ، فَإِنَّكَ أَلَا تَفْعَلْ تَظْلِمَ، وَمِنْ ظَلْمِ عِبَادِ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصِّمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمِنْ خَاصِّمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حَجَّتَهُ وَكَانَ اللَّهُ حَرْبًا حَتَّى يَنْزَعَ أَوْ يَتُوبَ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَتَعْجِيلِ نِعْمَتِهِ، مِنْ إِقْامَةِ عَلَى ظَلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعُ دُعَوَةِ الْمُضْطَهَدِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمَرْصادِ».

الصدق والشفافية: يتحقق هذا المعيار حين يتحمل القائد مسؤولياته في الوفاء بتعهدياته، وتطبيق شعاراته ومبادئه المعلنة، ومصارحة شعبه بحقيقة الأوضاع في الدولة، والاعتراف بأخطائه إن صدرت، وكشف مكامن الانحراف والقصور في الدولة والعمل على إصلاحها، وتقديم تقارير دورية وسنوية عن منجزات الحكومة وإخفاقاتها دون مواربة ولا تضليل. يقول الإمام (عليه السلام) مالك: وإن ظنت الرعية بك حيفا فأصحر لهم بعذرك، وأعدل عنك ظنونهم بإصحابرك، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك، ورفقا برعيتك، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق».

المعيار
السادس

الشرعية: يتحقق هذا المعيار حين يكون مصدر التشريعات القانونية والقضائية في الدولة هو القرآن والسنة النبوية المطهرة سارية المفعول في كل مفاصل الدولة وأجهزتها، ويكون الالتزام بالشرعية الإسلامية في جميع مجالات الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية. وتعتمد الشرعية الإسلامية في إقامة جميع الاتفاقيات والمعاهدات وال العلاقات الدولية. يقول الإمام (عليه السلام) مالك: «واردد إلى الله ورسوله ما يضليوك من الخطوب، ويشتبه عليك من الأمور، فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾. فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بستنه الجامعة غير المفرقة».

المعيار
السابع

المعيار
الثامن

الحرية والكرامة: يتحقق هذا المعيار حين يتزلم القائد بالنظام الإسلامي الحقيقى الذى يتيح للناس حرية التعبير عن الرأى، والمعارضة السياسية السلمية، واحترام الخصوصيات الدينية والمذهبية، ويشجع لغة الحوار والتفاهم بين الطوائف المختلفة، ويُسكت الأصوات النشاز التي تدعو للفرقة والعداوة، ويدافع بقوة عن كرامة الأفراد وخصوصياتهم أمام الساعين والوشاة الذين لا يريدون إلا تحقيق مآربهم الدينية. يقول الإمام (عليه السلام) ملوك: «ول يكن أبعد رعيتك منك، وأشنأهم عندك، أطلبهم لعائب الناس، فإن في الناس عيوباً الوالي أحقر من سترها، فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت، يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك، أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنك سبب كل وتر، وتغاب عن كل ما لا يصح لك، ولا تعجلن إلى تصديق ساع، فإن الساعي غاش، وإن تشبه بالناصحين».

المعيار
الحادي عشر

الزهد والقناعة: يتحقق هذا المعيار حين يعيش القائد حياة البساطة كبقية أفراد شعبه، ويبعد عن كل ألوان الإسراف في الاحتفالات ومظاهر الحياة البادحة في حياته الخاصة وال العامة، ويقتصر في النفقات التي يستخدمها في أسفاره وتنقلاته، وما يحتاجه من لوازم للعمل والأثاث والتجهيزات في مكتبه، وما يقيمه من مراسيم في الاستقبال والآداب للضيوف في الداخل والخارج. يقول الإمام (عليه السلام): «وليأك والاستئثار بما الناس فيه أسوة، والتغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون، فإنه مأخوذ منك لغيرك، وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، ويتصف منك المظلوم».

المعيار العاشر

الإخلاص في العمل: يتحقق هذا المعيار في العمل الدؤوب للقائد ونشاطه المستمر لتحقيق الأهداف في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية وفقاً لمبادئ النظام الإسلامي في الجودة، ومحاربة كل ألوان البطالة والفقر والفساد الإداري، والاقتراب من الرعية وفهم حاجاتهم وإظهار المحبة والرحمة بهم، ويكون الهدف الرئيس للقائد هو تحقيق رضا الله سبحانه في اسعاد شعبه وتوفير الحياة الكريمة له. يقول الإمام عليه السلام (عليه السلام) مالك: «فليكن أحباب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فأملك هواك، وشح بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنفاق منها في ما أحببت أو كرهت، واسعير قلبك للرعاية، والمحبة لهم، ولللطيف بهم، ولا تكونن سبعاً ضارباً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق».

المعيار الحادي عشر

الرعاية والخدمة: يتحقق هذا المعيار حين تكون توجهات القائد في الداخل تركز على توفير الخدمات المعيشية والصحية والتعليمية والحياة الحرة الكريمة لكل مواطن، والاهتمام الخاص بالأسر الفقيرة والأيتام والأرامل وذوي الاحتياجات واللقاء بهم في مجلس عام دون قيود ولا إجراءات مشددة. يقول الإمام (عليه السلام) مالك: «واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه الله الذي خلقك، وتقدّع عنهم جندك وأعوانك، من أحراسك وشرطك، حتى يتكلّم متكلّمهم غير متّعّن، فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول في غير موطن: لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متّعّن».

العلم والمعرفة: يتحقق هذا المعيار حين يكون القائد من أصحاب المؤهلات العلمية والسياسية الشرفاء، ويحيط نفسه بالعلماء والمتخصصين الذين يشاركونه في التخطيط، والإشراف، والمتابعة للبرامج الحكومية في مختلف المجالات الاقتصادية والعلمية والصحية والاجتماعية والثقافية. يقول الإمام مالك: «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك، من لا تضيق به الأمور، ولا تحكمه الخصوم، ولا يتهدى في الزلة ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرّهم عند اتضاح الحكم».

المعيار
الثاني
عشر

المشورة والنصح: يتحقق هذا المعيار حين يكون القائد منفتحاً على الآراء المختلفة، ومصغياً لتوجيهات ووصايا الخبراء، ويعتمد في تسيير سياساته مشورة المتخصصين والعلماء المقدرين، ويتخذ خطواته نتيجة للدراسة والاطلاع والاستفادة من تجارب الآخرين. ويوصي الإمام (عليه السلام) مالكا أن يتخذ المشورة في تدبير حكمه الأشخاص الذين: «من لم يعاون ظالماً على ظلمه، ولا آثما على إثمه، أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقل لغيرك ألفاً، فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك، ثم ليكن آثرهم عندك أقوفهم بمراحل الحق». ويقول له أيضاً: «وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء، في ثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك».

المعيار
الثالث
عشر

المشورة والنصح: يتحقق هذا المعيار حين يكون القائد منفتحاً على الآراء المختلفة، ومصغياً لتوجيهات ووصايا الخبراء، ويعتمد في تسيير سياساته مشورة المتخصصين والعلماء المقدرين، ويتخذ خطواته نتيجة للدراسة والاطلاع والاستفادة من تجارب الآخرين. ويوصي الإمام (عليه السلام) مالكاً أن يتخذ المشورة في تدبير حكمه الأشخاص الذين: «من لم يعاون ظالماً على ظلمه، ولا آثماً على إثمه، أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقل لغيرك ألفاً، فاتخذ أولئك خاصة خلواتك وحفلاتك، ثم ليكن آثرهم عندك أقوفهم بمر الحق». ويقول له أيضاً: «وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء، في ثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك».

المعيار
الثالث
عشر

الاتصال والتواصل: يتحقق هذا المعيار حين يكون القائد مطيناً على أحوال شعبه عبر قنوات الاتصال المختلفة كالصحافة، والإذاعة، والتلفزيون؛ واستحداث أنظمة للمراقبة والرصد لتجاوزات وإنحرافات المسؤولين في عملهم، وتوفير اللقاءات والمجالس المفتوحة مع أفراد الشعب أو ممثليهم للاستماع لتظلماتهم ومشاكلهم للتعرف على أوجه النقص في الخدمات وال حاجات التي يطالبون بتحقيقها والمبادرة في تنفيذ الإجراءات الخاصة بها. يقول الإمام (عليه السلام) مالك عن أضرار احتجاب الوالي عن رعيته: «وأما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك، فإن احتجاب الولاية عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويتبعد الحسن، ويحسن القبيح، ويشب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور».

المعيار
الرابع
عشر

المعيار
الخامس
عشر

الشجاعة الأخلاقية: يتحقق هذا المعيار حين يمتلك القائد الشجاعة والتصميم في تنفيذ القرارات الإدارية والسياسية التي تحفظ مصالح البلاد والعباد، ويكون قادراً من الناحية الإدارية والفنية على مواجهة الأزمات والمشكلات في الداخل أو الخارج مع الدول الأخرى، ويكون في المقدمة لدفع الأخطار الخارجية والداخلية التي تهدد أمن واستقرار البلاد. ويوصي الإمام (عليه السلام) مالكا بكسب رضا العامة حتى يحفظ بلاده من أخطار الداخل والخارج: «ول يكن أحَبُّ الْأَمْوَارِ إِلَيْكَ أَوْسِطَهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعْمَهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْعَهَا رَضْيَ الرَّعْيَةِ، فَإِنْ سَخَطَ الْعَامَّةُ يَجْحَفُ بِرَضْيِ الْخَاصَّةِ، وَإِنْ سَخَطَ الْخَاصَّةُ يَغْتَفِرُ مَعَ رَضْيِ الْعَامَّةِ، وَانْهَا عِمَادُ الدِّينِ وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْعَدْدُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأَمَّةِ، فَلَيْكَنْ صَفْوُكَ لَهُمْ وَمِيلَكَ مَعَهُمْ».

جدول معايير القيادة الصالحة

المحتويات

١١	المقدمة: ..
١٥	الفصل الأول: النشأة والتكوين القيادي للإمام (عليه السلام) ..
١٩	أولاً- النشأة الأسرية ..
٢٠	١- في كنف أبوين عظيمين ..
٢٢	٢- الرعاية النبوية الخاصة ..
٢٧	٣- علي والقرآن ..
٣٠	ثانياً- البيئة السياسية والاجتماعية ..
٣٢	٤- المرحلة المكية (بداية الطريق) ..
٣٥	٥- المرحلة المدنية (المجتمع الجديد) ..
٣٨	٦- مرحلة ما بعد رحيل رسول الله ..
٤٣	٧- مرحلة الخلافة والحكم (الخليفة المسلمين) ..
٤٧	٨- مرحلة الانتقال إلى الرفيق الأعلى (شهيد المحراب) ..
٥٠	ثالثاً- الخصائص الرسالية للإمام (عليه السلام) ..
٥٠	(١) المكون المعرفي ..
٥٢	- كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) في التوحيد ..

- أمير المؤمنين (عليه السلام) يتحدث عن خلق آدم.	٥٣
- حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) في علم الكلام	٥٤
- حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) عن القرآن الكريم.	٥٥
- حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) عن سورة الفاتحة..	٥٦
- أعلمية الإمام (عليه السلام) بالقرآن والكتب السماوية الأخرى....	٥٧
- أقوال للإمام (عليه السلام) عن العلم والتعليم ...	٥٨
- أجوبة أسئلة رسول ملك الروم ..	٦٠
- أسئلة ملك الروم لمعاوية ..	٦٠
- قضاء الإمام علي (عليه السلام)	٦١
(٢) المكون العبادي ..	٦٢
(٣) المكون الأخلاقي ..	٦٧
- حكم أخلاقية	٦٩
- حق السائل ..	٧١
- محاسبة النفس ..	٧١
- معنى الاستغفار ..	٧٢
- استحياء علي (عليه السلام) من تفضيل نفسه ..	٧٢
- زهد الإمام (عليه السلام) ..	٧٢

- أخلاق الحرب ...	٧٣
- سخاء علي (عليه السلام) وجوده ...	٧٣
- حلم الإمام (عليه السلام) وصفحه ...	٧٤
(٤) المكون التربوي	٧٤
- دروس في فنون تعامل الحاكم مع شعبه ...	٧٥
- السالك إلى الله تعالى ...	٧٥
- لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد ...	٧٦
- الدنيا ليست دار بقاء	٧٦
- لا تكونوا سبابين	٧٦
- وصية الإمام (عليه السلام) لابن عباس ...	٧٧
(٥) المكون الإنساني	٧٧
- الحاكم الذي يقدم يد العون للمحتاجين من شعبه ..	٧٧
- الحاكم الذي يشارك شعبه مرارة الفقر والحرمان ..	٧٩
- الحاكم الذي ينتصر لظلامة امرأة من زوجها ..	٧٩
- أدب التعامل مع الصاحب في السفر ...	٨٠
- التعامل مع الضيف ...	٨١
رابعا - السمات القيادية للإمام (عليه السلام) ...	٨٢

١- بعد النظر ٨٣	
٢- قوة الشخصية ٨٥	
٣- الثبات على المبادئ ٨٩	
٤- رجاحة العقل وحسن التدبير ٩١	
٥- الشجاعة في المواقف والأحداث ٩٤	
٦- النزاهة والاستقامة ٩٨	
٧- الإيمان والثقة العالية بأهدافه ١٠٠	
٨- الأمانة وتحمله للمسؤولية ١٠٢	
٩- التواصل الاجتماعي ١٠٦	
١٠- التعاطف الإنساني ١١١	
الفصل الثاني: القيادة في الإسلام والفكر الإنساني ١١٥	
أولاً- القيادة في الدين والعلوم الإنسانية ١١٧	
ثانياً- القيادة في اللغة والاصطلاح ١٢٢	
ثالثاً - القيادة: وجهات نظر متعددة ١٢٦	
١- النظريات الكلاسيكية حول القيادة ١٢٦	
١- نظرية الإلهام أو الرجل العظيم ١٢٦	
٢- نظرية السمات ١٢٧	

١٢٧	١-٣ النظرية الوظيفية Functional
١٢٨	٢- النظريات الميدانية حول القيادة ..
١٢٨	١-٢ النظرية السلوكية ..
١٢٩	٢-٢ النظرية الموقفية ..
١٢٩	٣-٢ النظرية العرضية ..
١٣٠	٤-٢ نظرية مسار الهدف ..
١٣٠	٥-٢ النظرية التفاعلية ..
١٣١	٦-٢ النظرية التبادلية والنظرية التحويلية ..
١٣٢	٣- نظريات القيادة المتمحورة حول المبادئ والقيم ..
١٣٢	١-٣ القيادة بالقيم Value-Based Leadership
١٣٣	٢-٣ القيادة الأصلية Authentic Leadership
١٣٥	٣-٣ القيادة الروحية Spiritual Leadership
١٣٦	٤-٣ القيادة الخادمة Leadership Servant
١٣٧	٥-٣ القيادة بالذكاء العاطفي Leadership by Emotional Intelligence
١٣٩	رابعا - القيادة بمفهوم الخلافة والإمامية ..
١٤٥	الفصل الثالث: القيادة العلوية في الأحداث ..
١٤٩	أولا - المعالم الأساسية للقيادة العلوية ..

١ - القيادة عملية إصلاحية (إصلاح أخطاء الماضي)	١٤٩
٢ - القيادة عملية أخلاقية (تزرع النفوس وتهذيبها)	١٥٢
٣ - القيادة عملية روحية (الإعداد لليوم الآخر)	١٥٥
٤ - القيادة عملية تربوية (تعليم الأمة وتأديبها)	١٥٧
٥ - القيادة عملية اجتماعية (التواصل مع أفراد المجتمع)	١٦١
٦ - القيادة عملية إنسانية (إشباع حاجات الإنسان وتطلعاته)	١٦٤
٧ - القيادة عملية سياسية (المحافظة على كرامة الإنسان وحقوقه)	١٦٧
٨ - القيادة عملية إنتاجية (تحقيق الأهداف)	١٧٠
٩ - القيادة عملية استراتيجية (التطلع إلى المستقبل)	١٧٥
١٠ - القيادة عملية تغيير (السعى لتحقيق المجتمع الصالح)	١٧٩
ثانياً- فلسفة القيادة وأهدافها	١٩٠
١ - فلسفة القيادة	١٩٠
٢ - أهداف القيادة	١٩٣
ثالثاً- الأدوار القيادية للإمام علي (عليه السلام) في خلافته	١٩٥
١ - التغيير الاجتماعي الجديد (القائد التحويلي)	١٩٧
٢ - البناء الروحي والأخلاقي للفرد المسلم (القائد المربى)	١٩٩
٣ - إشباع تطلعات الإنسان في الحرية والمساواة (القائد الإنساني)	٢٠١

٤ - بناء المجتمع الرسالي (القائد المستقبلي)	٢٠٤
٥ - قيادة معارك الإيمان ضد قوى التآمر والتفاق الإسلامي (القائد العسكري)	٢٠٧
رابعاً- المقارنة بين أدوار القائد عند الإمام علي والنظريات الحديثة	٢١١
الفصل الرابع نظرية القيادة المسؤولة عند الإمام علي (عليه السلام)	٢١٥
أولاً- القيادة المسؤولة	٢١٧
١- التعريف اللغوي والاصطلاحى للمسؤولية	٢١٨
٢- نظرية القيادة المسؤولة	٢١٩
٣- القيادة المسؤولة في النظرية الغربية.	٢٢٠
ثانياً- نظرية القيادة المسؤولة عند الإمام علي (عليه السلام)	٢٢٢
ثالثاً- نموذج القيادة المسؤولة عند الإمام علي (عليه السلام) .	٢٢٥
١- القيادة تمتلك رؤية ورسالة واضحة Leadership Vision & Mission	٢٢٨
٢- القيادة تتمتع بالشجاعة Leadership Courage	٢٣٠
٣- القيادة بالقدوة Leading by Example	٢٣٢
٤- القيادة بالمبادئ Leading by Principles	٢٣٤
٥- القيادة بخدمة الآخرين Servant Leadership	٢٣٦
الفصل الخامس: أخلاقيات القيادة عند الإمام علي (عليه السلام)	٢٤١
أولاًً- الأخلاق في الإسلام وعند الفلاسفة.	٢٤٣

٢٤٤ ..	Definition of Ethics	١ - التعريف اللغوي والاصطلاحي للأخلاق
٢٤٦ ..		٢ - نظريات الفلاسفة حول الأخلاق.
٢٤٨ ..		٣ - النظرية الأخلاقية في الإسلام .
٢٥٤ ..	Leadership Ethics Theories	ثانياً- أخلاقيات القيادة في النظريات الغربية
٢٥٨ ..	of Imam Ali Leadership Ethics	ثالثاً- أخلاقيات القيادة عند الإمام علي
٢٧٧ ..		الخاتمة ..
٢٨١ ..		((المصادر والمراجع العربية)).
٢٩١ ..		((المراجع الأجنبية)) .
٢٩٥ ..	الملاحق: معايير اختيار القيادة الصالحة وفقاً لرؤية الإمام علي (عليه السلام) ...	